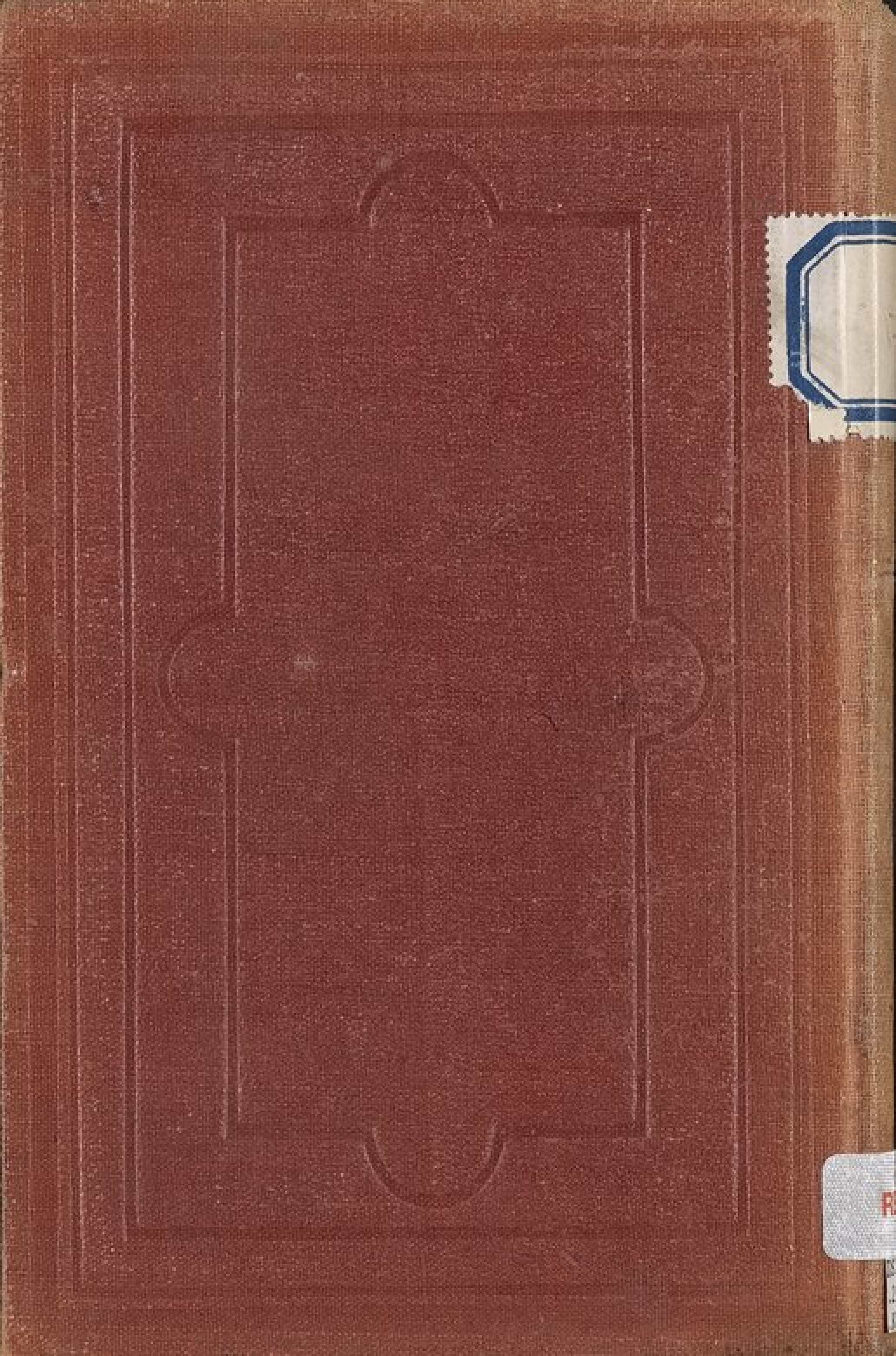
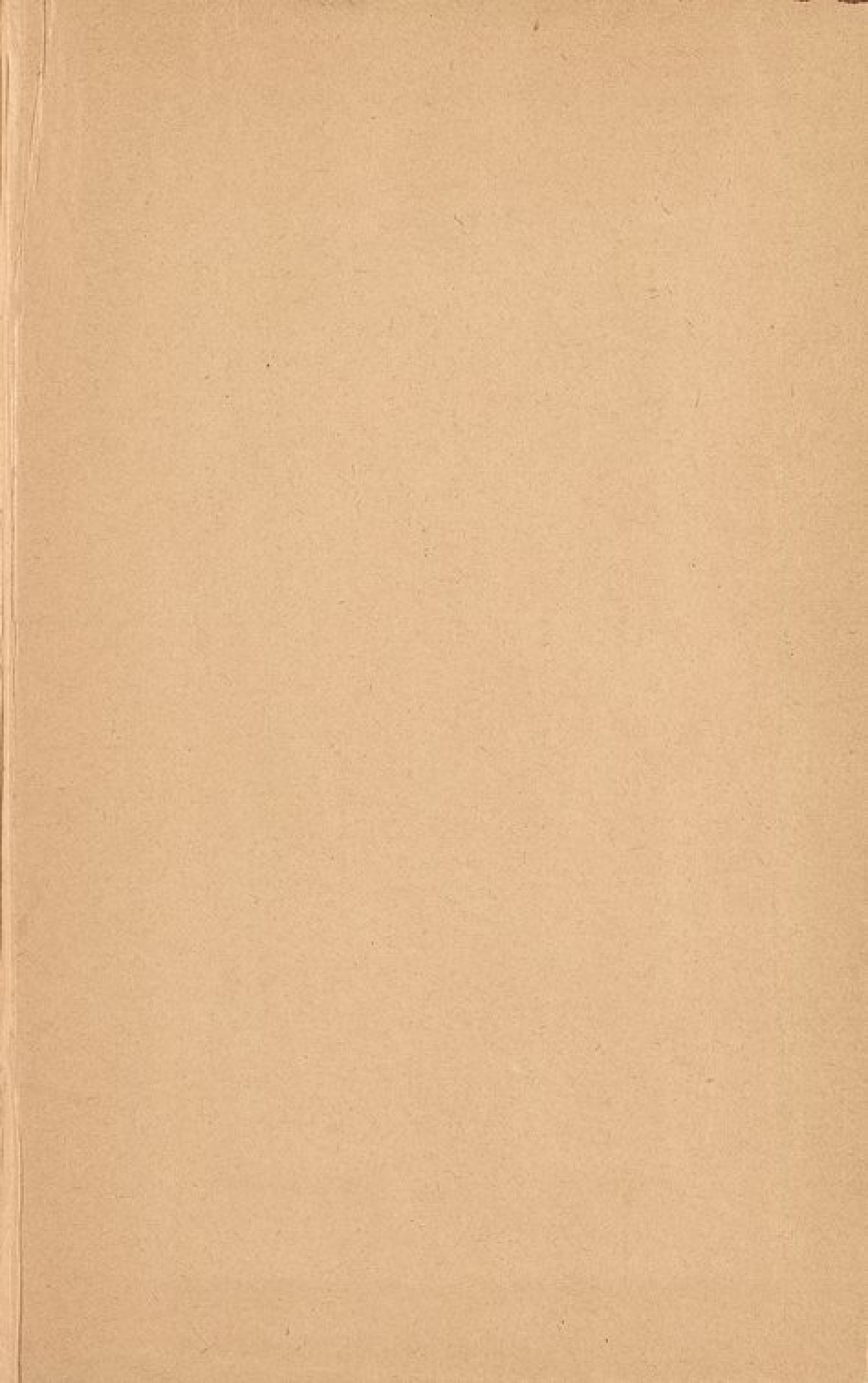
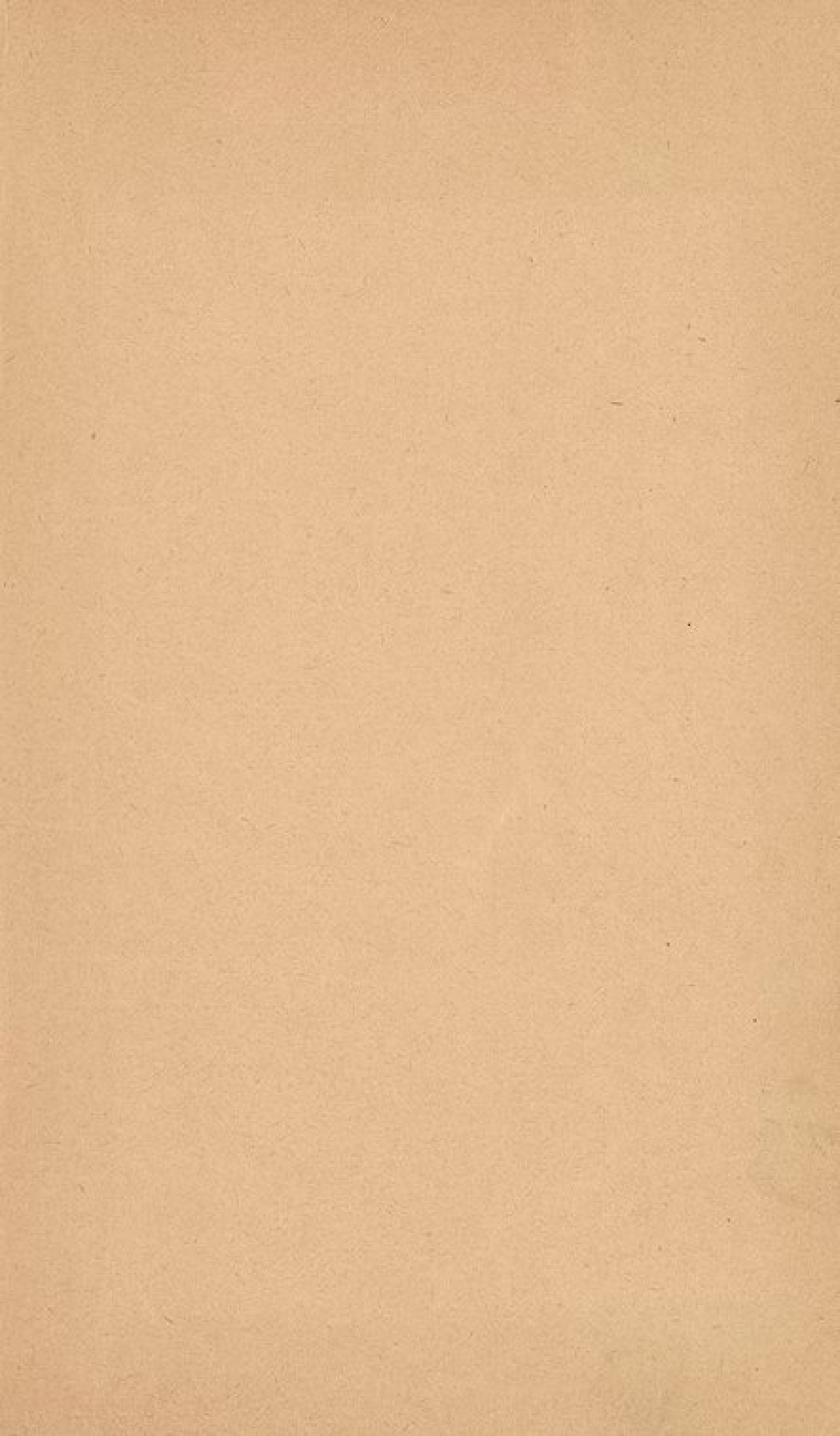
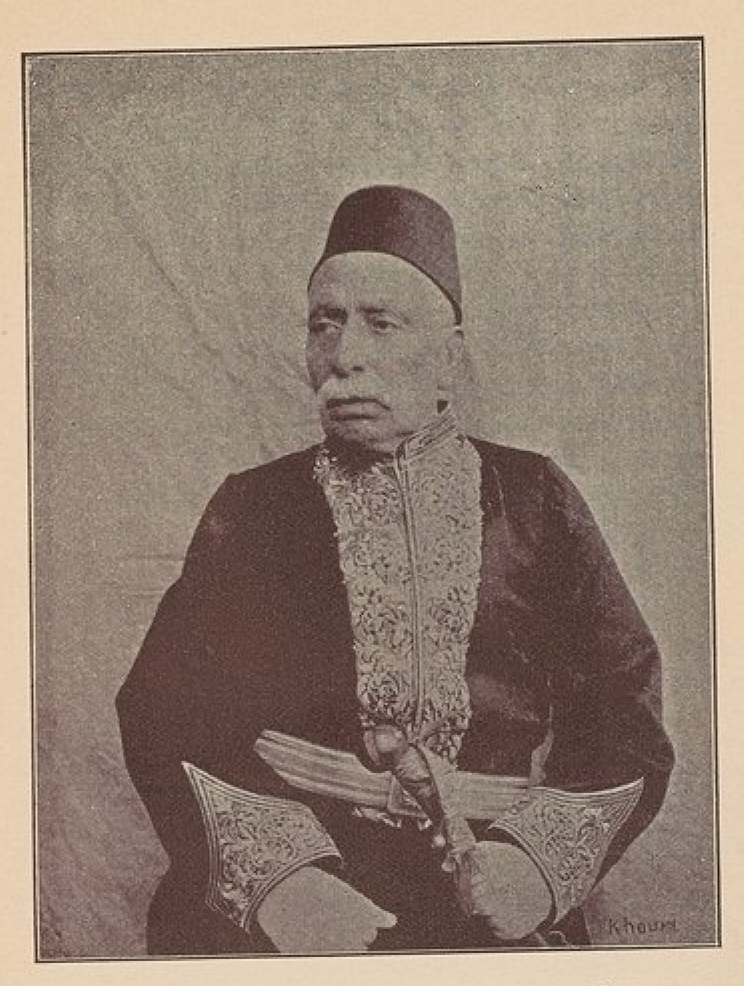





Princeton University Library
32101 079784763





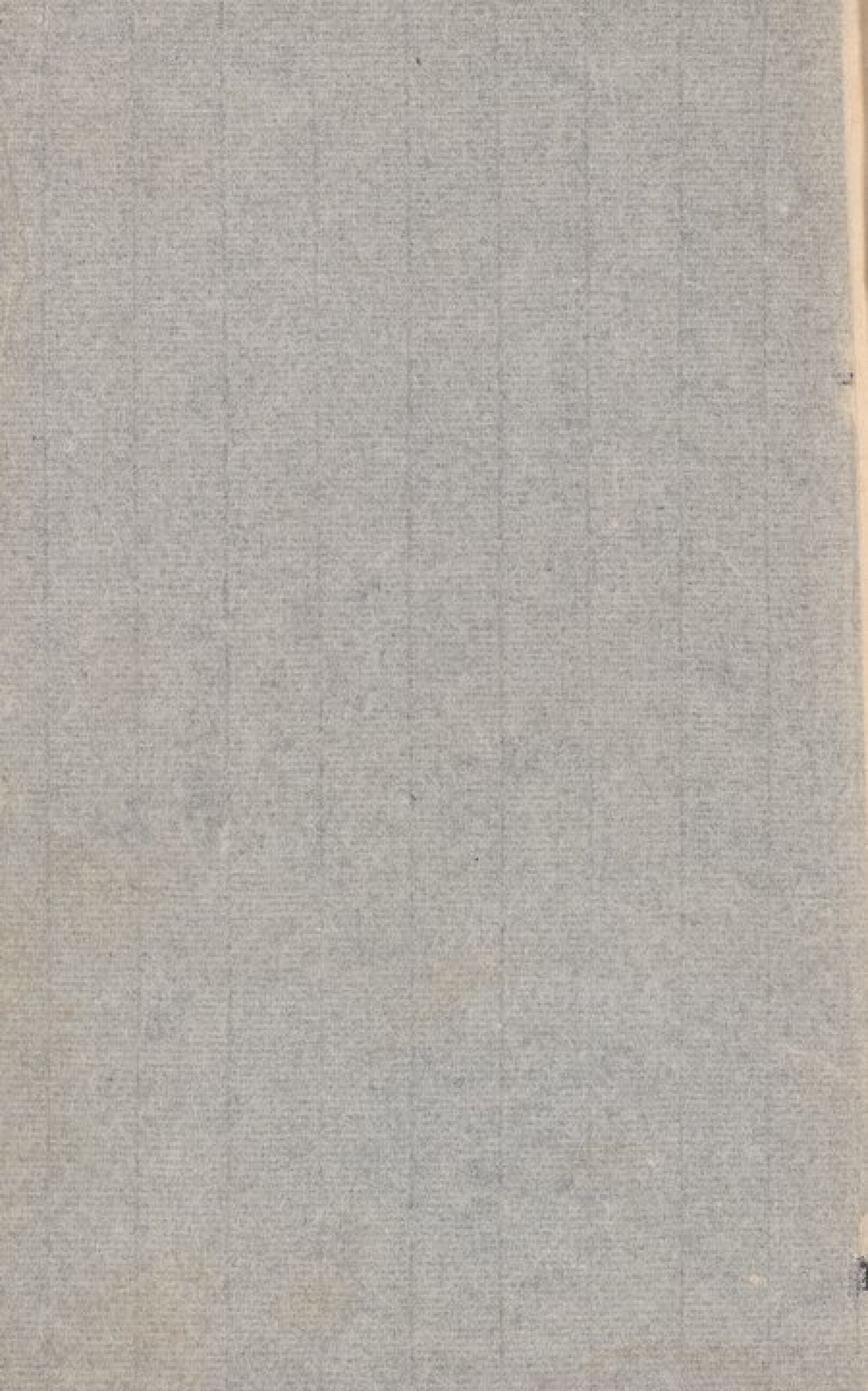
الدكتور سليمان افندي الخوري عيسى

« ١٨٣٠ — ١٩٠٢ »

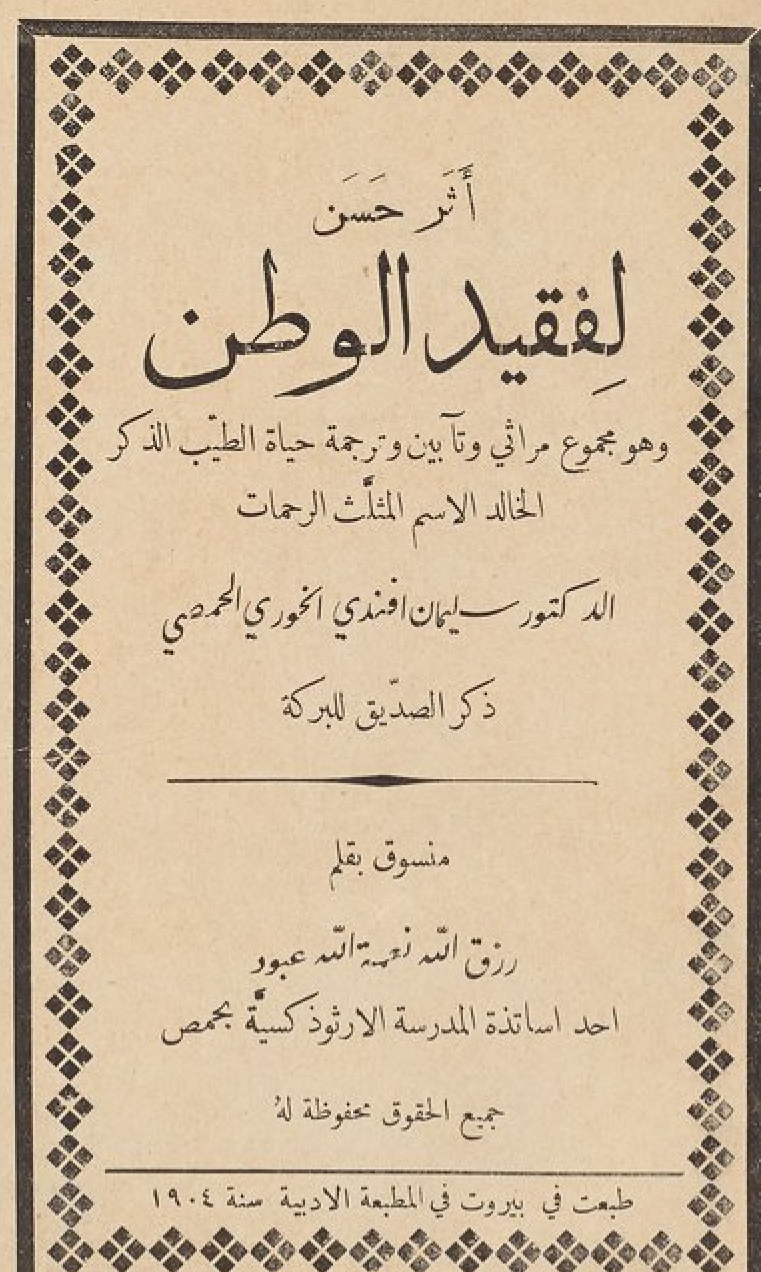
هذا سليمانُ الحكيمُ قضى وقد   أبقى لهُ في القلب رسماً دائما

لما مضى للخلد قلتُ مؤرخاً   بشراهُ في الفردوس اضحى باسما

سنة ١٩٠٢







أَثَرٌ حَسَنٌ

لِفقيد الوطن

وهو مجموع مراثي وتآبين وترجمة حياة الطيّب الذكر
الخالد الاسم المثلّث الرحمات

الدكتور سليمان افندي الخوري الحمصي

ذكر الصدّيق للبركة

منسوق بقلم

رزق الله نعمة الله عبود
احد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص

طبعت في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٤



توطئة

حمداً لمن جعل تراجم العلماء الاعلام وسير كرام النفوس . من خير ما تسطره الاقلام على صفحات الطروس . وبعد فلما كان تخليد ذكر رجال الفضل والعرفان . الذين بذلوا نفوسهم في سبيل خدمة الاوطان . وامتداد التمدن والعمران . من اول واجبات الانسان . ولما كان فقيد الفضيلة والوطنية . والوجاهة والاريحية . والطب والارثوذكسية . الرجل العظيم . المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري عيسى الحكيم . من خيرة الرجال الذين سعوا السعي الحسن . في خدمة الدولة العلية والوطن . دعتني دواعي عرفان الجميل . لهذا الرجل الجليل . الى ان اضع كتاباً أُضمنه ترجمة حياته . وما كتبته الصحف والمجلات على اثر وفاته . وما تلي على ضريحه من خطب التأبين . وما قاله في رثائه وتعزية ذويه كلٌّ من الكتبة المجيدين والشعراء النابغين . فعرضت الامر لولديه الدكتورين البارعين الافنديين كامل وسليم . فاظهرا لي رضاها عن وضع هذا الاثر الكريم . واطلعاني على ماخلفه والدهما المرحوم من الاوراق فوعيت منها كل ما تهديني معرفته لتسطير ترجمته وباشرت العمل مثبتاً بعض تلك الاوراق بحروفه او معرباً اشعاراً بفضل صاحب الترجمة وسمو مرتبته . واعتمدت في رقم اخلاقه وصفاته . على اختباري الشخصي لمحاسن اطواره واحاسن عاداته . ثم اعلنت عزمي في بعض الجرائد الوطنية . فوردتني عدة قصائد ورسائل من ذوي الغيرة والحمية . فاثبتها كما صدرت من اقلامهم . مثنياً على اريحيتهم وكرم اخلاقهم .

والله يعلم ان لا غاية لي في هذا الكتاب سوى ايفاء ما عليَّ وعلى الوطن من شكر الفقيد . والحرص على تخليد اسمه المجيد وذكره الحميد . وبما ان هذا الاثر هو باكورة اعمالي واول كتاب وضع في الوطن العزيز من هذا النوع فانا ارجو ممن يطلعون عليه من ارباب الاقلام . وجلة العلماء الاعلام . ان يستروا بذيل عفوهم ما لعلهم يرونه من القصور في التأليف والتنسيق . او يعثرون عليه من الخطإ ابَّان التدقيق والتحقيق . فان العصمة لله العليم فوق كل ذي علم وهو وليُّ التوفيق



الباب الاول

ترجمة المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري

الفصل الاول

نسبهُ وترجمة والدهِ المثلث الرحمات الخوري عيسى وشقيقهِ المرحوم الدكتور ابرهيم

هو سليمان ابن قدس الاب العلاَّمة المفضال المثلث الرحمات الخوري عيسى الطبيب ابن المرحوم سليمان الحامض الحمصي المحتد والمولد والمنشإ والوفاة

كان والدهُ المذكور من نوابغ القرن التاسع عشر ذكاءً وعلماً وفضلاً وقد فاق أقرانهُ بمعارفهِ الدينية وعلومهِ الرياضية وخطبهِ البليغة · تعاطى في اوائل حياتهِ مهنة التعليم — شأن العارفين في ذلك الزمان — فثقف مئات من التلامذة وعلَّمهم العلوم الأوَّلية اللازمة وقتئذٍ فخرجوا يلهجون بذكرهِ وينطقون بشكرهِ · ومال خاصةً الى فن الطب الشريف فدرسهُ اولاً بنفسهِ ثم أتقنهُ بواسطة البعض من أطباء المصريين زمن مجيئهم الى حمص وباقي المدن السورية من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ مسيحية وزادهُ الاختبار الذاتي براعةً حتى اصبح موضع ثقة

مواطنيهِ عامةً ولقيَ عند المصريين حظوةً وتقرباً من كبارهم واعطاه احد اطبائهم المتقدّمين اجازةً بتعاطي مهنة التعليم وصناعة الطب نوردها هنا بنصها :

« انا الواضع اسمي وختمي ادناه حسن افندي ابو حطب حكيم ملازم اول بالآلاي برنجي طوبجي سواري . من بعد مطالعتي كتب الطب الجديد صحبة عيسى بن سليمان الحامض الحكيم بمحروسة حمص اشهد واقرلهُ بالمعرفة والفراسة في هذا الفن احسن من غيره من الحكمآء الموجودين بالبلدة لما شاهدتهُ فيهِ من البراعة في حسن سلوكه في طريقة هذا الطب وايضاً في العمليات اليومية في الامراض الموجودة هنا وفي فهمهِ في قرآءة ومعرفة الالفاظ الغريبة الموجودة في هذا الفن وايضاً لما شاهدت فيهِ هذه الاوصاف وقبوله الفهم اعطيته كتاب امراض باطنة بامراض ظاهرة وعلم ادوية وخلافه منقولة بخطنا من الكتب الجديدة وايضاً اعطيته بعض قطع سلاح مما يحتاج اليه في الاسعافات الأولية للجروح وخلافها والله على ما اقول وكيل في ١٥ شعبان سنة ١٢٥٣ هـ »

(محل الختم)

حسن ابو حطب
حكيم طوبجي سواري

وقد تسجلت هذه الشهادة في محكمة مدينة حمص بعهد قاضيها السيد اسماعيل الرفاعي الذي كتب عليها ما نصهُ :

« ان الباعث لتحرير هذه الحروف الشرعية بالمحكمة العلية بمدينة حمص المحمية . انه بتاريخه قد قرَّر لديَّ شفاهاً جناب حسن افندي المسطور ان المعلم عيسى بن سليمان الحامض الحكيم في غاية الفهم في علم الطب وعندهُ نباهة وتيقظ بهذا العلم وانهُ وجده افهم وايقظ واعلم من الحكماء الموجودين في هذهِ البلدة . وبناءً على ذلك قد اجازه بتعاطي التعليم وهذا الفن بهذه البلدة فبناءً عليه وعلى التماسهِ تحرَّرت له هذه الحروف توضيحاً باجازة الافندي المسطور في ٢٠ شعبان سنة ١٢٥٣ هـ »

(محل الختم)

السيد اسماعيل الرفاعي

ولما شاهد مواطنوه المسيحيون استقامة سيرتهِ واعمالهُ التقوية انتخبوهُ خادماً للمذبح الالهي . فلبّى صوت الشعب — الذي هو صوت الرب — وكرّس حياته لهذا العمل المقدس وخدمة الفادي الحبيب فسيم كاهناً للاله العلي من الحبر الجليل المثلث الرحمات السيد ميثوديوس مطران حمص . ونظراً لما اودعه فيه الباري من الصفات الحسنة والغيرة الحارّة والمعارف الواسعة التي تؤهلهُ

للارتقاء تعين بروتو باباظاً (اول كهنة) لكنيسة حمص وعهد اليه في الخطابة الكنسية وارشاد الشعب بالكلام الحي

وفي ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ رقد بالرب المطران ميثوديوس المذكور بعد ان خدم كنيسة حمص بغيرة وامانة نحو ٣٠ سنة فتعين صاحب الترجمة من قبل غبطة البطريرك ساروفيم وكيلاً بطريركياً في ابرشية حمص التي بقيت مترملة سنتين وفي سنة ١٨٤٩ سيم السيد غريغوريوس المعلولي مطراناً لها وبقي الى سنة ١٨٥٩ [1] فاقيل وعادت الى الخوري عيسى وكالة البطريرك ايروثيوس وتدبير امور الطائفة فأبرز الهمة الشماء واظهر الغيرة

---

(١) ذكر حضرة العالم الفاضل غطاس افندي قندلفت في مجلة المنار (٣ : ١١٨) نقلاً عن الجزء الخامس من مجموعة القوانين والنواميس الشريفة المطبوعة في اثينا سنة ١٨٥٥ «ان ابرشية حمص كانت بدون مطران في سنة ١٨٥١ م» وهو كلام فيه نظر لان ابرشية حمص لم تكن مترملة في تلك السنة ولا منضوية الى غيرها بل كان لها مطران خاص يتولى ادارتها وهو المطران غريغوريوس المعلولي المذكور اعلاه الذي رأسها من سنة ١٨٤٩ الى ١٨٥٩ م

ومما يثبت وجود مطراناً لابرشية حمص في تلك السنة ان البطريرك ايروثيوس ارسل اليه اسطاتيكوناً (كتاب توصية) مؤرخاً في ٢ ايار سنة ١٨٥١ معنوناً باسم «كير غريغوريوس مطران حمص وما يليها» وهذا الاسطاتيكون محفوظ في مكتبة جامع هذا الكتاب

العظمى واشتهر بحسن سيرته وسداد رأيه ومحاماته عن استقامة الايمان بازاء الطوائف الغربية غير الارثوذكسية . وفي عهده جاء البروتستان اول مرّة الى حمص وبدأوا يبثّون آراءهم المخالفة فكان يظهر عدم استقامة تعاليمهم بعظاته الرنانة ويحرّض الشعب الارثوذكسي على الثبات في الايمان القويم وعدم الاصغاء للتعاليم المحدَثة . وكثيرًا ما كان دعاة البروتستانية يذهبون الى بيته فيجادلهم ويفحمهم . وترددهم هذا الى بيته للجدال دعا بعض الاغرار ان يشكّوا في ارثوذكسيته اما لمآرب ذاتية واما لجهل وغباوة اذ كانوا يحسبون ان من جالس مع بروتستاني فقد صار بروتستانيًا

وكان رحمه الله محبوبًا من الوطنيين على اختلاف المشارب والمذاهب محرزًا ثقة الحكومة السنية معزّز الجانب مكرّمًا من الرؤساء الروحيين عارفًا اللغتين التركية والعربية . وظلّ يخدم القريب ويعمل في كرم الرب بغيرة وحمية . ويطبب المرضى طورًا بعقاقيره الطبية وتارةً بصلواته الابوية الى ان توفاه الله في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤ مسيحية [1]

---

(١) وقد نظم الشماس يواكيم احد رهبان دير البلمند التاريخ الآتي لوفاته فقال :

وقد خلف ولدين برعا في العلوم والمعارف وتلقنا عنهُ فن الطب . وهما المرحومان الدكتوران سليمان وابرهيم . اما الاول فستأتي ترجمته مطوَّلةً واما الثاني فقد وُلد بحمص سنة ١٨٤٦ م واخذ المبادىء الطبية عن والده المرحوم ثم درس لنفسهِ وتعاطى الطب حرفةً . وفي سنة ١٨٦٥ م (١٢٨٠ ﻫ) تعين طبيباً لبلدية حمص . وبقي كذلك الى سنة ١٨٨٣ فتوجه الى الآستانة العلية واكمل دروسهُ في المكتب الطبي الشاهاني . ونال الشهادة الرسمية في ٣ حزيران سنة ١٨٨٦ م وعاد طبيباً لبلدية حمص . وفي اثناء ذلك فجع بموت امرأتهِ ثم بوفاة ولده الشاب المأسوف عليهِ المرحوم ميخائيل الملقب بحكمة احد طلبة المكتب الطبي الفرنسي ببيروت سنة ١٨٩٢ م (١)

ايها الزائر قبراً حوله … حفت الاملاك بشراً بازدحام
ألقِ نعليك وبادر نحوه … بسجودٍ ووقارٍ واحترام
ان فيه كوكب الفضل هوى … وملاك الارض بالجسم ينام
وابكِ حمصاً ان حمصاً بعده … اصبحت لليتم بنتاً للدوام
فهو سقراط الهدى بدر الدجى … راحة الارواح بقراط السقام
كاهن الله العليُّ المنتقى … بلبل البيعة مصباح الظلام
واتلُ في تاريخه عيسى ارتقى … نحو عيسى باحترامٍ وسلام

سنة ١٨٦٤

(٢) وقد ارَّخ وفاته حضرة العالم العامل والشاعر الفاضل الاستاذ

وفي سنة ١٨٩٦ م غادر حمص وسافر ثانيةً الى الآستانة العلية وحصل طبابة بلدية حماة · فذهب اليها وما لبث فيها بضعة اسابيع حتى فاجأتهُ المنية فسار الى جوار ربهِ مخلفاً اسرةً كبيرة مؤلفة من اربعة ذكور وبنتين [1]

وقد اشتهر رحمه الله بذكائهِ النادر وبراعتهِ العجيبة في تشخيص الامراض وحذاقتهِ الغريبة في الفراسة ومهارتهِ في فن الجراحة · وكان عارفاً اللغات العربية والتركية والافرنسية · متضلعاً من كثير من العلوم العصرية · وقد خدم الدولة العلية خدمة اخلاص وغيرة فانعمت عليه سنة ١٨٨٧ م (١٣٠٤ ه) بالرتبة الثالثة · ثم زينت صدره المملوء محبةً للعرش الحميدي الانور بالنيشان المجيدي من الطبقة الخامسة سنة ١٨٩٣ م (١٣١٠ ه) نسأَل اللهَ ان يرحمه رحمة واسعة ويسكنهُ جنةً اثمارها يانعة

يوسف افندي شاهين بقوله

أَيا طالب الدنيا تأَمل بحكمةٍ	فما لامرىءٍ بالدهر دول اقامةِ
لقد قصفت غصن الكمال يد الردى	وكم بالورى ذابت له من حشاشةِ
فصبرًا بني الخوري على الحزن والاسى	فقد بات ميخائيل في دار راحةِ
وقال تركت اليوم دار متاعبٍ	وفي الخلد بالتاريخ أَمَّتُ غايتي
سنة	١٨٩٢

(١) انظر مجلة الطبيب السنة السابعة صفحة ٩٠٤

الفصل الثاني

نشأته الأولى وحياته الطبية

ان صاحب الترجمة هو بكر والديه ولد سنة ١٨٣٠ م في مدينة حمص فثقفه والده وأدّبه بنفسه ثم بواسطة بعض علماء الاسلام الاعلام نخصّ منهم بالذكر الشيخ علي الحافظ الحمصي الشهير · ولم يكتفِ رحمه الله بالقليل الذي احرزه من الدرس القانوني على والده والشيوخ المشار اليهم بل عكف على مطالعة الكتب المختلفة المواضيع وحفظها وبما انه كان ذا ذكاء نادر المثال فقد وعى كثيراً من العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة والفلسفيَّة واتقن اللغات العربية والتركية والفارسية بفروعها وبعض الايطالية · وكان قد مال منذ حداثته الى فن الطب الشريف فأخذ لبابهُ عن والده وتمرّن معهُ في المشاهدات والاعمال اليومية فاشتهر امره وذاع ذكره · وقد روى لنا رحمهُ الله انه استدعي الى التطبيب في مدينة حماه وهو في السنة الرابعة عشرة من عمره

وفي سنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) لما كان له من العمر عشرون سنة صدرت الارادة السنية بامتحان اطباء وجرّاحي وصيادلة بلاد الاناضول وسورية · فارسل الباب العالي حضرة الميرالاي

الدكتور قسطنطين ليمونيديس بيك لتنفيذ هذه الارادة السامية فلما وصل الى حمص لم يجد من يتعاطى فيها صناعة الطب على الطرق القانونية الا صاحب الترجمة ووالده الخوري · فامتحنهما امتحاناً مدققاً أسفر عما عندهما من المعارف الواسعة · فسرّ كثيراً واثنى عليهما في مركز الحكومة المحلية واجازهما في التطبيب باجازتين رسميتين وعين الخوري عيسى رئيساً لاطبآء حمص وناظراً عليهم وهذا تعريب الاجازة التي اعطاهُ اياها عن اصلها التركي

«ان الباعث على تحريره هوانه

لما كانت الارادة السنية قد صدرت بتعييني مأموراً لمعاينة وامتحان الأطبآء والجراحين والصيادلة الموجودين في ايالات وألوية وأقضية ولايات الاناضول وعربستان التي هي من الممالك المحروسة الشاهانية فبحسب المأمورية لدى وصولي الى مدينة حمص نقدم للامتحان الطبيب الخوري عيسى المشتغل بمداواة اهالي المدينة المذكورة من مدة طويلة فاسفر امتحانه عن معارف وافية وتحقق لدينا انه عالم متضلع من علم التشريح وعلم الامراض وعلم المفردات الطبية اي تركيب الادوية واستعمالها · وفضلاً عن ذلك فلما كان حضرتهُ متصفاً بحسن التدبير واستقامة الاخلاق قد أُحيلت الى عهدة درايتهِ نظارة امور الاطبآء وفوّض في

مراقبة اعمالهم ومصالحهم · وبناءً عليهِ تحررت له هذه الاجازة وسلمت اليه في شعبان سنة ١٢٦٦ هـ »

محل الختم　　طبيب الحضرة السلطانية الخاص

قسطنطين　　مأمور من جانب المكتب الطبي الشاهاني

وهذا تعريب الاجازة التي اعطاها لولده صاحب الترجمة :

« ان الباعث على تحرير هذه الحروف هو انه :

لما كانت الارادة السنية قد صدرت بتعييني مأموراً لمعاينة وتفتيش الاطباء والجراحين والصيادلة الموجودين في ايالات والوية واقضية ولايات الاناضول وعربستان التي هي من الممالك المحروسة الشاهانية · فبحسب المامورية عندوصولي الى مدينة حمص تقدم للامتحان حامل هذه الاجازة وهو سليمان ابن الخوري عيسى الطبيب فتحققت لدى ذلك انه عالم ومتضلع من علم التشريح وعلم الامراض وتركيب الادوية واستعمالها وسلوكهُ هو وَفق ما تقتضيه الاصول والقواعد الطبية ولذلك تحررت له هذه الاجازة وسلمت اليه في شعبان سنة ١٢٦٦ هـ »

محل الختم　　طبيب الحضرة السلطانية الخاص

قسطنطين　　مأمور من جانب المكتب الطبي الشاهاني

وفي سنة ١٨٦٢ م (١٢٧٨ هـ) ارسل الباب العالي ثانيةً

احد اساتذة المكتب الطبي الشاهاني بالآستانة العلية وهو الدكتور اسكندر بيك للنظر في احوال الاطباء القاطنين في الممالك الشاهانية المحروسة . فلما وصل الى حمص وامتحن صاحب الترجمة ووالده افعم قلبه ابتهاجاً بذكائهما وتفننهما باساليب المعالجة وتعلم منهما استعمال علاج جديد في الحُمَّيات ذكره في الشهادة التي اعطاهما اياها واليك تعريبها عن اصلها الفرنسي

« انا الواضع امضائي وختمي ادناه اشهد علناً واثبت ان حضرة الخوري عيسى اول كهنة مدينة حمص ونجله سليمان افندي الحائزين على شهادتين من حضرة الدكتور قسطنطين ليونيديس هما طبيبان حاذقان وبارعان وطالما طبَّبا المعوزين مجاناً . وانا نفسي اعترف في هذا المقام اني تعلمت منهما معالجة الحميات (الملارية) بالشوكران (Ciguë) حمص في ٧ شباط سنة ١٨٦٢ م »

محل الختم — الدكتور اسكندر

اسكندر — مدير فن الكلينيك الداخلي سابقاً [1]

وبقي صاحب الترجمة يتعاطى صناعة الطب ويتفنن في طرق المعالجة وكل يوم يزيده الاختبار رسوخاً في هذا الفن وفائدة جديدة . وكانت الوفود ترد اليه للتطبب من اغلب المدن

(1) Ancien chef de clinique interne.

السورية كدمشق وطرابلس وحلب وحماه وبرج صافيتا وعكار وغيرها وكثيراً ما كان يشخص السقم ويداويه بدون ان يرى العليل بل بمجرد الكتابة اليه عن اعراض المرض · وممن طببهم على هذه الصورة المرحوم ابراهيم الطنوس ترجمان ولاية سورية الجليلة في دمشق سنة ١٨٥٩ م (١٢٧٥ ﻫ) واسكندر افندي نجل صديقه الوجيه الفاضل عزتلو سليم افندي اليازجي في عكار سنة ١٨٨٩ م (١٣٠٧ ﻫ) وغيرهما كثيرون · والى ذلك اشار حضرة الشاعر الاديب عبدالله افندي سليم اليازجي في قصيدته اللامية المدرجة في باب المراثي اذ قال :

أما كان يشفي الداء من دون ان يرى
وقد حار في الداء الطبيب المواصلُ
ومن عجبٍ تشخيصه سقم غائبٍ
ولكنه عن حالنا اليوم غافلُ

وفي سنة ١٨٧٥ م (١١٩٢ ﻫ) شددت الحكومة المحلية النكير على الاطباء غير القانونيين بناءً على طلب بيكباشي العسكرية وصيدليها منعاً للمضرة الناجمة عن تطبيب بعض الدجالين · فاستدعت اليها كل اطباء المدينة القانونيين وغير القانونيين للنظر في شهاداتهم · ولما سئل صاحب الترجمة عن الشهادة القانونية التي

تجيز له التطبيب ابرز اجازة الدكتور قسطنطين ليمونيديس بيك المدرجة آنفاً فقبلت واشعاراً بذلك كتب له مجلس الادارة شهادة تركية اليك تعريبها :

انه لدى التئام المجلس قرئت التذكرة المقدّمة من بيكباشي العسكرية وصيدليها القولاغاسي التي مفادها وجوب منع كل احد على الاطلاق مسلماً كان او غير مسلم من ممارسة التطبيب ما لم يكن بيده دوبلما (Diplôme) او شهادة (Certificat) نظراً لعدم جواز ذلك

وعليه استدعي الى المجلس رفعتلو سليمان افندي الخوري الذي هو احد الاطباء بحمص ولدى سؤاله عن الشهادة المجيزة له التطبيب ابرز شهادة مختومة من مأمور المكتب الطبي الشاهاني وبناء عليه فالافندي المذكور يمكنه ان يطب كما كان سابقاً ·
واشعاراً بذلك قد تحرر له هذا الاعلام من المجلس وسلم الى يده في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٢ هـ » محل الختم

مجلس ادارة قضاء حمص

وفي سنة ١٨٧٧ م (١٢٩٤ هـ) اصدرت الدولة العلية امراً بوجوب ذهاب جميع اطبائها الى الآستانة العلية لتأدية الفحص القانوني ونيل الشهادات الرسمية · اما صاحب الترجمة فلم يذهب

نظراً لتراكم اشغالهِ بل اكتفى بان ارسل ما بيدهِ من الشهادات
المجيزة له التطبيب التي احرزها من اساتذة المكتب الطبي الشاهاني
الذين زاروا حمص وامتحنوهُ ومن اطباء عسكريين وغيرهم .
فقبلت هذه الشهادات وصدر امر من نظارة الداخلية الجليلة مبنياً
على مفاوضة نظارة الصحة البهية تاريخهُ في ٢٣ ذي القعدة سنة
١٢٩٤ هـ رقم ١١١ ينبئ بمعرفتهِ طبيباً قانونياً (Docteur) ويجيز
له التطبيب بلا مانع

ومما امتاز بهِ فقيدنا في اول نشأتهِ الطبية كرههُ مذهب
بروسيه وسانسون (Broussais et Sanson) في الاستفراغات الدموية
« المفرطة » . فكثيراً ما كان يخطئ الاطباء الوطنيين والغرباء
لافراطهم في اخراج الدم ويقول لهم : « سيأتي وقت يضن فيهِ
الطبيب بقطرة دم في ما خلا الحوادث الموجبة تفريغهُ » . وقد
كشفت الايام النقاب عن صحة رأيهِ في هذا العصر كما لا يخفى

وروى لنا رحمه الله تعالى انه اجتمع مرَّة مع احد نوابغ الاطباء
العسكريين ليعالجا مريضاً مصاباً بالسحج (Dyssenterie) فارتأى
صاحب الترجمة ان يعالجه بشيء من الزئبق الحلو (Calomel)
فعارضه الطبيب العسكري واعترض عليهِ قائلاً « انك ان فعلت
ذلك تقتل المريض لا محالة » وانصرفا . ومن غريب الاتفاق انه

لم يمض على هذه الحادثة اكثر من اسبوع حتى وردت على الطبيب المذكور جريدة نمسوية فقرأ فيها ان مشاهير الاطباء النمسويين قد بدأوا يعتمدون على الزئبق الحلو في معالجة ذلك المرض. فهرع الى بيت صاحب الترجمة وامتدحه كثيراً امام والده الخوري واعتذر منه عن معاكسته رأيه فيما مضى

وقبلما فشا استعمال نترات الفضة (Nitrate d'argent) في معالجة امراض العيون كان صاحب الترجمة يستعملها منذ مدة وكثيراً ما حاول اقناع رصفائه في فن الطبابة بانهُ ما دام يقصد من استعمال التوتيا المعدنية (Sulfate de zinc) وما شاكلها قبض ملتحمة العين وتكمشها فنترات الفضة هي اشدّ تاثيراً واكثر قبضاً وعليهِ فهي انجع فائدةً

وكثيراً ما كان يستعمل كلورات البوتاس (Chlorate de potasse) كمانع للإجهاض (Antiabortif) استناداً الى اختبارهِ الشخصي واعتماداً على ان الجوهر المذكور يزيد وجود الاكسجين في الدم ولما كان يذكر ذلك لولده الدكتور البارع كامل افندي لم يكن ليقتنع بصحتهِ لانه لم يرَ لهُ ذكراً في المؤلفات الطبية. ولكن كم كان عجبه واندهالهُ عظيمين اذ ورده بعد وفاة والده بايام قلائل العدد ٤٨ من السنة السادسة عشرة لجريدة الطب الفرنسية المسمَّاة

(Journal des praticiens) اي « جريدة الممارسين » الصادر من باريس في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ · فانهُ قرأ فيه صفحة (٧٦٣) فصلاً يبين منه جلياً بدء اعتماد نطس الاطباء الاوربيين على هذا الجوهر كمانع للاجهاض واستعمالهم اياهُ في مقاومة هذا الداء

وقد عرف رحمه الله بتحريضهِ على اتقاء الامراض قبل حدوثها وذلك بحفظ القواعد الصحيَّة واشتهر بعدم رغبتهِ في اكثار المواد العلاجيَّة · وكان يغالي باستعمال الكينا في مقاومة الحمَّيات عموماً والبرداء (Fièvres Intermittentes) خصوصاً

ولهُ غير ذلك من الآراء الحسنة في التطبيب والافتنان في استعمال الادوية · كان يستند فيها الى اختباره الشخصي في المدة الطويلة التي زاول بها صناعة الطب نعرض عن ذكرها حباً بالاختصار

وقد اشتهر عند الخاص والعام بما أُوتيه من البراعة في الفراسة ومعرفة ما سيطرأُ على الانسان من الامراض المستقبلة حتى انهم يروون عنهُ نوادر تكاد تقرب من النبوءات · وكثيراً ما قال البعض من المسلمين الوطنيين : « ان للحكيم سليمان افندي الخوري كرامات كالانبياء »

وقد امتاز بتطبيبهِ الفقراء مجاناً وخصوصاً في ايام انتشار الهواء الاصفر في حمص سنة ١٨٤٨ و١٨٥٢ و١٨٦٥ و١٨٧٥ و١٨٩٠ و١٨٩٥ مسيحية

وفي سنة ١٨٩٠ م (١٣٠٧ هـ) لما كان الهوآء الاصفر متفشياً في حمص ارسلت الولاية الجليلة اليها وفداً من اطباء عسكريين ذوي مراتب رفيعة ومعارف واسعة وامرت بوجوب تاليف لجنة صحيَّة منهم ومن الاطباء القانونيين في المدينة لمقاومة فتكات الوباء · فتألفت اللجنة المذكورة وانتخب صاحب الترجمة رئيساً لها نظراً لدرايته وتبريزه واختباره الطويل · فقام باعباء هذه المهمة قياماً حسناً وتمم واجباته احسن تتميم مع ما كان يتعلق بهِ رحمهُ الله من المهام الطائفية والامور المختصة بوظيفته في المحكمة الابتدائية ومعالجة المصابين بالهوآء الاصفر وجمع الاحسانات من المسيحيين لتشييد كنيسة الاربعين شهيداً الى غير ذلك من الاعمال العظيمة التي يقتضي للقيام بها عدة اشخاص · فاكبر الاطباء العسكريون المذكورون غيرتهُ الوطنية وهمته الشماء · وشهدوا انهُ من افراد الرجال وخيرة الاطباء

الفصل الثالث

حياته في خدمة الدولة العليَّة

اما خدمته للدولة العلية فقد ابتدأَت رسمياً من سنة ١٨٦٥م (١٢٨١ هـ) فقد تنظمت الولايات الشاهانية تلك السنة وتعيَّنت مدينة حمص مركز لوآء. واول متصرف عُيّن لها هو خليل بك العظم الحموي. ولما التأَمت جمعية التفريق لانتخاب عضو من المسيحيين ينوب عنهم في مجلس ادارة اللوآء حاز صاحب الترجمة كثرة الاصوات فتعين في المنصب المذكور وجرى بحسب سنة الدولة العليَّة وتمم ما تامر به قوانينها المرعيَّة. وفي السنة التالية (١٨٦٦م و١٢٨٣ هـ) اقيل خليل بك من متصرفية حمص فخلفهُ المرحوم هولو باشا العابد الذي تمكنت بينهُ وبين صاحب الترجمة عرى الصداقة فكان يحبه محبة خصوصية ويعتني به اشد العناية ويشمله باحسن الرعاية. وفي سنة ١٨٦٧ م (١٢٨٤ هـ) نقل مركز المتصرفية الى مدينة حماه فانتخبته جمعية التفريق عضواً لمجلس ادارتها باتفاق الآرآء وصدر امر الولاية الجليلة بوجوب انتقاله الى منصبه الجديد في حماه. وهاك تعريب التحرير الوارد من سعادة هولو باشا المتصرف بحماه الى قائممقام حمص بهذا الشان

«لما كان قد صدر الامر من جانب معالي الولاية الجليلة بان

يكون صاحب الفتوة سليمان افندي الخوري احد اعضاء مجلس ادارة حمص من اعضاء مجلس دعاوى مركز اللواء · فبناءً على وجوب وجود الافندي المذكور في محل مأموريته المرجو بذل الهمة بابلاغه الكيفية واعطاء الافادة بهذا الخصوص · في سلخ جمادى الاولى سنة ١٢٨٤ هجرية و١٦ ايلول سنة ١٢٨٣ رومية

محل الختم　　　　متصرف لواء حماه

هولو عابد

اما صاحب الترجمة فابى قبول هذا المنصب نظراً لمحبته وطنه ومواطنيه واستعفى منه فقبل استعفاؤه وعاد الى عضوية مجلس ادارة قضاء حمص وبقي فيها موصوفاً بكل استقامة الى سنة ١٨٧٥ م (١٢٩٢هـ) حينما ثارت عوامل الغيرة والحسد في نفوس البعض من مسيحيي حمص فقصدوا عزله من العضوية المذكورة · ولذا قدموا الى جانب الولاية الجليلة تلغرافاً ممضى من خمسة عشر شخصاً يطلبون فيه ان لا يوضع اسمه في جدول الانتخاب لان له في العضوية المذكورة منذ تنظيم الولايات · فلما شاع هذا الخبر بين عامة المسيحيين ذوي الضمائر الحرّة والنفوس الابيّة استاؤوا من هذا الامر وحالاً رفعوا عريضة لجانب الولاية الجليلة موقعة ومختومة من ١٤٣ ذاتاً من وجهاء الطائفة وفضلائها

يلتمسون فيها من عدالة دولة الولي حالت باشا ابقاء صاحب الترجمة في العضوية المذكورة لان لهم به كل الثقة ولان انتخابهُ من جمعية التفريق كل تلك المدة كان قانونياً · فاجابهم دولتهُ الى ملتمسهم وهكذا بقي عضواً في مجلس الادارة موصوفاً بكل صدق واجتهاد وامانة الى شهر آذار سنة ١٨٨٠ م (١٢٩٧ هـ) فاستقال لاسباب لا يسمح بذكرها المقام · الا ان مدة استعفائهِ لم تطل لانهُ بعد ستة اشهر اي في ٢٠ ايلول من السنة المذكورة انتُخب وعُيّن عضواً للمحكمة الابتدائية · وفي السنة التالية (١٨٨١ م) عين مستنطقاً رسمياً للمحكمة المذكورة وهو اول مستنطق تعين في حمص وقد قام بواجبات هذه الوظيفة احسن قيام بكل نزاهة ومحافظة على النظام كما شهد بذلك الخاص والعام · وما برح عضواً عاملاً في المحكمة الابتدائيَّة ومتمماً واجبات المستنطقيَّة الى سنة ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) فانتدب باتفاق الآراء عضواً لمجلس ادارة القضاء وفي السنة التالية استعفى نظراً لشيخوخته وطعنهِ في السن · ولم يخلُ في هذه المدة ايضاً من حساد يعارضون ووشاة يناوئون شأن الرجال العظام لانه :

لا يُحسدُ المرءُ الا من فضائله ... بالعلم والحزم او بالبأس والجود

فقد قام سنة ١٨٩٨ م (١٣١٥ هـ) بعض ذوي الغايات النفسيَّة

من مسيحيي حمص وطلبوا من جمعية التفريق عدم وضع اسمهِ بالانتخاب · فلما فشا هذا الخبر بين بعض ذوي الغيرة العربية والحمية الوطنية من اسلام حمص الذين كانوا يحبونهُ ويجلونهُ كثيرًا رفعوا عريضة الى جمعية التفريق الموقَّرة مختومة من ٤٨ وجيهاً منهم وهذا نصها بحروفها :

« لساحة معالي جمعية التفريق الموقرة

يعرض العاجزون اسلام عثمانيون · بلغنا ان البعض من المسيحيين مباشرون بعرضحالات تتضمن الالتماس من جمعيتكم الموقرة عدم وضع اسم عزتلو سليمان افندي الخوري بالانتخاب · الامر الذي كدَّرنا جدًّا لكونهِ صادرًا عن مقاصد شخصية واغراض غير مرضيةً · ونظرًا لما هو مشهور عن الافندي الموما اليهِ من النزاهة والاستقامة والعفة وخصوصاً خدماتهِ للوطن والدولة من مدة تنيف على اربعين سنة فلذلك باتفاقنا نلتمس من هيئتكم المحترمة وضع اسمه بالانتخاب لانه قط ما شوهد ولا سمع عنهُ حركة مغايرة للرضا العالي بل دائمًا ساعٍ بالحب والالفة بين الاهالي · فعليهِ نكرر الاسترحام بما تقدم والامر لوليه افندم »

محل الاختام

فاجيب ملتمسهم وبقي في منصبهِ • وقد خلف من آثار خدمتهِ الصادقة للدولة العلية ما يلهج بالثناء عليهِ كل ذي ضمير حيّ وقلب سليم • وحسبنا شاهداً على ذلك ما احرزه من الرتب السنية • وما تحرر في الثناء عليه من الشهادات الرسمية • والوصايات الرفيعة من كبار رجال الدولة العلية • التي تشير الى صدقهِ واخلاصه في خدمتهِ • وتدل على حسن نزاهتهِ وتابعيته • وهي كثيرة يضيق المقام عن اثباتها فنكتفي ان نذكر منها فقط :

(١) امراً عاليًا صدر من جانب مسند الصدارة العظمى محمد امين عالي باشا الى دولة والي سورية علي باشا • اليك تعريبه عن التركية :

«دولتلو افندم حضرتلري

بما ان سليمان افندي الخوري الحكيم الحمصي قد وُجد اهلاً للتعطف والالتفات فنؤمل بذل الهمة والمساعدة الواجبة في جميع ما يقع للافندي المذكور من الامور الخاصة به مع احترامه وايفائه الرعاية اللائقة به • وعليهِ صار ترقيم شقة ثنائنا هذه في سلخ ذي القعدة سنة ١٢٧٤ هـ»

محل الختم

محمد امين عالي

(٢ً) شهادة تحررت من محكمة حمص الابتدائية حين انتخابه عضواً لمجلس الادارة سنة ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) وهذا تعريبها :

« ان عزتلو سليمان افندي الخوري الذي صدر الامر الآن بانتخابهِ عضواً لمجلس الادارة والذي صرف ما يقرب من عشرين سنة في عضوية محكمة حمص الابتدائية قائماً علاوة على ذلك بوظيفة الاستنطاق كان مواظباً في كل هذه المدة المذكورة على تطبيق جميع الامور والاعمال المختصة بمأموريتهِ على القانون الشريف. حتى اكتسب رضى الجميع وامتنانهم. وبما ان حضرته من اهل الدراية وقد وُجد اهلاً للمراحم السنية فقد صار تنظيم هذه الشهادة المُشعرة بحسن حالهِ واعطائها لجنابهِ في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ هـ و٢٥ تموز سنة ١٣١٦ رومية »

محل الاختام

(٣ً) شهادة تحررت من جانب مجلس ادارة القضاء حين استقالتهِ منهُ سنة ١٩٠١ م (١٣٢٠هـ) وهذا تعريبها :

« رقم ٥٨

ان عزتلو سليمان افندي الخوري من اهالي مدينة حمص ومن وجهاء طائفة الروم الارثوذكس فيها قد قضى ما ينيف على اربعين

سنةً في عضويةً مجلس ادارة حمص وفي محكمتها الابتدائيةً. ولقد صرف كل هذه المدة بكمال الصدق والاستقامـة وتوفق هكذا لاكتساب رضى العموم وسرورهم . الامر الذي اوجب تقديم الادعية الخيرية الى الله بحفظ صاحب الخلافة والشوكة . فالاقدام والغيرة اللذان ابداهما الافندي المذكور في كل منصب يستحقان التقدير والشكر . ولذا صار اعلان ذلك بتحرير هذه الشهادة وتسليمها الى يده في ١١ محرم سنة ١٣٢٠ و٦ نيسان سنة ١٣١٨ »

محل الاختام

الفصل الرابع

حياته الطائفية

ان البعض من مشاهير الرجال تقتصر شهرتهم على تبريزهم بنوع واحد من الأعمال الجيدة الحميدة . فبعضهم يشتهرون بمحبـة القريب وخدمته . وبعضهم يمتازون باتقان مهنتهم . وبعضهم بخدمة الحكومة السنية خدمة صادقة . وبعضهم بخدمة الوطن والطائفة خدمةً نصوحاً . وبعضهم بصفاتهم الادبية النافعـة . وقلما اجتمعت الشهرة في كل هذه الامور كما اجتمعت لصاحب الترجمة رحمه الله . فانهُ لم يقتصر على خدمته جيلهُ في الطب

والسياسة فقط بل خدم وطنهُ وطائفتهُ ايضاً الخدم الجليلة · وخلد له فيها الآثار الجميلة · التي تكسبهُ الثناء والشكران · مدى الدهور والازمان · وتستدرّ على ضريحه الرحمات · عداد الغيوث الهاطلات

واول ما ابتدأت خدمتهُ للطائفة سنة ١٨٥٩ م اذ انتخب باتفاق آراء الملة عضواً لمجلس مطرانية الروم الارثوذكس بحمص وقد امتاز عن سائر اعضاء هذا المجلس الذين كانوا ينتخبون ويتبدلون كل سنة بانهُ لبث فيه عضواً اولاً من آن انتخابه الى ان توفي اي نحو ٤٣ سنة كان فيها خير عامل بصدق وامانة واجتهاد · واول ساعٍ في سبيل النصفة واقامة الحق بحكمة وسداد

وفي ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤ م انتقل والدهُ الى رحمة باريه كما تقدم القول فعمّ الاسف عليه جميع ابناء بلدته · ولكن املهم الوطيد بان ولدهُ سيكون خير خلف لهُ خفف وطأة المصاب وقد تحقق هذا الامل فان صاحب الترجمة كان قد حذا حذو والدهِ في خدمة العموم بامانة واستقامة ونسج على منواله في الاخلاص للدولة العلية · فاكتسب رضى الجمهور وثقة اولياء الامور

وبما ان والدهُ المرحوم كان قبل وفاتهِ وكيلاً للبطريرك الانطاكي بحمص لعدم وجود مطران فيها [1] فلم يرَ الكهنة ووجهاء

---

(١) راجع الفصل الاول

الملة وكبراؤُها اليق بهذا المنصب الخطير من ولدهِ صاحب الترجمة فرفعوا عريضة تاريخها ٣٠ ك ١ سنة ١٨٦٤ م مذيلة بامضاءاتهم واختامهم الى غبطة البطريرك الانطاكي إيروثيوس الذي كان وقتئذٍ في الآستانة العلية يصفون فيها شدة أسفهم وحزنهم لوفاة ابيهم الجليل المطوب الذكر وكيلهِ السابق ثم يمدحون ولده ويشكرون مساعيهِ لخير العموم ويذكرون جليل صفاتهِ وما اوتيهِ من المواهب السامية · ويطلبون فيها من غبطتهِ ان يأمر بتعيينهِ وكيلاً لهُ في ابرشية حمص · فاجابهم غبطتهُ الى ملتمسهم وعينهُ وكيلاً لهُ لانه كان يحب والدهُ الخوري ويحبهُ محبة خالصة ويشملهما بالتفاتات خاصَّة · واصدر لبيان ذلك منشوراً بطريركياً بتاريخ ١١ شباط سنة ١٨٦٥ م · ثم اشعر الحكومة السنية فصدر امر من جانب ولاية سورية الجليلة الى حكومة حمص بوجوب معرفة وكالته المذكورة وهذا تعريب الامر المشار اليهِ :

« رقم ٤٣

عزتلو بيك

بما ان غبطة بطريرك طائفة الروم قد عين وكيلاً لهُ في حمص الطبيب سليمان افندي الخوري وقد طلب منا ان نخبركم بذلك كي تقدموا لهُ الاحترام اللائق وتسهلوا كلما يختص بوظيفته

فبناءً عليه ابذلوا الهمة باجراء كلما هو ضروري لرعايته واحترامه طبقاً للنظام مع قضاء كل الامور المختصة باشغاله . ولاجل ابلاغكم ذلك رقمت هذه الشقة »

شام في ٢٣ صفر سنة ١٢٨٢ هـ و ٣ تموز سنة ١٢٨١ رومية

محل الختم

السيد محمد رشدي

وبعد بضعة اشهر قدم غبطته مدينة حمص وجدّد فيها وكالته بمنشور بطريركي ثانٍ مؤرَّخ في ١٣ آب سنة ١٨٦٥ م فقام حينئذٍ بتدبير مهام الطائفة بعزم لايعرف الملل ولا الفتور . وفكك مشاكلها بهمة لا تألف الكلل ولا تبالي بصعاب الامور . فاشرق من ذلك الحين طالع سعده في مطالع المعالي . وبزغ في آفاق السؤدد والفخر كوكب مجده المتلالي . وبقي وكيلاً بطريركياً الى سنة ١٨٦٦ م التي بها سام غبطة البطريرك الانطاكي ايروثيوس السيد ديونيسيوس مطراناً لابرشية حمص . فاستلم هذا الحبر مركزهُ الجديد في شهر حزيران من السنة المذكورة وعيَّن صاحب الترجمة وكيلاً لهُ ونائباً عنه في الامور الطائفيَّة جميعها ومنحهُ بامر غبطة البطريرك لقب ليوغوثيتي اي محامي عن الحقوق الطائفيَّة لدى الحكومة السنيَّة . وعهد اليه بوكالة اوقاف الطائفة فسعى في

تحسينها وتزيد ريعها وحافظ عليها اشد المحافظة . وردع عنها المستبيحين اهتضامها غير ناظر الى مصلحته الشخصية التي كثيراً ما كان يعتورها بعض اضرار في حالات كهذه فلم يكن يبالي بها بازآء نفع العموم وخير الطائفة وخدمة الوطن

ولما رأى رحمهُ الله ان الامة لا ترتقي الا بانتشار المعارف والعلوم اهتمّ باعلاء شانها فألف مع بعض وجهآء الطائفة واعيانها لجنة اتحدت تحت رئاسته وقررت وجوب تنشيط مدارس ذكور الطائفة وفتح مدرسة جديدة للبنات ليستقي اولاد الارثوذكسيين التعاليم الصحيحة الخالية من الفساد . وكتب الى غبطة البطريرك الانطاكي ايروثيوس يخبره بهذه النهضة الجديدة . فأجابهُ نيافة السيّد سيرافيم مطران ايرونوبوليس وكيل غبطتهِ وقتئذٍ بطرس بركة مؤرخ في ١١ تموز سنة ١٨٧٩ م يثني فيه على همتهِ وغيرتهِ . ويشكر لهُ حسن مساعيهِ وحميته . ويبلغهُ رضى غبطة البطريرك عن هذا العمل المبرور وسرورهُ به . وكان يخصص لزيارة هذه المدارس كل يوم جزءاً من وقته الثمين يتفقد فيهِ صحة التلامذة والتلميذات . ويتعهد طرق التعليم عند المعلمين والمعلمات . ويلقي الخطب التهذيبية المفيدة بارق العبارات . ولما رأى لزوم تعليم اللغة الفرنسية استحضر لها معلماً . وكان ينشط التلامذة في تعلم هذه اللغة

المفيدة ويعطيهم قدوة صالحة في الاجتهاد في اكتساب المعارف بان كان يحفظ معهم يومياً دروس هذه اللغة

ولما رأى ان بعض العوائد المستعملة عند المسيحيين في المآتم والافراح غير حسنة ألَّف لجنةً سنة ١٨٨٤ وسنَّ لها قوانين اصلح بها كل ما هو ضارٌ ومغاير للذوق السليم وروح البساطة . فأثبتها وصادق عليها سيادة المطران ديونيسيوس وقبلها الشعب وعمل بموجبها

وبما ان المطران ديونيسيوس المذكور كان يونانياً لا يُحسن الخطابة العربية فكان صاحب الترجمة هو المكلف بالوعظ فكان ينشيء في كل احد عظةً يقرأُها احد الكهنة على جمهور المصلين . ولا يزال بعض هذه العظات باقياً بين اوراقه رحمه الله وفيها من طلاوة التعبير وبلاغة الانشاء ومتانة التركيب وتقريب المراد من افهام العامة بلفظ جزل والحقائق الدينيَّة حسب تعليم الكنيسة الارثوذكسيَّة ما يشهد لهُ بدقة الفكر وطول الباع واللوذعيَّة

وفي سنة ١٨٨٥ م استأثرت رحمة الله بالمطران ديونيسيوس فعادت الى صاحب الترجمة الوكالة البطريركية من قبل غبطة البطريرك الانطاكي جراسيموس . وفي ٢٥ آذار من السنة التالية (١٨٨٦ م) سام غبطة البطريرك المذكور سيادة الحبر الابر

المفضال السيّد اثناسيوس عطا الله مطراناً لابرشية حمص وهو مطرانها الحالي . فاتخذ سيادته صاحب الترجمة مساعداً لهُ في كل مشروعاتهِ وعضداً لهُ في كل اعماله وانشاءاتهِ ونائباً عنهُ في رئاسة المُفوَّض المليّ وسائر الجمعيات الطائفية واللجان الخيرية التي لهُ في تأسيسها وانمائها وتاليف قوانينها اليد الطولى والغيرة الشهيرة . فهو الذي اهتم سنة ١٨٩٠ م عند تجديد كنيسة الاربعين شهيداً فصرف اوقاته الثمينة في جمع الدراهم من المسيحيين ومناظرة البناء يومياً . وهو الذي نشط الجمعيات الطائفية على اختلاف مواضيعها بكل الطرق الممكنة . وهو الذي كان يتولى زيارة المدارس وامتحان طلبتها ورئاسة كل احتفال طائفي في غياب سيادته . وهو الذي عزَّز ونشط على الخصوص جمعية القديس ايليان لدفن الموتى التي تأسست سنة ١٨٩٢ م وساعد أعضاءها احسن مساعدة في تأسيس المدرسة الليلية سنة ١٨٩٤ م وتشييد كنيسة القديس جاورجيوس في حيّ الحميدية في السنة نفسها . واليك نصّ الرسالة الرسمية التي قدمها لهُ اعضاء الجمعية المذكورة . اعترافاً بما لهُ عليها من الافضال المأثورة . وقد قرأها لهُ سيادة رئيس الجمعية الفاضل . في محفل حافل . وهي :

«مقدام اهل البذل والاسعاف . ذخر الاماجد والاشراف .

صاحب الحمية والوجاهة السريّ الاكرم · عزتلو سليمان افندي الخوري الافخم · طال بقآؤهُ بالنعم

اليك يا درّة تاج الحكماء · وواسطة عقد الفضلاء · وفخر الاتقياء · وبقراط الاوان · وسليمان الزمان · وقدوة اهل الأقدار والرتب · وزبدة مخض الدهور والحقب · يرفع اعضآء هذه الجمعية تشكرات قلوب مُلئت من حاسات الشكر والثنآء · لما اظهرتموه من حسن مآثركم الغرّآء · واعمالكم المفيدة الحسناء · لانكم بالحقيقة ايها الهمام مصدر كل عمل خيريّ · وسند لكل مشروع وطنيّ · وحسبنا شاهداً ما بذلتموه من الهمة العلية · في بناء كنيسة القديس جاورجيوس في حيّ الحميدية · وما كلفتم به نفسكم الشريفة من المشقات في مساعدتنا لنجاحها · ولو رمنا تعداد ما ظهر من حسن اعمالكم النافعة للوطن والملة لعجزت اقلامنا دون ان نستوفي البعض منها · لان بأيّ مأثرةٍ رعاك الله لا تذكر · وبأيها اذا ذُكرت لا تشكر · أبكرمك على الفقرآء وتطبيبك ضعفآءهم مجاناً · ؟ اباعتنائك بنجاح بيوت العلم وبذلك ما عزّ وهان في سبيل تقدمها · ؟ أبغيرتك على تشييد بيوت الله وتزيينها · ؟ أبحسن افكارك وسموّ مقاصدك الشريفة · ؟ أبهمتك العلية وكرم اخلاقك اللطيفة · ؟ أباستقامتك ونزاهتك · وحسن تقواك وشهامتك · ؟ وماذا نعدّد من المآثر · فهيهات

ان تحصي النجوم الزواهر . ولكننا نضرع الى رب الارض والسماء .
ان يديم لنا ذاتكم الكريمة ممتعةً بالسرور والصفاء . والحبور والهناء .
ويحفظكم للوطن نبراساً . وللفضل والتقى اساساً . وللارثوذكسية
فخراً . ولكاتبيهِ سنداً وذخراً . بمنه تعالى وكرمه آمين في ٢٢
كانون الاول سنة ١٨٩٤ الداعون

(محل الختم) اعضاء جمعية القديس ايليان

الارثوذكسية لدفن الموتى بحمص

وهو الذي أسس اثناء غياب سيادة المطران في دمشق سنة
١٨٩٨ م جمعية الانشاءات الخيرية التي اتت الطائفة والوطن
باعمال نافعة جليلة . اهمها بناء مدرسة الاناث الشهيرة بجانب كنيسة
الاربعين شهيداً التي تمَّ بناؤها سنة ١٩٠٢ م . فكانت آخر
الاعمال المفيدة والآثار المجيدة الحميدة . التي ابقاها ناطقة بشكره
وثنائه . وشاهدة بفضله واتعابه واعتنائه . ومخلدة له الصيت الحسن
والذكر الجليل . ما بقيت ماثلةً للعيان وما بقي في الامة معترف بالجميل

الفصل الخامس

علاقته مع بقية الطوائف

ولم تكن همته رحمه الله مقصورة على خدمة طائفته بل كان
يخدم جميع الطوائف على السواء . وعلائقه الحبية مع مواطنيه

عامةً اشهر من ان تذكر . وكان يرمي في كل اعماله الى النفع العام . اما التعصب المذهبي والمباحث الدينية والمسائل الجدلية فلم يكن لها أثر في معاملاته مع الناس . بل كان ارثوذكسياً في كيستهِ فقط واما خارجها فكان عثمانياً موآخياً للجميع ومتفانياً في خدمة القريب . وهذه طائفة السريان الارثوذكس وطائفة الروم الكاثوليك وطائفة البروتستان اعدل شاهد على صحة كلامي اذ لا يزالون يذكرون ما لهُ عليهم من الافضال ويعترفون بما أدّاه لهم من الخدم الجليلة

اما حضرات الآباء اليسوعيين فكانوا يحترمونهُ اشد الاحترام . ويقدمون لهُ فائق الاعتبار والاكرام . لانه كان اكبر عضد لهم بإزاء الحكومة السنية ولانهُ خدمهم خدماً مجيدة جمةً . وحسبنا ان نثبت هنا تحريراً ارسلهُ اليه احدهم الأب درو بارتوليه وكيل رئيس ديرهم بحمص سنة ١٨٨٨ م يرجوه فيه ان يعضدهم في امر مهم حدث لهم في ذلك العام يتعلق بالبناء الذي يقيم فيه اليوم راهبات قلبي يسوع ومريم وهذا نصهُ الفرنسي :

Monsieur Soleiman Effendi Khouri.

En l'absence de notre Père Supérieur, connaissant du reste l'intérêt que vous voulez bien porter à notre communauté, je prends la liberté de vous recommander l'affaire de la maison habitée par les Sœurs.

Nous vous serons infi iment reconnaissants, si, grâce à vous, les religieuses peuvent bientôt vaquer en paix, dans leur maison libre à leurs travaux qui sont tout, vous le savez, pour le bien des enfants de Homs. — Comptant sur votre justice et votre bienveillance, j'ai l'honneur d'être,

Monsieur,
Votre humble serviteur,
Droz-Bartholet S. J.

Homs, le 16 Juillet 1888.

وهذا تعريبه

«سيدي سليمان افندي الخوري

نظرًا لتغيُّب حضرة الاب الرئيس ولكوني اعلم ما تقصدونهُ من النفع لرهبانيتنا أَتجاسر بان ارجوكم الاعتناءَ بمسئلة البيت الذي يسكنهُ الراهبات. فكم نكون من الشاكرين لكم اذا تيسر للراهبات بهمتكم ان يتمتعنَ في بيتهنَّ بحرية تامة وان يتعاطين الاعمال التي تؤول بجملتها الى فائدة بنات حمص كما تعلمون حضرتكم. واعتمادًا على ثقتي بعد التكم والتفاتكم اتشرف بان اكون لكم يا سيدي :

الخادم الوضيع

حمص في ١٦ تموز سنة ١٨٨٨ الاب درو بارتوليه اليسوعي»

اما علاقتهُ مع الشعب الاسلاميّ فناهيك بها لانــه كان موضع ثقة خاصتهم وعامتهم فكانوا يركنون اليه في كل مشكل

ويعتمدون على فطنته وخبرته في تطبيب مرضاهم . وكان المعزَّز المحبوب من كبرآئهم وعلمآئهم وذوي القدر الجليل والحسب الاثيل منهم مثل آل الاتاسي وآل الرفاعي وآل الجندي وآل الزهراوي وآل الحسيني وغيرهم

وكرههُ التعصب ومحبتهُ مسالمة الجميع ومؤاخاتهم دعا احد مواطنينا الادبآء الخواجه (ح . خ . الوطني) البروتستاني ان يكتب عنهُ بعد وفاته رحمه الله في العدد ١٩٢٥ من النشرة الاسبوعية ما يأتي :

« (وكان) لهُ ميل شديد الى الآرآء الانجيلية وقد اهتدى كثيرون بواسطته الى سوآء السبيل »

فترى مما ذكر ان حضرة الكاتب المدقق لم يكتفِ بان عزا لصاحب الترجمة البروتستانية (وهو قد ناقض ذاتهُ لانه كتب في فاتحة كلامه عنهُ انه فقيد الارثوذكسية) بل جعلهُ مبشراً بروتستانياً (كذا ...) ولا نعلم متى كان ذلك التبشير افي يقظة ام في المنام؟ ... ثم اظهر ان بشارته قد نجحت (بخٍ بخٍ) فاين كان ذلك التبشير أبين وثنيّ الصين ام في مجاهل افريقيا؟ ... ومن هم هؤلاء الذين «اهتدوا» بواسطتهِ الى البروتستانية؟ اي كم هو عددهم وما هي اسماؤهم؟ ليذكر لنا ذلك

حضرة الكاتب ان كان لكلامهِ ظلٌّ من الصحة . وماذا يقصد حضرتهُ بسواء السبيل سوى مذهبه البروتستاني كما هو ظاهر من سياق كلامهِ ؟ فلله درُّهُ من «خادم للانسانية» و«صديق للمتقين» «وأخ وطني» ومؤرخ صادق وانجيلي حقيقي يسعى «بكل محبة الى تأليف القلوب شأن خدمة المسيح اله السلام والمحبة

وقد فندنا زعمهُ هذا وزيفناهُ في العدد ١٩٧ من جريدة المحبة الغرّاء (صفحة ٧٦١ من سنتها الرابعة) فكتبنا ما يأتي :

« وكان على جانب عظيم من التقوى والورع يكره التعصب ويحب السلام . . . وكان شديد التمسك بعرى الارثوذكسية محافظاً على رسومها متمماً لاسرارها وطقوسها . واما ما ادَّعى به احد مواطنينا في احدى الجرائد من انه كان رحمهُ الله شديد الميل للآراء الانجيلية فان كان يريد بها الآراء البروتستانية فكلامهُ غير صحيح لان صاحب الترجمة ولد وعاش ومات ارثوذكسياً حرًّا يكرهُ المواربة والرئاء ولم يترك في قلبه فراغاً لآراء غير ارثوذكسية . نعم انهُ كان كثير المجاملة والتلطف لاخوانهِ على اختلاف المذاهب ولكن ذلك لا يدل على حيدانهِ عن سبيل الارثوذكسية والاَّ كان كل من لاطف من هم من غير طائفتهِ عُدَّ متبعاً طائفتهم وكانت انقطعت اواخيّ الولاء واواصر الوداد من بين الناس كما

لا يخفى . عدا عن ان من كان في منزلة صاحب الترجمة رحمه الله يجلُّ عن الرئاء والخداع الذي يعزوهُ اليهِ حضرة الكاتب بزعمهِ ظلماً وعدواناً . انتهى

فهذا ما كتبناهُ في المحبة ونحن نزيد عليهِ هنا انهُ لو كان صاحب الترجمة ميالاً للبروتستانية كما يزعم هذا المؤرخ فما الذي كان يمنعهُ عن اظهار ذلك الميل وعن التمذهب بالبروتستانية في حياتهِ ؟ لعل حضرة الكاتب يدعي انهُ كان يكتم ذلك حياءً من الناس . فنجيبهُ ان العمل الحسن لا يُستحى من اظهاره . والحياء من الله وتلبية صوت الضمير يُقدَّمان على الحياء من الناس . وفضلاً عن ذلك فلما كان رحمهُ الله على فراش الموت وهو قد عرف ان ساعتهُ قد دنت وانهُ عن قريب سينتقل من هذا العالم ويغادر الناس الذين كان يستحي منهم ويمثل بحضرة الله الذي يعرف خفايا القلوب والضمائر ولا يُخدع من احد فلماذا لم يظهر في ذلك الحين بروتستانيتهُ ؟ بل بالحري لماذا تمم كل رسوم الارثوذكسية وطقوسها فاعترف بخطاياهُ لله بواسطة الكاهن الارثوذكسي . وتناول القربان المقدس حسب التعليم الارثوذكسي؟ ألا يدل ذلك دلالة واضحة على ان كلام حضرة الكاتب مفترى . وانه كتبهُ بلا تثبت مدفوعاً بعوامل الغرض والهوى؟ وفيما تقدم كفاية لذوي

الالباب تميط عن وجه الحقيقة حجب المين . وتبين الصبح لذي عينين

الفصل السادس

رتبهُ

ان دولتنا العلية الابدية القرار أبت ان ترى عبداً من عبيدها يخدمها بصدق ونزاهة واجتهاد الا وتكافئهُ احسن مكافأة وتمنحهُ الامتيازات الفائقة . تنشيطاً لهُ وتقديراً لاتعابه وخدماته وحثاً لسواهُ على القدوة الحسنة بهِ . ولذلك فلما رأت عبدها الصادق المرحوم صاحب الترجمة مخلصاً في خدمتهِ . صادقاً في تابعيتهِ . متفانياً في عثمانيتهِ . طوقت جيده بعقود مننها ونعمها الجُلّى . فاحسنت اليه بلقب افندي وبالرتب الرفيعة . اما لقب افندي فقد منحتهُ اياه سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) وصدر بذلك امر سامٍ من جانب الصدارة العظمى فكان هو اول من احرز هذا اللقب بصفة رسمية من الحكومة السنية بين مسيحيي حمص . وقد بقي هذا اللقب ملازماً اسمهُ كعلم مركب الى حين وفاته . واما رتبهُ فانه نال الرتبة الثالثة سنة ١٨٦٨ م (١٢٨٥ هـ) فكان اول محرز لهذه الرتبة في بلدته . ثم الرتبة الثانية سنة ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ) ثم الرتبة المتمايزة سنة ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) وقد سُرَّ مواطنوهُ بذلك لانه نال ما

نالهُ عن جدارة واستحقاق . واذاع هذه البشائر كثير من الجرائد
واظهرت ان هذه النعم قد حلت محلها . وان هذه الرتب قد لاقت
اهلها . وقدِّمت اليه قصائد التهنئة والتبريك من شعراء كثيرين
يضيق عن ذكرها المقام ولذا فنكتفي منها بتاريخ نظمهُ لهُ جامع
هذا الكتاب عند نيله الرتبة الثانية المتمايزة سنة ١٩٠٠م وهو قوله

قد قصرت عن وصفك البلغاءُ   وتسابقت بمديحك الشعراءُ
وغدوت مشتهراً بغرّ مآثرٍ   من ذكرها تتأرّج الأرجاءُ
ومليكنا لما رآك بخدمة الا م اوطان   فرداً ما لهُ نظراءُ
اهداك يا ذا الفضل ثاني رتبةٍ   ممتازةٍ حفّت بها العلياءُ
فاسلم سليمان الزمان مؤرّخاً   واهنأ بها ما غنّت الورقاءُ

٣٣٨ ١٤٥٠ ٤١٨ ٦٣

سنة ١٩٠٠

الفصل السابع

صفاتهُ واخلاقهُ و بعض احوالهِ

(اوصافهُ الخلقية) : كان صاحب الترجمة رحمه الله ابيض
الوجه بهيّ الطلعة كامل الخلق ربعة القوام انجل العينين عريض
الجبهة مهيب المنظر متحلياً بسمات الرقة والرزانة والوقار

(اخلاقهُ و بعض احوالهِ : ان اول الصفات التي امتاز بها

هي شدة تعلقه بالدولة العلية الابدية القرار واخلاصه في خدمتها فكانت كل قواهُ منصرفة الى هذه الغاية الشريفة وكان يرمي في كل اعماله الى هذا المبدا الجليل · وكان لا يفتر عن الهذيذ بذكر مراحم جلالة السلطان الاعظم وحثّ مواطنيه بالقول والكتابة على الاخلاص للعثمانية والصدق في التابعية

ومن صفاته رحمهُ الله النزاهة وشرف النفس فانهُ قد خدم الدولة العلية اربعين سنة ونيف كان فيها آية الإباء وتميم الواجبات ولم يدنس ذيلهُ باقل الارتكابات · كما يشهد لهُ بذلك الجميع

ومنها محبة العدل والانصاف · فكان يتفانى منكرًا ذاتهُ في سبيل احقاق الحق ونصرة الضعيف

ومنها الاقدام والثبات والحزم · فانهُ كان ثابت الجنان يقدم على العمل النبيل الغاية بعزمٍ يفلّ الراسيات · وحزمٍ يمهد العقبات · ومما كان يجعلهُ ثابت القدم قليل التقلب اليف الفوز هو انهُ لم يكن يُقدم على عمل او رأيٍ الا بعد الامعان الشديد والبحث الدقيق والتامل الطويل

ومنها التقوى وممارسة الفضائل المسيحية · فانهُ كان تقيًا حقيقةً لا تصنعًا يكثر من الفضائل ويتجنّب المحرّمات · ويحافظ على طقوس كنيستهِ الارثوذكسية واسرارها ونواميسها اشد المحافظة

ولهُ كثير من الاعمال الفضلى التي تدل دلالة صريحة على فضيلته وتقواهُ . وحفظه اوامر الربّ ووصاياهُ

ومنها محبة الخير والاحسان . فان اعماله الخيرية وخدمهُ للفقرآء واحساناته الى البائسين ومداواته مرضاهم مجاناً اشهر من ان تذكر

ومنها محبة الوطن والقريب . فقد كانت همته منصرفة الى تكميل هذه الفضيلة الحميدة في كل اعماله وتصوّراته . ولم تكن تمرّ ساعة من ساعات حياته الا وفيها برهان ساطع على كلفهِ الشديد بهذه الفضيلة المقدسة وبذلهِ كل ما عزَّ وهان في سبيل تتميمها . فكأنهُ هو المعنيّ بقول شاعر العصر رحمه الله

خدم البلاد وليس اشرف عنده من ان يسمَّى خادماً لبلادهِ
ومحبة الاوطان كان يعدُّها مما يدور عليه امر معادهِ

ومنها الصبر على الشدائد والمصائب . والثبات امام الضرّآء والنوائب . وحسبنا ان نذكر ما امتحنه به الله سنة ١٨٨٢ م وهو فقد نجليه الاديبين المهذَّبين المرحومين عيسى ونجيب إبَّان الثورة العرابية في طنطا (وكانا يتاجران فيها) . وقد فقد معهما زُهآء الفي ليرة فاظهر رحمهُ الله على هذه المصيبة الصمآء من الصبر الجميل ما حيَّر الالباب . وكان يعزّي الآتين لتعزيته كأن لم يحدث لهُ شيءٌ

حتى غدا مضرب الامثال في الايمان بالله والشكر له عند حلول الأرزاء · وقد رُزئ ايضاً سنة ١٨٩٦ م بفقد اخيه المرحوم الدكتور ابرهيم طبيب بلدية حماه وقتئذٍ[1] فاظهر في هذه المصيبة ايضاً من التجلد والصبر ما يندر صدورهُ من سواه · وكثيراً ما كان يقول : انه قضى مجاهداً في ميدان الحياة نحو ستين سنة عرك فيها خطوب الزمان وصروفه فغلبها بصبرها وحكمته وشجاعته فلهذا اصبح لا يبالي بتصرُّفات الاقدار ولا يكترث بتقلُّبات الايام لان من الف الشيء هان عليه · وكان كثيراً ما يردّد في مثل هذا المقام قول ابي الطيب المتنبي

سدكتُ بصرف الدهر طفلاً ويافعاً   فأفنيته عزماً ولم يفنني صبرا

وقول الآخر

سأصبر حتى يعلم الصبر انني   صبرت على أمرٍ أمرَّ من الصبرِ

اما امانته في الخدمة العمومية وسائر اعماله فليست تحضرنا عبارة للافصاح عنها · وحسبنا القول انه كان في خدماتهِ المتوالية للدولة والطب والطائفة مثال الامانة والاستقامة والغيرة

وكان رحمه الله نشيطاً في اعماله حتى آخر حياته متمماً وعوده واقواله اذا قال صنع واذا صنع نفع · « محافظاً على اعلاء مركزه

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الاول من هذا الباب

الاجتماعي بالاجتهاد والثبات. وعمل الخير واتمام الواجبات». وكان وديعاً في كل معاملاته. حافظاً صداقة معامليه وذمامهم لا يريد ان يستبدلهم بسواهم. متواضعاً لكل احد وخصوصاً لجلسائه يُظهر لهم كل ما يمكنه من رقة الجانب والدعة ويجلس امامهم على ركبتيه متأدباً ولو مهما كان قدرهم وضيعاً. وكان لطيفاً مؤانساً يلاطف مرضاه اشدّ الملاطفة فيمتلك عواطفهم وينالون بلطفه وايناسه الشفآء. ان لم ينجع فيهم الدوآء. وكان بشوش الوجه لا يقابل احداً الاّ بالابتسام والمجاملة. محبوباً من جميع مواطنيه على اختلاف مذاهبهم مكرّماً لدى اولياء الامور وذوي المناصب السامية دينيّين ومدنيين. وكان يحب المعارف والعلوم. ولا ريب فهو الذي جدّ بتحصيلها من المهد الى اللحد وهو الذي بذل الاموال الطائلة بسخاء في سبيل تعليم بنيه وتثقيفهم في اشهر كليات سورية مع انه لم يكن من المثرين. وله في هذا الشان كثير من الاقوال المأثورة التي تدلّ على حصافته وسمو مداركه ومحبته للمعارف نذكر هنا بعضها فمنها قوله: «اني اريد ان اترك لاولادي علماً وادباً لا مالاً وذهباً» وقوله: «اني اعتقد انهم اذا كانوا علمآء خير لهم من ان يكونوا أغنيآء أغبيآء» وقوله: «اني مستعد ان انفق كل مالي وابيع جميع مقتنياتي واصرف ثمنها في سبيل تعليم بنيّ وتثقيفهم

واكون انا المصيب لاني لا اعتبر المال شيئاً بل العلم هو الشيء الثمين» وغير ذلك

وكان يحب المطالعة وقد اقتنى لذلك مكتبة جامعة نفائس الكتب قديمها وحديثها كان يقضي في تصفحها ساعات فراغه . ونظراً لكثرة مطالعاته اصيب بمرض في معدته وهو في عنفوان الشباب لزمه عدة سنوات . وكان كلفاً بفن التاريخ وعلى الخصوص بتأريخ مسقط راسه حمص . وكان له ولع شديد بالعاديات (Antiquités) وكان بارعاً في معرفة اعصرها وقراءة كتاباتها وقد اقتنى منها شيئاً كثيراً . منها بعض تماثيل ضريحية تدمرية رسمها بالنور (Photographie) حضرة الاب المدقق هنري لامنس اليسوعي وأثبت تلك الرسوم مع تفسير الكلمات المنقوشة عليها حضرة الأثريّ الشهير الاب سبستيان رونزفال اليسوعي في مقالته البديعة المعنونة «قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها» المدرجة في اعداد السنة الثالثة من مجلة المشرق الغرّاء

وكان مطلعاً على العلوم العصرية والاختراعات الحديثة عارفاً بكل فن ومطلب . لا يكلمه احد بموضوع من المواضيع الا ويخوض معه فيه كأنه ابن بجدته . وكان ذلق اللسان يندفع في الحديث والخطابة كالبحر الزاخر لا يقف ولا يتلجلج ولا يحتبس ولا يتهيب

فصيح اللهجة بليغ العبارة متأنياً في كلامه وحركاته . وكان عفيف اللسان نزيهه لم يُسمع له كلمة بذيئة قط لا في حديث ولا في كتابة وكان يكره الغيبة اذا ذكر احد امامه بسوء اطرق واغضى كأنه لا يسمع وكثيراً ما كان يردّد هذه العبارة : « لا تخرج الغيبة الامن نفس معيبة » . وكان متين الحجة سديد الرأي ذكياً قوي الذاكرة سريع الخاطر حافظاً نظامات الدولة العلية وقوانينها ومحافظاً عليها كل المحافظة . وكان ذا فكر حاد في تفكيك المشاكل وحل الامور المعضلة . بارعاً في الانشاء وقد علق في صباه بقرض الشعر فنظم ابياتاً قليلة ثم رغب عنه في ما هو اهمّ منه . وله في المحافل العمومية الخطب البليغة التي تشهد له بطول الباع في المعارف والحكمة وكان يدعو فيها العموم الى اعمال البر والتقى ويحثهم على الفضائل المسيحية . ويحرضهم على صدق العبودية للدولة العلية . والدعاء الحارّ بحفظ الذات الشاهانية

وآخر خطبه خطاب ارتجله في عيد القديس اثناسيوس (١٨ ك٢ سنة ١٩٠٢) سميّ سيادة مطران حمص الكلي الورع بناه على قول داود النبي والملك : « لقد عظم عليّ اصفياؤك يا الله جدّاً واعتزّت رئاستهم جداً » (مز ١٣٨ : ١٧) اثبت فيه شفاعة القديسين بالادلة العقلية والنقلية . والبراهين الكتابية الجليّة .

وحثَّ السامعين على وجوب اكرامهم والتماس صلواتهم ثم تطرَّق الى ذكر سيادة صاحب العيد وتهنئته

وكان جميل المحضر جليله كثير الروايات والنكات والفوائد والامثال اذا تكلم خلب الالباب واخذ بمجامع القلوب للطافة قوله وحسن اسلوبه · يخاطب كل انسان بحسب معرفته وفهمه ويذهب في كلامه كل مذهب · وكان صدره خزانةً جامعةً كثيراً من الآيات الكتابية · والاحاديث النبوية · والعبارات الحكمية · والابيات الشعرية · والامثال الادبية والعامية · التي كان يرددها في خطبه وكتاباته ومحادثاته العمومية · نذكر منها امثلةً دلالة على سلامة ذوقه وحسن اختياره

فمن الشعر كان يردد قول بعضهم

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذَّة الجسورُ

وقول الآخر :

اسد عليَّ وفي الحروب نعامةٌ   ربداء تجفل من صفير الصافرِ

وقول الآخر :

الدهر يفترس الرجال فلا تكن   ممن تطيشهم المناصب والرتبْ

وقول بعضهم :

ويطلب الانسان من فعله   ففعله عن اصله يخبرُ

وقول الآخر :

لو كان بالعلم من دون التقى شرفٌ لكان اشرف خلق الله ابليسُ

وقول الآخر :

كم سيد متفضِل قد سبَّهُ من لا يساوي خرزةً في نعلهِ

وقولهم :

الكبر مفسدةٌ للدين منقصةٌ للعقل مهلكةٌ للعرض فانتبهِ

وقولهم :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

وكان يحفظ و يردّد اغلب اشعار المتنبي الحكمية· واكثر ابيات عنترة الحماسية· وقصيدة الطغرائيّ الشهيرة المعروفة بلاميّة العجم ومطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ

وكذلك لاميّة ابن الوردي المشهورة التي يقول في مطلعها :

اعتزل ذكر الاغاني والغزَلْ وقل الفصل وجانب من هزَلْ

وغير ذلك مما يضيق المقام عن الاشارة اليه

واما من النثر فكان يردِد هذه الاقوال :

الشيخوخة غمامة تمطر الامراض

يخلق ما لا تعلمون

وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم · وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم

لا يعرف الانسان قيمة النعم المنسكبة عليه الا متى فقدها

التجارب مدارس الاختبار

البخل هو عبادة اصنام وخصوصاً اذا نتج منه مضرَّة بالصحة فيكون عبادة اصنام وقتلاً

اذا كانت الشهوة فوق المقدرة كان تلف النفس دون بلوغها

الامور مرهونة باوقاتها

ان لم يكن ما تريد فأَرد ما يكون

در مع الدهر كيفما دار

الطمع مركب الذل والهوان · ونهايته الخيبة والخذلان

خير الناس من نفع الناس · وشرهم من تشاغل بمحبة نفسه · عن خدمة ابناء جنسه · الى غير ذلك من الحكم الفريدة

وكان رحمه الله سياسياً محنكاً قد عرك الايام بطناً وظهراً · وكرع من كؤوس احوالها وتقلباتها حلواً ومرًّا · فلم يزدد الا اصالة رأيٍ وحكمةً وثباتاً وخبرا · وكان زاهداً في المعيشة لا تهمهُ حطام الدنيا ولا يكترث بزخارفها ولا اخذ من نفسه الحرص بل كان يحتقر المال وسعة العيش بطريق العسف والدناءة · ويفضل

العيشة البسيطة الشريفة بطريق الحق والامانة · ويكتفي باليسير من الغذآء والملبس · متمثلاً بالحكم الآتية :

يأكل الانسان ليعيش · ولا يعيش ليأكل

القناعة غنى والعيشة البسيطة هي السعادة

كل شيء زاد نقص

فرط التناهي غلط · وخير الامور الوسط

وبقول السموأل :

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

وبقول الآخر :

كسر وماءٌ وظلُّ هو النعيم الأَجلُّ

وكان مهتماً بالامور الجوهرية · ومعرضاً عن الاشيآء العرضية والملاذ الجسدية · لم يتعاطَ في زمانه مسكراً قط ولا حضر ليالي طرب الا نادراً · وبعكس ذلك كان يسرع الى المآتم ويجتهد في تعزية الحزانى ومؤاساة المصابين بفقد اعزائهم · ومن صفاته الحسنة انه لم يكن يخيّب آملاً ولا يردّ طالباً ولو مهما كلفه ذلك

وبالاختصار فقد حوى من الصفات الادبية · والاخلاق الرضية السنية · ما أهّلهُ لان يكون الرجل الفريد في وطنه وملته · وفيما ذكرناه من احاسن تلك الصفات غنىً عن المزيد · وحسبنا

من القلادة ما أحاط بالجيد .

الفصل الثامن

اسباب ارتقائه

من الغني عن البيان ان البحث عن اسباب ارتقاء الناس وهبوطهم يحوي فوائد جمة • ومنافع جليلة مهمة • لان معرفة اسباب التقدّم والترقي تُثير في النفس عوامل الغيرة والحمية وتبعث المرء على استعمالها والاقتداء باربابها الافاضل • وبعكس ذلك معرفة اسباب الانحطاط اذ تجنبها الانسان ويتنكب عن سبلها لانه ميّال طبعاً الى الترقي ومحبة المزيد

وبناءً عليه فقد رأينا من الواجب ان نُدوِّن هنا الاسباب الأُولى التي ارتقت بفقيدنا العزيز الى ارفع المقامات واكسبته الكرامة في اعين الجمهور فضلاً عن رضى الدولة العلية ايدها الله • وذلك تكملةً لتاريخ حياته وتنشيطاً لسواه من محبي الترقي ليأنسوا بهِ ويتأثروا خطواتـه • وتلك الاسباب هي (على ما أرى) الأَربعة الآتية:

اولاً : مقام والدهِ:

قد ذكرنا آنفاً ان والده المثلث الرحمات كان معزّز الجانب

نافذ الكلمة لدى الحكومة السنية ومواطنيه كافةً . اما طائفته الارثوذكسية فكان هو الآمر الناهي فيها . والمعزز لاركانها والمثبت لبنيها . ولما نشا ولده صاحب الترجمة صار افراد الطائفة والمواطنون اجمالاً يكرمونه ويحترمونه اجلالاً لوالده . ثم تمكن هو بواسطة الاسباب الآتية من اكتساب ثقة الجمهور وفاز بمحبة الناس الاكيدة له واعتبارهم اياه

ثانياً : حرفته :

فقد كان رحمه الله هو الطبيب القانوني الوحيد في حمص بعد وفاة والده ولذلك كان سائر مواطنيه في حاجة ماسة اليه لمداواة اسقامهم ومعاينتهم الصحية فكانوا مضطرين ان يوقروه ويكرموه ويعززوا جانبه ومما كان يدعوهم الى ذلك بالاكثر شدة ملاطفته للمرضى وامتلاكه حبات قلوبهم باحاديثه الرقيقة وتسليته لهم ومؤاساته اياهم ابان المرض وعلى الخصوص تطبيبه الفقراء منهم مجاناً

ثالثاً : استعداده الطبيعي ومعارفه المكتسبة :

ان كثيرين من الناس يرثون من آبائهم مجداً ومقاماً رفيعاً بين مواطنيهم ولكنهم لجهلهم وعدم معارفهم يضيعون ذلك الارث الثمين باعمال دنيئة ويبيعونه بابخس الاثمان فيشابهون عيسو الذي

باع بكوريته باكلة عدس . ولكن الحازم حقيقة هو من يجتهد في صون ما عنده ويسعى في ان يزيد عليه كل ما هو ضروري لنجاحه وتقدّمه وارتقائهِ . وهكذا نرى صاحب الترجمة فانهُ فضلاً عن حفظه الكرامة التي ورثها من ابيه قد اجتهد فحصل بنفسه مجداً طريفاً جماً . وبما ان الله عزّ وجل قد اودع فيه نفساً كبيرة لا تقنع الا بكبار الاعمال ولا يرضيها الا اسمى المراتب فهو اذن مستعدٌ إستعداداً طبيعياً للتقدّم . ولكنه لما رأى ان هذا الاستعداد الطبيعي لا يفيد شيئاً ما لم يكن مقروناً بالمعارف الواسعة والتفنن في جميع العلوم عكف على اكتسابها بكل اجتهاد ورغبة وانفق ما عزّ وهان في هذا السبيل المشكور حتى اصبح في عصره العالم الوحيد والحاذق المشار اليه بالبنان بين افراد طائفتهِ . ولذلك كان اهلاً لاكرامهم واعتبارهم وترقيتهم لهُ والاعتماد عليه في كل امر خطير ومشكل كبير

رابعاً : صفاته الادبية واخلاقه الحسنة :

ان امانته في خدمة الدولة العلية ونزاهته وصدقه في جميع معاملاته واقدامه وثباته في اعماله وتواضعه في سائر احواله وغيرته الوطنية وباقي صفاته الادبية (راجع الفصل الماضي) كل تلك لدى المتأمل البصير اسباب اهلّته للارتقاء والصعود في معارج

التقدم والفخار وجعلته محبوباً مكرّماً من مواطنيه واولياء الامور ونقشت له على صفحات القلوب فضلاً عن صحف التأريخ ذكراً حميداً مخلداً · واسماً مجيداً مؤبداً

الفصل التاسع

مرضهُ الاخير ووفاتهُ

قد ابتدأ مرضه الاخير قبل وفاته رحمه الله بثلاثة اسابيع · فيوم الاربعاء الواقع في ٢ تشرين الاول شرقي سنة ١٩٠٢ بينما كان يغسل يديه ووجهه عقيب تناوله طعام الظهر شعر بألم في الجانب الأيسر من صدره وكان ولده الدكتور كامل افندي واقفاً بازائه فاستصرخه باضطرابٍ قائلاً: «أيا ولدي ها قد حدثت لي نوبة ألم فؤادي (Névralgie du cœur) وهذا ما طالما كنت اخشاه» · واستمرَّ هذا الألم بضع دقائق ثم زال ولكن ليس تماماً بل بقي الفقيد يشعر بآلامٍ متنقلة في الجهة الامامية والخلفية من صدره ولكنها لم تمنعه عن تعاطي حرفته بل كان يقابل المرضى كعادته بوجهٍ باشّ ويلبي من قصده لعيادة عليل · وفي الاحد الواقع في ٦ ت ١ ذهب صباحاً الى الكنيسة واستمع صلاة القداس الالهي مصلياً بحرارة قلبية · ثم صرف الاسبوع التالي وصحته على

غير انتظام وقد فقد من جراء ذلك شهوة الطعام وكثيراً ما انتابه قياء كان يشرب لمضادته الجُرع الفوارة (Potions de Rivière) وعصير البرتقال مع السكر مهملاً بقية الادوية لان معدته كانت تتهيج منها تهيجاً كثيراً ومقتصراً على الحمية الشديدة جرياً على القول المأثور: «المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء» ·

وفي الاحد التالي الواقع في ١٣ منه توجه الى الكنيسة (ولكن راكباً) وهناك حضر القداس الالهي بكمال الورع والتقوى اللذين كانا من اول صفاته · وفي يوم الثلاثاء الواقع في ١٥ منه اختلطت معه الاعراض المعدية باعراض رئوية أهمها حصول ضيق نفس شديد استدعى وضع الخردليات (Sinapismes) واستعمال الحجامة الجافة (Vantouse Sèche) على الصدر · ومن ذلك الوقت اصبحت حياته الثمينة تحت خطر الموت لان الالتهاب المزمن في شُعبه الغِلاظ امتدّ وقتئذٍ الى الشُعَب الدِقاق · وكان ولده الدكتور سليم افندي بحماه فلما بلغه الخبر اسرع بالاياب الى حمص · وفي مساء الاربعاء في ١٦ منهُ حصل لهُ نوبة عسر تنفس شديدة اتعبته كثيراً وشعر في ابانها بقرب انقضاء أجله وبانهُ عما قليل سيلاقي خالقه فسلم ذاته لله واستدعى معلم اعترافه واعترف لله بواسطته بجميع ذنوبه وتناول القربان المقدس نادماً على خطاياهُ ندامة حقيقية

وتائباً عن اوزاره توبة صادقة · ولافظاً عبارات تقوية من شأنها
ان تبعث بسامعها على اقتحام ساعة الموت المُرَّة بكل بشاشةو بسالة
منها قوله : « يا الله اغفر آثامي العديدة اكراماً ليسوع · يا الهي
اغسل خطايا جهلي وصباي بدم ابنك · اقبلني يا يسوع في آخر
حياتي كما قبلت اللص في آخر نسمة من حياته ومتِعني يا الهي
بالخيرات الابدية التي اعددتها لمختاريك » الى غير ذلك من
الاقوال الدالة على تقواه وحسن ايمانه بالله عزَّ وجل · ولم يتذمر
او يتضجَّر قط مع ما كان عليه من عسر التنفس وانقباض الصدر
بل كان دائماً يستغيث بالله وعلى الخصوص عند اشتداد النوب
المكربة · وكان اذا سأله احد مم انت متضايق ومن اي شيء
تشكو ؟ يجيبه قائلاً : اسأل الله ان لا يريك كرباً كهذا يا اخي
او يا ابني حسب سن المخاطب · وكان يعزّي افراد أُسرته وعامة
المجتمعين حوله بقوله : انه قد قضى وطره من الدنيا اذ خدم
القريب بقدر استطاعته وانه فرحٌ لانه منطلق الى فاديه يسوع
وانه قريباً تتمتع برؤية اولاده واعزّائه واصحابه الذين سبقوه
من ذي قبل · كل ذلك مما يدل احسن دلالة على وجود ايمان
حي حقيقي في قلبه المولع بعمل الخير وعلى وجود رجاء وطيد
عنده بوعد خالقه ومحبة اكيـدة له · واخيراً وجه الخطاب الى

ولديه وبعد ان شجعهما على احتمال فراقه اوصاهما بالاتكال على الله وحثهما على خدمة الطائفة والوطن وحسن السلوك مع الجميع · ثم اشتدَّ عليه المرض وتواتر التنفس وتكرَّرت نوب الاختناق فبذل ولداه بالاشتراك مع سائر أطبآء البلدة كلما بالوسع لتخفيف وطأة الداء ولكن ذلك كله ذهب عبثاً

واذا المنية انشبت اظفارها   ألفيت كل تميمةٍ لا تنفعُ

فما كان يذوق لذَّة الراحة الا بضع ساعات ينام فيها مخدَّراً بفعل المورفين (Morphine) وكان مواطنوه عموماً على اختلاف الملل والنحل في قلق شديد من جهتهِ · يتواردون افواجاً افواجاً لعيادته واستفسار صحتهِ · ومما يذكر ان صاحب الفضيلة حافظ افندي الجندي قال لهُ حينما عاده : « لا فجع الله بك الوطن يا سليمان افندي » · ولما عاده سيادة المطران اثناسيوس المرَّة الاخيرة قبل وفاته بيومين قال لهُ : « يا سيدي اني كنت كثير العلاقة مع الناس واخشى ان اكون قد اسأت الى بعضهم فارجو من سيادتك ان تطلبوا لي الصفح من الجميع واني اصفح من صميم قلبي عن كل من أساءَ اليَّ او اراد مضرَّتي »

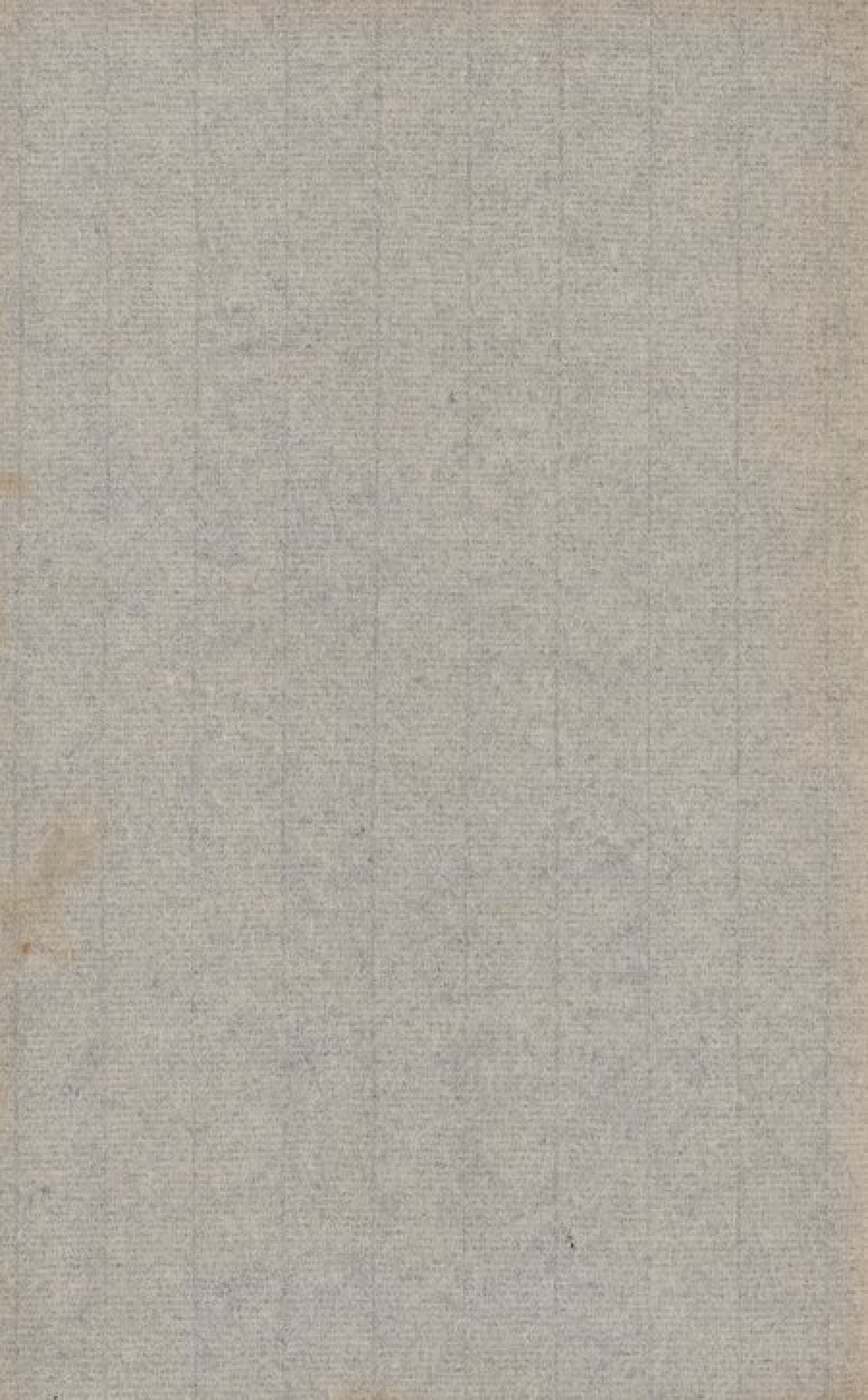
وكان رحمه الله وهو في حال الخطر الشديد يسلّم على الجميع بوجهٍ طلق وكثيراً ما كان يحاول النهوض لدى توديع عائديه

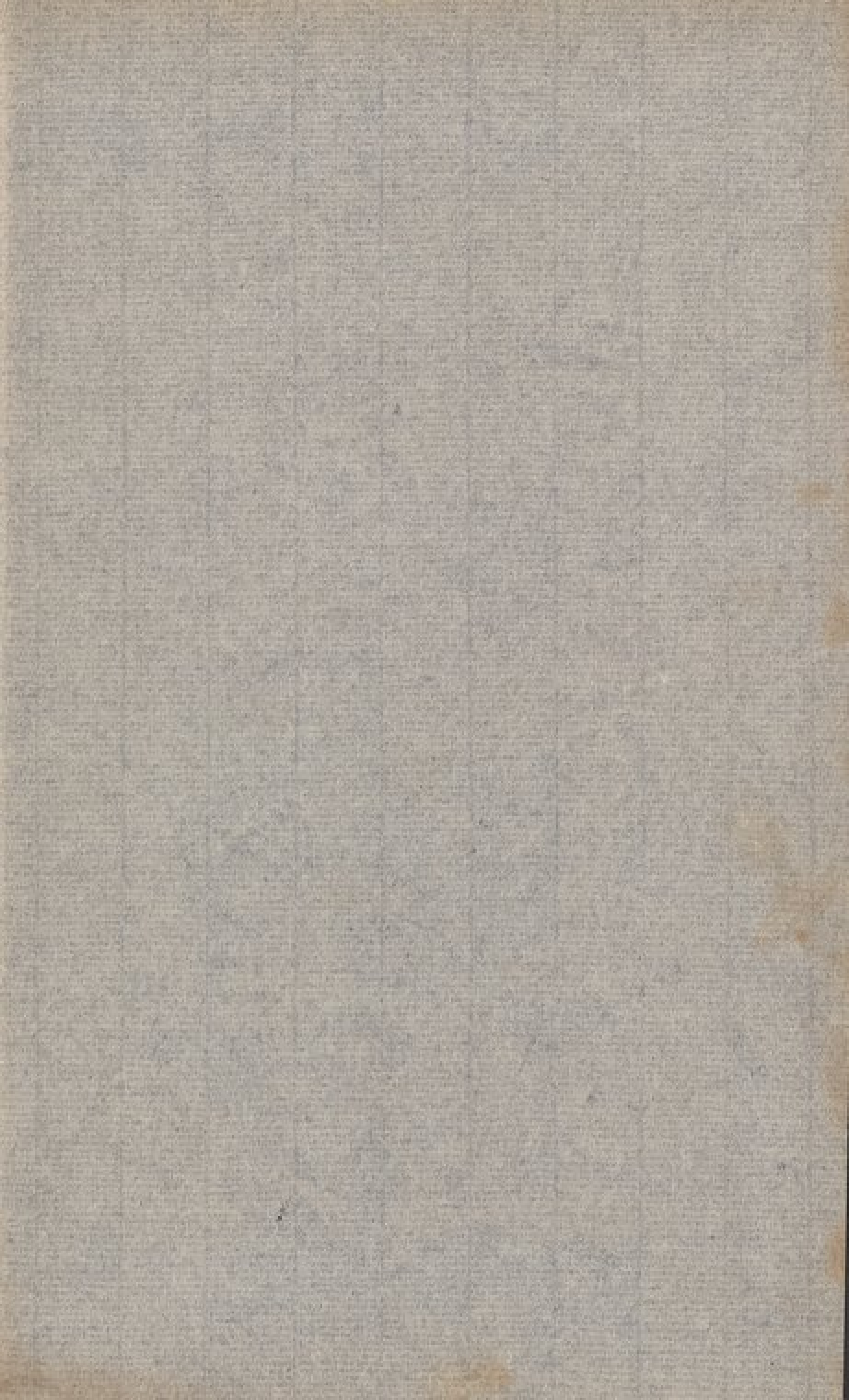
بالرغم عن ارادة الأطباء · فكأن صفاتهُ الغرّاء التي كان ممتازاً بها في كل اطوار حياته واخصّ منها بالذكر التواضع واللطف أبت ان تفارقهُ وهو مريض مدنف · وبقي في حالة كرب شديد من جراء عسر التنفس جالساً على فراشه لا يقدر ان يضطجع الى ان اسلم روحه الطاهرة بايدي الملائكة ليلة الثلاثاء الواقع في ٢٢ ت ١ فاكبر الوطن خسارته الفادحة وجرى لهُ مأتم حافـــل كما سيأتي في الفصل التالي

الفصل العاشر

مأتمهُ

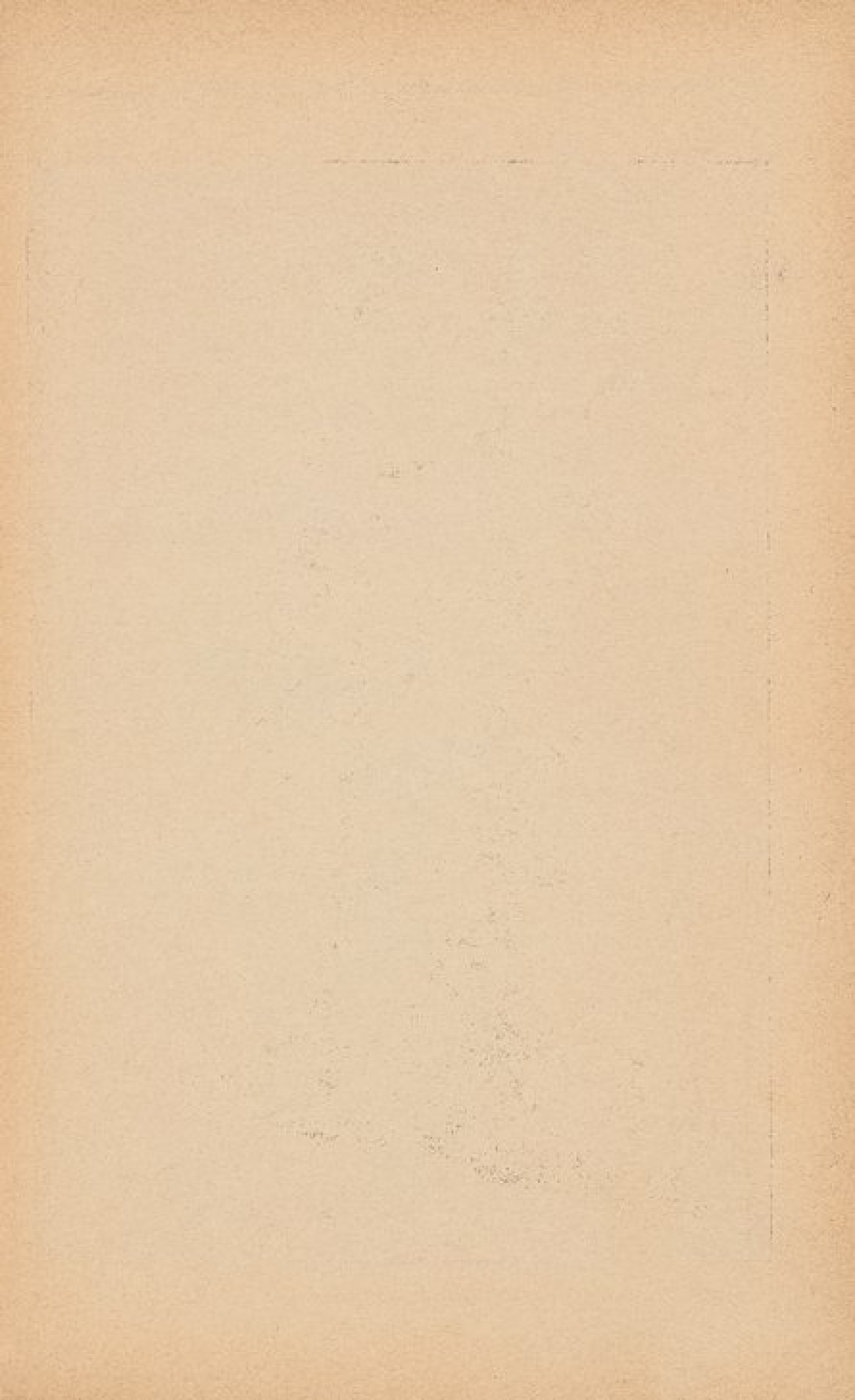
ما بزغت شمس يوم الثلاثاء في ٢٢ تشريـن الاول الا وانتشر خبر وفاة صاحب الترجمة رحمهُ الله فاستكت المسامع · وشقت الاضالع · واعتقلت الالسنة وسالت الدموع · وذكت القلوب وذابت النفوس · وعمّ الاسف والكدر · ومادت مدينة حمص من هول ذلك الخبر · فاقبلت الجموع الى منزلهِ من جميع الملل والطبقات والطوائف يشاطرون ذويهِ المصيبة فيه · فما كنت ترى الا وجوهاً كاسفة · وجوانح واجفة · وجوارح راجفة · وقلوباً آسفة وعيوناً تدمع · وأفئدةً تتقطع · ونفوساً تهلع · لهول





مأتم الدكتور سليمان افندي الخوري عبسي





ذلك المصاب العظيم · والخطب الجسيم · كيف لا وقد فجعت الارامل بعضدها · والايتام بسندها · والفقرآء بأبيها · والمرضى بآسيها ومؤاسيها · والحكومة بخادمها الامين · والطائفة بركنها الركين · والوطن بخير ابنائه · والطب بمعززه ورافع لوائه

ولما ازفت الساعة السادسة التي هي موعد تشييع جنازته كانت الدار قد غصّت بالوجوه والسراة واعيان القوم وذوي المقامات الرفيعة والاقدار العلية وقد علاهم الخشوع والاحترام وجيب الفؤاد واحتباس الالسن · فقرعت الاجراس من كل الكنائس بنغمة شجية · اشارةً الى اشتراك الجميع في هول هذه الرزئة العمومية · ورفع الفقيد ووضع على نعشٍ مكلل بالازهار وعليه ثوبه الرسمي للرتبة الثانية المتمايزة · وعلى جنبهِ السيف المنعم عليه من جلالة المتبوع الأعظم — نصره الله — ووضع النعش في فناء المنزل وجلس حولهُ اولاد الفقيد واصهاره وبقية اسرته ريثما أُخذ رسم ذلك المشهد المؤثر · ثم اقبل سيادة المطران اثناسيوس ومعه سائر رجال الاكليروس الارثوذكسيّ وكلهم بالملابس الكهنوتية · فعلت منهم النغمات الدينية القاضية بنقل الفقيد الى مرقده الابدي · فرُفع النعش اذ ذاك — وفي النعش الاقدام والحمية والوجاهة والثبات والاجتهاد والنشاط والتقوى — وحمل على الاكف الى كنيسة

القديس ايليان الحمصي . تحيط بهِ الانظار الخاشعة الدامعة . وتحوم حوله القلوب الجازعة الهالعة . وكان مشهد الجنازة مهيباً حافلاً . فكان يتقدمها رجال الحكومة السنية . فتلامذة المدارس الارثوذكسية . وهم ينشدون النغمات التي تمزق الاكباد وتقطع الاوصال . اشعاراً بعظم اسفهم عليهِ واعترافاً بما له عليهم من الافضال . فلفيف الاكليروس الارثوذكسي الموقر . فاربعة من وجهاء الملة وعلية القوم حاملين بساط الرحمة . فاعضاء جمعية القديس ايليان الارثوذكسية لدفن الموتى حاملين نعش الفقيد الكريم . فجمهور عظيم من الناس يشذّ عن الحصر . ويجلُّ عن العدّ . وكلهم آسفون وباكون . وشاكون من غدر الزمان الخؤون والدمع يجري من الآماق على الخدود سخيناً صبيباً . والزفرات تتصاعد مع انفاس اسف تكاد حرارتها ان تجعل الهواء لهيباً . وعلى هذهِ الحال وصلوا بهِ الى الكنيسة حيثما صلى عليه سيادة المتربوليت اثناسيوس وسائر الاكليروس . وكان سيادتهُ متأثراً تأثراً عميقاً لم نرَ منهُ مثلهُ من ذي قبل نظراً لمكانة الفقيد العزيز عنده وبعد انقضاء الصلاة ارتجل في تأبينه خطبةً بليغة فأثار عوامل الاشجان . واجرى هواطل الدموع من الاجفان . وكثيراً ما كان يتخلل كلامهُ عبرات يذرفها اسفاً على عماد الطائفة وفخر

الاوطان · وعقبهُ حضرة السري الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرهج صديق الفقيد ونسيبهُ فأبنه تأبيناً مؤثراً · ثم خرجوا به من الكنيسة الى المدفن وهناك أبنهُ حضرة الاستاذ الالمعي · والعالم اللوذعي · يوسف افندي شاهين بلسان المدارس الارثوذكسية ثم مؤلف هذا الكتاب · ثم حضرة الاديبين البارعين حافظ افندي عبود فارس وحنا افندي خباز (١) · فوفوه حقه من التأبين والرثاء · واظهروا ما كان عليهِ رحمه الله من الصفات الغراء · ومالهُ من المشروعات المبرورة الحسناء · والآثار المشكورة البيضاء واستنزفوا بعباراتهم المؤثرة العبرات من المحاجر بسخاء · وبعد ان واروه في الثرى على رجاء قيامة الموتى · اخذ جمهور المشيعين يقدمون التعازي الى حضرة نجليه الدكتورين كامل افندي وسليم افندي والى سائر الآل والانسباء · فكانوا يتلقون من الجميع عواطف المؤاساة في آلام المصاب والتأسية عليه بامارات التجلد والشكر والثناء · وهكذا تراجعت تلك الجموع من المقبرة وفي قلوبهم من الحزن الشديد وعلى وجوههم من سمات الأسف والاكتئاب · ما ينبيء بمنزلة الفقيد ويشعر بعظم المصاب · وهم يتوسلون الى الاله القدوس ان يسكنهُ في فسيح جنتهِ · ويسكب

---

(١) انظر هذه التآبين في الباب الثاني الخاص بها

في قلوب ذويهِ نعمة تأساآئهِ وتعزيتهِ

اما ترنيمة التي رنمها امام الجنازة تلامذة المدارس الارثوذكسية فهذا نصها وهي من نظم المعلم البارع شاكر افندي سلوم :

قد مات في ذي الديارْ هذا الصباحْ
ربُّ العلى والوقارْ ركن الصلاحْ
قد كان شهماً نزيهاً صادق الاقوال برًّا هماماً كريماً صالح الاعمال

دور

قد عاش بين الانامْ عيش القنوعْ
واحتلّ بعد الحمامْ حضن يسوعْ
حيث الصفا والهنا والمجد للادهارْ والرغد طول المدى في منزل الابرارْ

دور

قد كان في ذي النواحي خير مثالْ
ركن التقى والصلاحِ شخص الكمالْ
قد عاش حرًّا وجيهاً سابغ الاحسانْ ومات برًّا نقياً صادق الايمان

دور

تبكي عليه المعارفْ بكا الحزينْ
تبكي عليه العوارفْ دمعاً سخينْ
يبكي عليهِ الندى والفضل والاقدامْ والحزم والحلم والاحسان للايتامْ

دور

تبكي عليهِ المجالسْ | صوب العهادْ
اليوم تبكي المدارسْ | خــير عمادْ
قد كان دوماً يرى في خدمة الاوطانْ | للحق والعدل طوداً راسخ الاركانْ

دور

تبكي عليهِ المفاخرْ | دمعاً صبيبْ
بالحق تبكي المنابرْ | خير خطيبْ
يبكي عليه العلى والطبُّ والعرفانْ | والجد والجهد للاصلاح والبنيانْ

دور

صوت الاله دعاهُ | من السمآءْ
وقد حباهُ رضاهُ | بذا الندآءْ
فياسليمان ياذا الرشد والاصلاحْ | ادخل ديار الصفا والمجد والافراحْ

دور

قد حلّ دار البقاءْ | حيث السعودْ
واحتل حسب الرجاءْ | دار الخلودْ
بنيهِ صبراً جميلاً يا اولي الابصارْ | ما مات والدكم بل للاعالي سارْ

دور

عزّى الإله وصبَّرْ | في ذا المصابْ
من قلبهم قد تفطَّرْ | حزنـاً وذابْ
اولاهم الله ربي نعمة السلوانْ | وذا الفقيدَ حباهُ العفو والغفرانْ

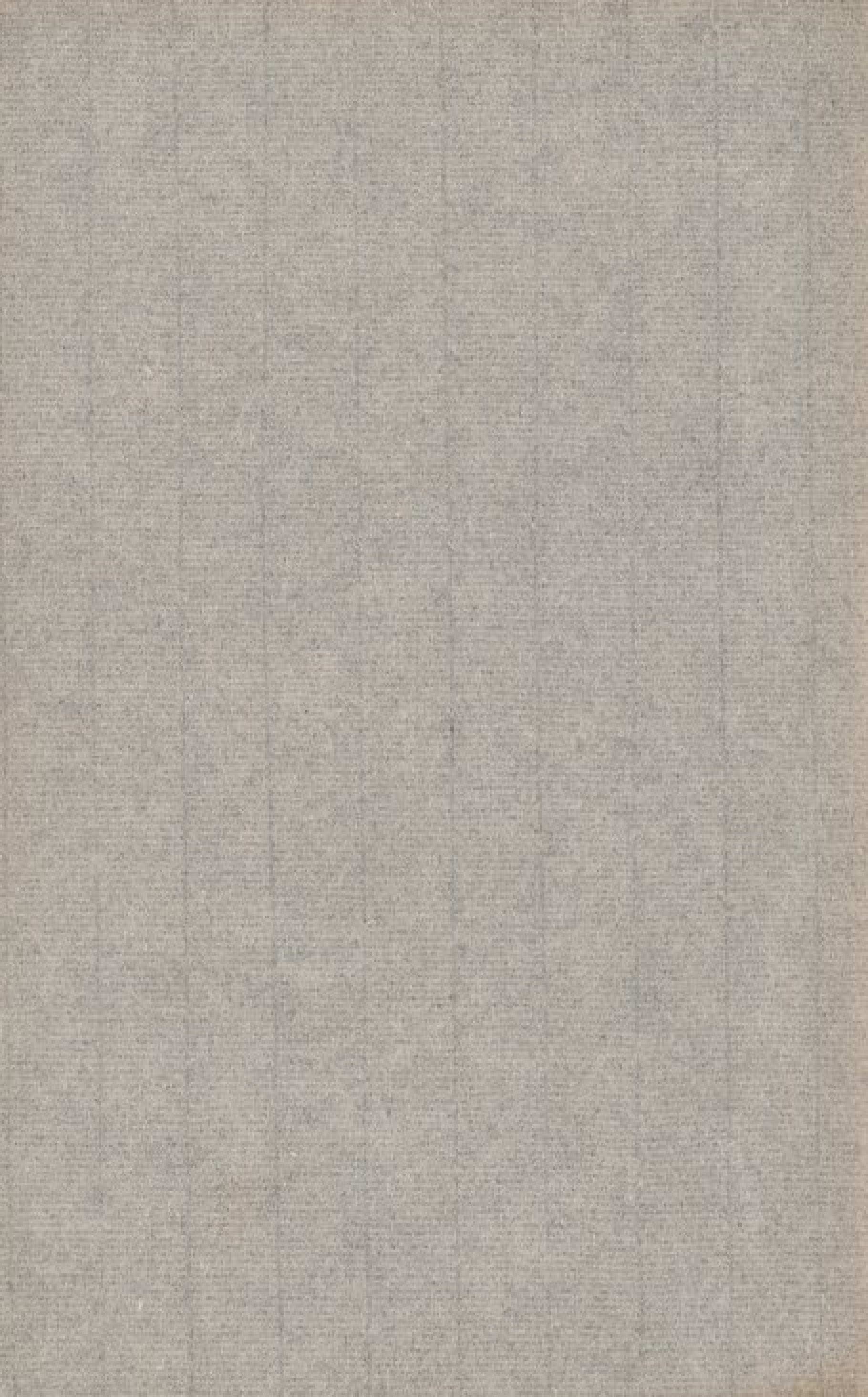
الفصل الحادي عشر

أُسرتهُ

قد اقترن صاحب الترجمة رحمهُ الله في اليوم الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٠ م بالآنسة المهذَّبة «أَلماس» كريمة المرحوم قزما البك الذي كان وقتئذٍ من اغنى واشهر واشرف تجار حمص ولذلك لقبهُ مواطنوهُ بالبك · وقد عاشا كلاهما عيشة مسيحية صالحة وبارك الله قرانهما هذا فوهبهما عدة اولاد ربياهم احسن تربية · وهذه اسماؤُهم وخلاصة تاريخهم حسب سني ولادتهم :

(١) المرحوم عيسى :

وُلد يوم الخميس في ١٩ ايلول سنة ١٨٥٢ ونشأَ في حجر والدهِ محباً للعلوم والاداب مكباً على تحصيلها باجتهاد عظيم · وبما انهُ كان ذكياً حاذقاً فقد احرز منها نصيباً وافراً في بلدتهِ وأَتقن اللغات العربية والتركية والفارسية والافرنسية · وكان بارعاً على الخصوص في التركية حتى انه لم يكن يميز عن ابناء هذه اللغة لا في كلامهِ ولا في كتابته · وفي ١٧ ايلول سنة ١٨٧٢ م غادر حمص وسافر الى بيروت لاكتساب العلوم العصريَّة والطبية في



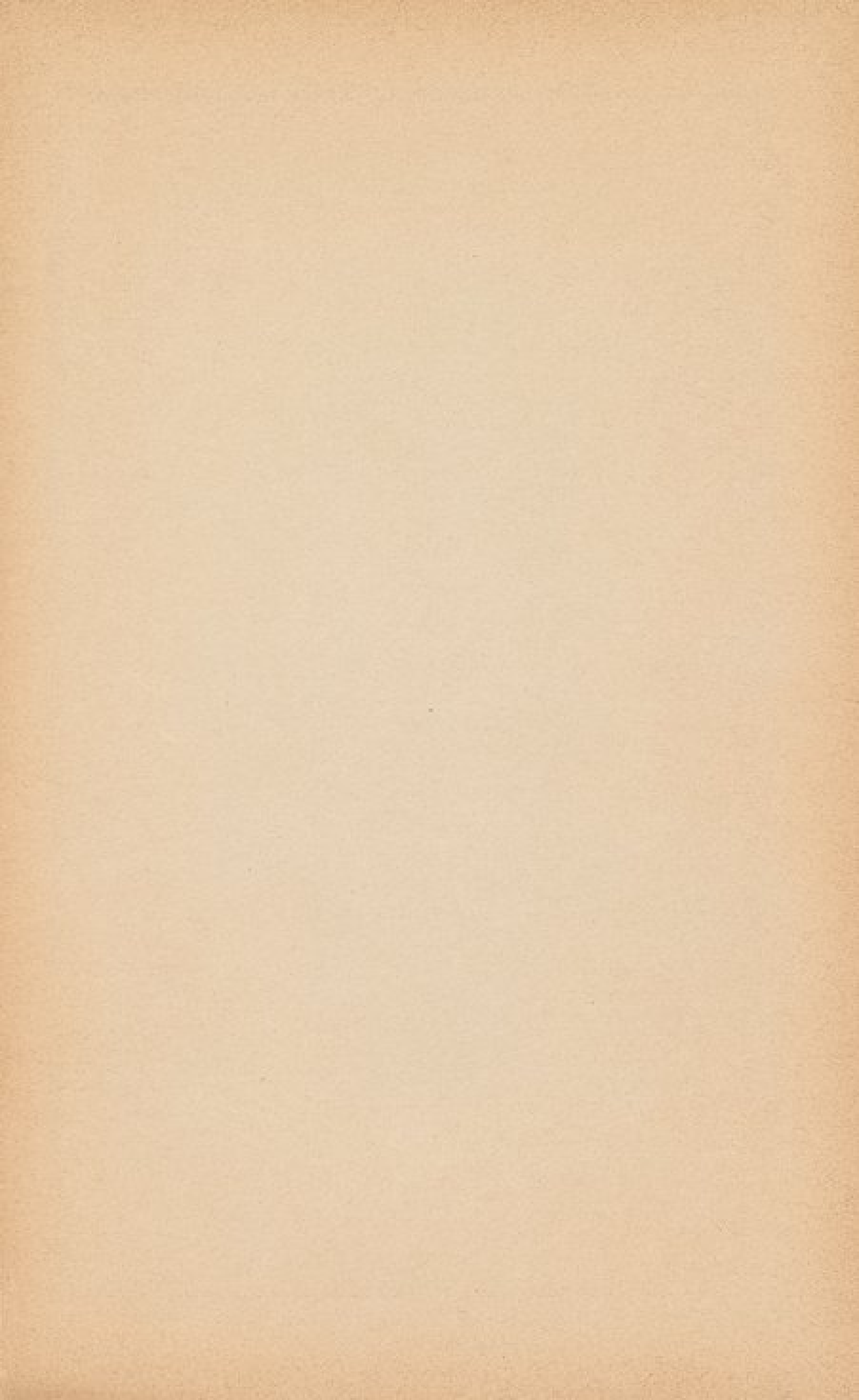




المرحوم نجيب سليمان الخوري
في السنة الثانية عشرة من عمره
ولد في حمص سنة ١٨٥٨
وتوفي في طنطا سنة ١٨٨٢

« والدتهما »

المرحوم عيسى سليمان الخوري
في السنة التاسعة عشرة من عمره
ولد في حمص سنة ١٨٥٢
وتوفي في طنطا سنة ١٨٨٢



كليتها الاميركية المنشأة حديثاً في ذلك العهد . فدرس تلك السنة الكيمياء والهندسة والفلسفة والتشريح وباقي العلوم المُعدَّة للطب وكان محبوباً من اساتذته لفرط اجتهادهِ وذكائه . وفي اول السنة المدرسية التالية (ت١ سنة ١٨٧٣) أُحصي في عداد طلبة الطب فانصب على اتقان هذا الفن الشريف بكل اجتهاده حتى اورثهُ فرط الدرس تاثيراً في دماغهِ وسقماً في جسمهِ

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

فالتأمت عمدة المدرسة في ٢ ك٢ سنة ١٨٧٤ وبعد فحصهِ طبياً قضت بوجوب تركهِ الدرس حرصاً على حياتهِ . فرجع الى حمص في السابع والعشرين من الشهر المذكور وهو متأسف لان الدهر لم يسمح لهُ باكمال دروسهِ . ثم تشاغل عن العلم بمعاطاة الاعمال التجارية . وفي ٢ ت٢ سنة ١٨٧٩ اقترن بالآنسة المهذبة «اسما» ابنة الخواجا يوسف الطرابلسي التاجر الشهير ورزقهُ الله ابنين. الاول «جميل» ولد في ١٠ آب سنة ١٨٨٠ والثاني «حسيب» ولد في ٨ شباط سنة ١٨٨٢

وفي اواخر سنة ١٨٨١ سافر الى مدينة طنطا لممارسة الاشغال التجارية في محلهم المؤسس فيها . ولم يقم بها بضعة أشهر حتى فاجأه القدر المحتوم مع اخيهِ المرحوم نجيب الآتي ذكرهُ

اثناء الثورة العرابية رحمهما الله رحمة واسعة

وكان خطيباً مصقعاً وشاعراً نحريراً في اللغتين العربية والتركية ومن آثاره العلمية عدة قصص ومواعظ ومقالات دينية وادبية معرَّبة عن الفرنسية طبع بعضها في المطبعة الاميركية ببيروت والبعض الآخر لم يزل مخطوطاً ومحفوظاً في مكتبة الأسرة ·

اما ولداه « جميل وحسيب » فنشأا في حجر جدهما مشمولين برعايته وعنايته · وبعد ان تهذَّبا في احسن مدارس المدينة ارسلهما الى كلية الآباء اليسوعيين ببيروت فأحكما فيها العلوم واللغات · والاول منهما سينهي في هذه السنة دروس القسم الطبي · واما الثاني فقد غادر المدرسة منذ سنتين وذهب الى القطر المصري وتعاطى التجارة · وفقهما الله تعالى

(٢) المرحوم نجيب :

وُلد في ٥ ك ١ سنة ١٨٥٨ وتلقن كثيراً من العلوم والمعارف وقد كان في نية والده المرحوم ارسالهُ الى مدارس الآستانة العلية ثم حال دون ذلك بعض موانع فانقطع الى اشغال التجارة · وفي ٦ ت ١ سنة ١٨٧٩ سافر الى طنطا وأسس فيها محلاً تجارياً وبقي فيه الى ان وافاه القضاء الالهي كما ذكرنا آنفاً

مع اخيه المرحوم عيسى إبان الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ فخلف حسرات عظيمة على آدابهِ وشبابهِ · رحمه الله واجزل في النعيم حسن ثوابهِ

(٣) السيدة لمياء :

وُلدت في ٢ك٢ سنة ١٨٦٠ واقترنت سنة ١٨٧٦ بحضرة الوجيه عزتلو افندم داود افندي السرياني التاجر الشهير بالآستانة العلية · وقد رزقهما الله عدَّة اولاد

(٤) السيدة ماريا :

وُلدت في ١ شباط سنة ١٨٦٢ وقد اقترنت سنة ١٨٨٠ بحضرة الوجيه انطون افندي طرابلسي احد تجار حمص المشهورين ورزقهما الله عدة بنين وبنات

(٥) الدكتور كامل :

وُلد يوم الثلاثاء في ١٧ شباط سنة ١٨٧٠ وقد تلقن العلوم واللغات العربية والفرنسية والانكليزية والتركية في مدارس حمص ثم أتقنها واحكم فن الطب في كليَّة الآباء اليسوعيين ببيروت وحاز لقب الدكتورية سنة ١٨٩٤ وفي سنة ١٨٩٧ اقترن بالآنسة «ميليا» كريمة الوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرهج وقد رزقه الله بنتاً وابنين · وهو من الشبان الاذكياء

المتحلين بمحاسن الصفات. ومن آثاره العلمية عدة مقالات طبية وعلمية وعمرانية نشرت في عدة جرائد ومجلات. زاده الله كمالاً ونفع بعلمه وفضله الوطن العزيز

(٦) السيدة اسماء:

وُلدت في اوائل ك٢ سنة ١٨٧٢ واقترنت سنة ١٨٨٩ بحضرة الوجيه اسعد افندي عبود احد تجار حمص المشهورين ورزقهما الله عدة أولاد

(٧) الدكتور سليم:

ولد في ٣ ك ٢ سنة ١٨٧٤ وتلقن العلوم الابتدائية واللغتين العربيَّة والفرنسية في مدارس حمص ثم أتقنهما مع فن الطب في كلية الآباء اليسوعيين ببيروت وحاز لقب الدكتورية سنة ١٨٩٩. وفي ٢ ت ٢ سنة ١٩٠٣ اقترن بالآنسة «ندى» كريمة جناب الوجيه انطون افندي عبود احد تجار حمص المشهورين. وهو شاب مهذَّب ممتاز بالصفات الأدبية الفريدة يسعى بكل جهده في خدمة الانسانية والوطن. وحسبنا شاهداً اعماله الحميدة التي صدرت منهُ إبَّان انتشار الكوليرا بحمص في العام الماضي (١٩٠٣). وهو مع اخيهِ الدكتور البارع كامل افندي العزاء الوحيد لاهل الوطن عن فقد والدهما المرحوم. نسأله تعالى ان

يوفقهما لان يخدما الوطن وآله خدمة نافعة تخلد لهما الذكر الطيب والأثر الجميل . وان يجعل ببقائهم عوضاً عن فقد والدهما الجليل . انه تعالى على كل شيء قدير . وبالاجابة جدير

مُلحق

« لما كان صاحب البيت ادرى بما فيه وكان ولدا صاحب الترجمة الدكتوران البارعان كامل افندي وسليم افندي هما اخبر من غيرهما بصفات والدهما المرحوم واخلاقه الرضية . واعلم بعاداته واطواره في عيشته البيتية . فقد اقترحنا عليهما كتابة فصل في هذا المعنى يتحلى به جيد الكتاب ويزداد رونقهُ . فتكرَّما بتلبية اقتراحنا وارسلا الينا الفصل الآتي فاثبتناهُ هنا بنصهِ الفائق . قالا » :

الخسارة التي لا تعوَّض

ما اشدَّ حزن النفس على فقد المحسن اليها . وما اعظم كرب الانسان واسفه لدى خسارته المعين لهُ في محنهِ . المرشد لهُ في شبيبتهِ . الباث لهُ المواعظ والحكم في حضوره وغيابه . الباذل النفس والنفيس في سبيل نجحهِ واسعاده . المفتكر دائماً بمستقبل

حياته · الناظر اليه نظرات الشفقة والحنان في كل آن · المحتمل منهُ غلطاته وشواذهُ بنظرات العفو والمسامحة · الصافح عن زلاته بقلب لا يعرف الحقد ولا المرمرة · الحاثّ لهُ على عمل الخير لاكتساب الثناء من الناس والثواب من الله · المثقف عقله ليدرك حقائق الامور او ما فوق الطبيعة · المكبِر نفسهُ ليترفع عن الدنايا · وبالاختصار ما أمرّ فقد الوالد — بل علّة وجود المرء على الارض — بل رجائهِ الوحيد بعد الله تعالى ؟

حقاً ان الشبيبة هي زمن جموح الاهواء · وان المرء لا يزال طامعاً بالحيّ ولا طمع الريب بظائره الى ان تلاعب بالحيّ ايدي المنون فيشعر اذ ذاك بالخسارة ويندم على ما فات ولات ساعة مندم · على حدّ قول إمامنا اليازجيّ رحمه الله :

لا يحمد القومُ الفتى الا متى مات فيُعطى حقّهُ تحت البلى

ولا مراء ان طبائع الآباء من جهة حبهم الابناء تختلف عن بعضها كثيراً · فان هنالك اطواراً لا اعداد لها نقتصر على ذكر اليسير منها :

يوجد أب يحب ابنهُ ويريد له اعظم الخيرات · ويودّ ان يذّخر لهُ الاموال الجزيلة · والمقتنيات الفاخرة · حلالاً كانت او حراماً · ويوجد أب يحب المال اكثر من حبه لابنه فيبخل

عليه بكل شيء ويبتهج بكدحه ونصبهِ ويسرّ اذا رأى ذلك الابن يخاطر بحياتهِ ليجمع لهُ المتاع الذي سيكون لهُ ارثاً شرعياً فيما بعد · ويوجد أب يضنُّ على ابنه بنفقات التعليم ويؤثر ان يراهُ جاهلاً غنياً على ان يراهُ عالماً متبلغاً · واخيراً يوجد أب يودّ ان يبذل كلما جنتهُ يداه من المال في سبيل تهذيب اولادهِ ومحافظته على صحتهم وتعليمهم العلوم العالية المنيرة العقل والمعظّمة النفس والمعرِّفة الانسان قدرهُ وماهيتهُ · وهذا هو الأب الحكيم حقيقة — هذا هو الأب العاقل — هذا هو الأب المدبّر — هذا هو الاب العظيم النفس — الراقي العقل — السامي السجايا — الحميد الفعال — وجملة القول : هذا هو الوالد المحبّ ابنهُ حباً حقيقياً خالصاً من كل معاب

كثيرون يتركون لاولادهم من بعدهم الاموال الجزيلة والمقتنيات الثمينة والأواني المرصعة والمفروشات الفاخرة والإقطاعات الواسعة والمواشي العديدة · ولكن فاتهم في حياتهم تهذيب اولادهم وارضاعهم لبان العلوم والمعارف وبالتالي تربيتهم على محبة الفضل والفضيلة واكتساب الشرف الحقيقي · فتصبح اموالهم هذه مدعاةً لهم الى الجموح عن سواء السبيل واتباع طرق الرذائل · ومجلبة لهم للعار والشنار · وذريعةً لاهتضام حقوق

الآخرين ادبياً ومادياً . فيكافئون آباءهم الذين اورثوهم تلك الاموال بالشتائم والمطاعن التي تسببها اعمالهم السيئة . وما يعتمون ان يبذروا تلك الاموال ويرهنوا تلك المقتنيات ويبيعوها وهكذا يطفئون ذكر آبائهم الى الابد

كثيرون يخالون لاول وهلةٍ ان هؤلاء الابناء هم المذنبون ولكن من امعن النظر بالمسئلة يرى ان الذنب كل الذنب على اولئك الآباء الذين لم يحسنوا تربية اولادهم واشتغلوا عنها بحطام الدنيا اذ لم يكن همهم الا حشد الاموال وتوسيع دائرة الاملاك . وكلّ منا يذكر قصة ذلك الولد الذي كانت والدتهُ تثني عليه كلما سرق شيئاً . فلما شبّ على هذه الخلة الذميمة ووقع في هوّة الهلاك اذ حكم عليه عدلاً بالاعدام طلب مقابلة والدتهِ قبل مبارحتهِ هذه الحياة . وعند مقابلتها توسّل اليها ان تسمح لهُ بتقبيل ثديها اقراراً بالجميل نحوها . وما كان منهُ عند ذلك الا ان عضّها عضةً مؤلمةً لانها كانت السبب الوحيد في هلاكه نفساً وجسداً . فسواء كانت هذه القصة واقعيةً او خياليةً فهي تشفّ عن مغزى ادبي جليل القيمة . وتدل باجلى برهان على ان الأُولى يسلكون طرق الرذائل . ويتنكبون عن اتباع جادة الفضائل . ليسوا مذنبين وحدهم بل ان لآبائهم النصيب الاوفر من تسبيب

تلك الجرائم كما لا يخفى ذلك عن كل ذي بصيرة نيّرة · وقول العامة: « لولا المربّي ما عرفت ربّي » هو آية سامية المعنى شاملة في خمس كلمات ما لا تسع استيفاءَ شرحه المجلّدات · لان من شبّ على خلق شاب عليهِ فالولد الذي لا يُلتفَت الى حسن تربيتهِ وتهذيبهِ في الصِغَر · لا يرجى منهُ فائدة في الكِبَر · ولا نخشى من ان نكرّر القول ان السبب بل كل السبب ناشيء عن قصور الوالدين بل عن قصور الوالد اكثر منهُ عن قصور الوالدة لما لهُ من الهيبة والوقار في قلوب ابنائهِ اكثر منها

ناشدتك الله يا صاح قل لنا كيف يكون منشأ الولد اذا كان يسمع الشتائم والمثالب تتدفق من فم ابيهِ في حقّ الآخرين · وعلى اي خلق يشب اذا رأى والدهُ يهتضم حقوق الغير ويشهد بالزور ويرتكب غير ذلك من الكبائر والدنايا التي في التلميح عنها غنى عن التصريح بها · وكيف لا يعتاد شرب المسكر اذا رأى والدهُ مزاولاً ذلك والولد من طبعهِ الاعتقاد بسموّ مدارك والدهِ وبان كل ما يجريهِ هو الصواب بعينهِ · حتى انه قد ذهب مثلاً قولهم : « كل فتاةٍ بابيها مُعجبَه »

اضطررنا الى هذا التمهيد لنذكر هنا بعض سجايا والدنا المأسوف عليه لا لقصد الافتخار والاعجاب بها لئلا يقال « مادح

نفسه ِ يقرئك السلام » او يكون مثلنا مثل الكاهن في عرف
الفرنجة « كلما بخّر الشعب مرةً يبخر نفسه مثلها » . ولكن قياماً
بما يفرضه علينا البرّ الوالدي من الواجبات المقدسة . وتلبيةً
لاقتراح صديقنا الشهم الغيور مؤلف هذا الكتاب . فنقول :

اولاً : تربيته الادبية لنا :

كان رحمه الله صارماً لا يسمح لنا ان نضحك بلا سبب .
ولا ان نجلس امام الأضياف او امامه هو او امام من كان اكبر
منا سناً بلا أدب . وكان هو افضل قدوة وخير نموذج لنا في
ذلك لانه قد اعتاد من حين شبابه ِ الى آخر حياته ِ ألاَّ يجلس
الا راكعاً على ركبتيه ِ كما تقضي الآداب العربية العثمانية . ونحن
كثيراً ما كنا نضجر من جلوسنا هكذا امام الحضور ولما كان
رحمه الله يشعر بذلك كان يوعز الينا بقضاء غرضٍ ما ريثما
نكون قد ارتحنا قليلاً . وبعد ذهاب الزائر كان يؤنبنا بابتسامة
حلوة ويلقي علينا من الحكم والآداب ما يزري بالدرر الغوالي .
وانَّا لنأسف الآن كثيراً لاننا لم نكن ندَّخر تلك النصائح . ولما
كنا نتشرف بمرافقته ِ على الطريق لم يكن يملّ من تهذيبنا كي لا
يضيع ولا فرصة من الزمان سدى . فكان يعلمنا كيف يجب ان
نصحب الأكبر منا سناً . وكيف يجب علينا التأخر عنه قليلاً

وما شاكل . ولما صرنا اكبر سناً وصار يمكننا مكالمة الحضور كان يقوّم أودنا حالما نغلط بأمرٍ من الامور . ويعظنا بما يحتمله المقام

ثانياً : شغفهُ بتعليم اولادهِ وكرمهُ بهذا السبيل :

قد اجتهد كثيراً بتعليم اخوينا المرحومين عيسى ونجيب . وبما ان المدارس لم تكن منظمة في ذلك العهد اضطر الى ان يشتري لهما الكتب العديدة المختلفة المواضيع ويعلمهما العلوم العالية بنفسهِ مع ضيق اوقاتهِ وكثرة اشغاله . ومع ما كانت عليهِ المطبوعات في ذلك الزمان من غلاء الاثمان كان يشتري لهما من الكتب نسختين معتقداً ان خير وسيلة لانفاق الاموال هي طريقة التعليم المثلى . ولما أُنشئت المدرسة الكلية السورية في بيروت اسرع بارسال المرحوم عيسى اليها . وكان عتيداً ان يرسل المرحوم نجيب الى الآستانة العليَّة لولا مرض الاول من كثرة اجتهادهِ وعجزه عن المداومة على الدرس لقرارٍ صدر من عمدة المدرسة . وغير ذلك من الموانع كما جاء في ترجمة حياتهِ (راجع ص ٦٧ و٦٨)

ثالثاً : شديد حرصهِ ومحافظته على صحة ابنائه :

كان رحمه الله يهتم كثيراً بحفظ الصحة لعلمهِ اليقين ان من كانت صحتهُ حسنة يتمكن من مزاولة سائر الصنائع والنجاح بها . ولما كان اخونا المرحوم عيسى في بيروت كان يحرّر لهُ تلك

التحارير التي عثرنا عليها وفيها من الحكم والوصايا الصحية باجتناب اجهاد الفكر والجسم وتفويضه ببذل كما هو لازم لراحة الجسم ورفاهته فضلاً عن رسوم المدرسة القانونية ما يدل باجلى بيان على حب مفرط لاولاده . ولما سمح لنا بالذهاب الى بيروت لتعلم الطب خاطبنا رسمياً امام الاهل والاصحاب وحثنا على المحافظة على صحتنا وصرف كلما يؤول لرفاهتنا . فعاهدناه امام الله والحاضرين ألاَّ نخاطر بصحتنا لا بالافراط بالدرس ولا بعدم الاعتناء بنوع المعيشة . وما انفكَّ من حين ذهابنا الى حين ايابنا الى تحت لوائه الشريف يحرر لنا النصائح الثمينة . وقدعثرنا مؤخراً بين اوراقنا المدرسية على بعض تلك التحارير وها نحن نقتطف منها بعض شذرات قال في احدها :

« لي الامل ألاَّ تبرح من تجاه عينيكم نصائح والدكم الشيخ الذي حنكته تجارب الدهر . وبما ان الحرّ بلا شك قد قدم بيروت بخيله ورجله فاحترسوا جداً من الرياضة المفرطة عقلية كانت ام جسدية . ولا تنسوا ان امراض الغشاء المصليّ الصدري (Pleurésies) كثيراً ما تنشأ عن التعب في الحرّ ولا سيما اذا عقبهُ البرد . وبمناسبة قرب وقت الامتحان ارجوكم ان لا تحصروا افكاركم كثيراً لئلاَّ تندموا حين لا ينفع الندم . وتذكروا دائماً

مثل الطحّان"(١) . واتكلوا على الله فان بهِ وحده المستعان . راجعوا الاوراق التي اقسمتم بالانجيل ان تداوموا على قرآءتها والسلوك بموجبها"(٢) . والحق تعالى يعضدكم بعونه العلوي ويسهل لكم الصعاب ويحفظكم بعين عنايتهِ الساهرة» . وفي غيرهِ : «الخيرة في ما اختاره الله . لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع . عسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم . المسيحي من واجباتهِ ان يسلم كل اموره الى الارادة الالهية»

وفي غيره : «لا تنسوا ان تبرحوا بيروت حالاً اذا ظهر

---

(١) كثيراً ما كان رحمهُ الله يضرب لنا مثل الطحان لما يحثنا على التؤدة في الدرس . وخلاصة المثل ان طحاناً غرًّا كان يسوق دابة حاملة طحيناً . فمرَّ بشيخ فسألهُ : متى اصل الى المدينة . فاجابهُ : ان انت سقت سريعاً لا تصل الا بعد الغروب والا فتصل بعد الظهر بقليل . فاستخفَّ ذاك الشاب به وظن المسئلة بالعكس وابتدأ يلهب ظهر الدابة بالضرب فما عتم ان سقط الحمل فاضطرَّ ان ينتظر احداً ليحملهُ معهُ . وهكذا لم يصل الا بعد الغروب

(٢) هنا يشير رحمهُ الله الى مجموعة نصائح حكمية . ووصايا صحية . كان قد كتبها بيده وسلمنا اياها عند سفرنا الاول بعد ان تلاها امام جمهور المودعين والاهل واستحلفنا بالانجيل ان نثابر على قراءتها والسير بمقتضاها . ولكننا لسوء الحظ فقدناها بعد رجوعنا الى الوطن . وهي تستحق ان تكتب بماء الذهب . لما فيها من درر النصائح وجواهر الحكمة والأدب

فيها (لا سمح الله) شيء من العلة المدهشة (يريد الكوليرا) . لان الصحة مقدَّمة على كل شيء فاياكم ومخالفتي »

وفي غيره : « ان غاية مبتغاي هو محافظتكم على قواعد الصحة حسبما عرفتكم سابقاً مرات متعدّدة وليس يهمني شيء مثل ذلك — امر واجب ان تضعوا قليلاً من النار في غرفة نومكم لاجل تنقية هوآئها من الرطوبة والعفونة اللتين هما اساس الامراض المزمنة وخصوصاً الليمفاوية كالدآء الخنازيري والسل الرئوي والاسكربوط (Scorbut) فالحذر ثم الحذر من اهمال وضع النار الذي هو ضروري في بيروت لان حجرها رمليٌّ يتشرَّب رطوبة المطر بسرعة . وتلك الرطوبة هي سمٌّ للجسم البشري وعلى الخصوص لمن كان منهمكاً بالدروس وهو ضعيف البنية فانه لا يشعر بعد مدة الا بالبلاء والسقم — التغذية الجيدة هي من اعظم وسائط حفظ الصحة — شرب عصير البرتقال هو من مضادات الاسكربوط ومصلح ومنقٍّ للدم — راجعوا تحاريري السابقة واعملوا بموجبها والحافظ الامين يحفظكم »

وفي غيره : « مسكنكم يجب ان يكون مستوفياً الشروط الصحية اي ان يكون متجهاً الى الجنوب عالياً متين البناء جافاً خالياً من كل رطوبة ولا يوجد بقربه اقذار تسبب الامراض .

وعلى ما ارى انهُ من الواجب عليكم ان تُداوموا على شرب زيت كبد الحوت في هذا الشتآء فانهُ مغذٍّ باعث على الحرارة يصون من البرد والنَّزَلات الصدريَّة — قوة الجسم تساعد ايضاً على العلم لان الدماغ وهو العضو الاهم يقوى ويضعف بقوَّة الجسم وضعفهِ »

وكتب في غيرهِ : « قبلاً حرَّرت اليكم والآن ازيدكم بانهُ متى ظهر عندكم ادنى اثر للعلة المدهشة (يريد الكولرا) فاتركوا بيروت حالاً · كما انني اتقدم اليكم باستعمال كبريتات الكينا (Sulfate de Quinine) يومياً فانهُ الدواء الوحيد المضاد للسموم المرضيَّة كالكولرا والخُناق (Diphtérie) والحُمَّيات التيفوسية والتيفوئيدية الخ — ان التعب المفرط عقلياً كان او جسدياً والاكثار من السهر والتعرّض للبرد وعدم تقوية التغذية من اعظم مسبِّبات الامراض الرديئة فالحذر من كل ذلك — داوموا على لبس الفلانلاَّ شعاراً لانه يحفظ وظائف الجلد واهمها التنفس الجلدي غير المحسوس — اجهاد العقل يحلل قوة الجسم ويساعد كثيراً على تولد الامراض الخبيثة كالتدرُّن والامراض العصبية المهلكة للجنس البشري فاحترسوا بكامل جهدكم لتحفظوا قوة الدماغ — قد زرت يوم تاريخه قدس الاب برنيه [1] وطلبت منه تحريراً

(١) هو الاب يوسف برنيه اليسوعي رئيس دير الآباء اليسوعيين بحمص في سنة (١٨٦٠) التي كتب بها هذا التحرير وكان صديقاً مخلصاً لهُ رحمهما الله

الى رئيس الكلية فاجابني انهُ لا لزوم لذلك لان المشار اليهِ اجابهُ قبلاً بانهُ متى ظهر ادنى محذور وطلبتم الخروج من بيروت يأْذن لكم بالتوجه الى غزير . فافهموا هذا الكلام وسيروا بموجبهِ ولا تلزموني ان احضر الى بيروت بل تذكروا ان المحافظة على الحياة اهمّ شيء »

وفي غيرهِ : « قد تكدرت جدًّا اذ سمعت ان بيت سكنكم هو غير جيد . الا تعلمون ان اعظم اسباب الامراض الوبائية هو السكن في الامكنة المُنخفِضة وخصوصاً الشمالية الرطبة كما قد ثبت ذلك عندنا في حمص فان اغلب الذين اصيبوا بالوباء كان سكنهم على هذه الصفة . فاول كل شيء اذن غيروا مسكنكم وعليكم بالاحتراس الكلي من تعب الفكر والجسم والبرد وعدم النظافة فان هذه الامور من اعظم اسباب الامراض — من الضروري شرب مقدار خمس قمحات من كبريتات الكينا كل يوم . ومن وقت الى وقت شرب هذا المقدار من حامض التنّيك (Acide Tannique) فان هذين الجوهرين هما من اعظم الواقيات . وهذا هو نفس الترتيب الذي قدمتهُ للحكومة [1] ونُشرت الاعلانات في انحاء المدينة بموجبهِ

(١) تاريخ هذا التحرير سنة ١٨٩٠ وكان في تلك السنة رئيساً للجنة الطبية المؤلفة في حمص لمقاومة فتكات الكولرا (راجع ص ٢٠)

وسائر الذين سلكوا بمقتضاه لم يصابوا بالعلة المدهشة (الكولرا) حتى وقد وردت مؤخراً على الحكومة المحليّة تلغرافات توجب استعمال الكينا كواقٍ من الوباء . فاستقسمكم باسم المسيح ان تسلكوا بموجبهِ — واسمعوا ما قال جالينوس : « احسن واسطة للوقاية من الوبآء ان تفرّ من امام وجههِ » . فلا تهملوا نفسكم لئلا تندموا حين لا ينفع الندم وتنزلوا شيبتي بالحزن الى القبر »

وفي غيرهِ : « بما انكم الآن موجودون في غزير فاحترسوا الاحتراس الكليّ من البرد سوآء من جهة الملابس او من جهة تدفئة المحل بالنار وحسن الغرفة وجودة المآكل فالصحة مقدمة على المال والعلم وكل شيء — كل شيء دون المنية سهل »

وفي غيره : « سررت كثيراً بوصولكم بالسلامة الى دار السعادة ولكنني كنت انتظر ورود افادة منكم فلم افز بشيء من ذلك . والذي اخالهُ ان مناظر القسطنطينية الجميلة ومشاهدها الفتانة قد شغلتكم عن والدكم الذي لا يفتكر الآن الا بكم — لا تقدرون الآن ان تزكوا حنوّ الاب ولكن لما تصيرون أب اولاد يقتضي ان تسامحوهم عن تقصيرهم كما اسامحكم الآن »

وفي غيرهِ : كونوا شجعان كابيكم الذي لا يبالي بتصرفات الاقدار . تشجعوا بالرب وداروا صحتكم ولا تضنوا بالنفقات فاني

مستعدٌّ ان اصرف كل اموالي لاجل راحتكم وعلمكم واكون
بذلك مصيباً · انا لي ثقة وايمان حي بالاله الذي اياهُ اعبد وله
وحده اسجد ان لا يتركني عند كبري ولا يهملني عند انحلال
قوتي · كيف لا وهو قد عالني منذ صغري الى الآن فبلا شك
كما احسن اليَّ فيما مضى يحسن اليَّ فيما بقي · فلا تفتكروا بشيء
الا براحتكم وانشراحكم فان لكم اباً يعرف قيمة العلم ويعلم كيف
يعول اولادهُ ويحبهم الحب الواجب — حب عاقل مدرك —
من الضروري محافظتكم على صحتكم وزيادة سنة في المدرسة لا
تهمني · اذا سمعتُ بمرض احدكم (لا سمح الله) اخسر قوَّتي
والقى ضرراً جسيماً · وما دمت اسمع بانكم في تمام الصحة فانا قوي
بنعمة الله غنيٌّ من احسانهِ تعالى — انا لا اعتبر المال شيئاً بل العلم
هو الشيء الثمين — من غرس العلم اجتنى النباهة — الحكمة في
يمينها الاقتدار وفي يسارها الغنى — »

وفي غيرهِ: « بالشكر تدوم النعم — الطمع مقرون بالذل —
اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلف النفس دون بلوغها —
معاندة الاقدار امر مستحيل وتعليق المستحيل على المستحيل هو امر
مستحيل — الآمال في وقت الضيق ارتياح — العجلة تمنع الاصابة —
التفويض الى الارادة الالهية احسن واولى واسلم عاقبةً — الله

يعرف خيرنا فاذا فوضنا اليه الامر فهو يدبر حسب مشيئته ما فيه مصلحتنا — أصغيا الى نصائح ومواعظ والدكم الشيخ الذي علمهُ الدهر وحنكتهُ تجارب الايام اذ قضى في معترك الحياة نحو ستين سنة عرك بها خطوب الزمان وصروفهُ وغلبها بصبره وثباته وشجاعته وحسن تدبيره»

هذا ما اقتطفناهُ من بعض التحارير التي عثرنا عليها بين اوراقنا وها نحن نقتطف بعض شذرات من التحارير التي كان يحرّرها الى اخينا المرحوم عيسى لما كان في المدرسة الكلية في بيروت . فمن بعض تلك التحارير قولهُ :

« والذي سرني هو كونكم متمسكين بالقواعد الصحية ولذلك فقد ضاعفت لكم الادعية القلبية . ولكني تكدرت لما بلغني انكم تتوجهون الى السوق مشياً مع ان المسافة بعيدة فارجو منكم اكراماً لله ان تذهبوا ركوباً في مسافة كهذه ولو مهما صرفتم في هذا السبيل الذي يعود الى انشراحكم وراحتكم . واياكم ثم اياكم وأن تدخلوا مدرسة غير مدرسة الطب واذا كان عمدتها لا يرضون بذلك فتوجهوا حالاً الى دمشق الشام واشعروني تلغرافياً لكي ارفع التحارير اللازمة من مجلس قضائنا ومن مركز اللواء الى معالي الولاية الجليلة وهنالك بمساعدة غبطة البطريرك الكلي الطوبى نحصّل لكم

انباءٌ من ملاذ الولاية الى الباب العالي يضمن دخولكم في عداد طلبة المكتب الطبي الشاهاني »

ومن غيرهِ : « ومن الضروري فرش غرفتكم جيداً حذراً من برد الشتاء المقبل والاستعداد بالملابس المدفئة واتقان الما كل والركوب عند ما تقصدون التنزه والرياضة · ثم نرجو ان يكون حضرات الاساتذة الحاذقين قد فحصوكم طبياً وان تعرفونا بما اوصوكم باستعمالهِ من العلاجات والوصايا الصحية »

ومن غيرهِ : « قد سلمناكم الى عناية من يعتني بالجميع وعلى الخصوص بالغرباء — ثقوا بالله وليكن اتكالكم عليهِ تعالى اتكالاً حسناً — لا تجزعوا من الغربة ومشاقها — لا بد دون الشهد من إبَرِ النحل — تمسكوا بالقواعد الصحية من كل وجه — قد فوضنا الى وكيلنا عندكم ان يدفع اليكم مهما شئتم من الدراهم زيادة عن رسوم المدرسة قصد راحتكم — لا تكثروا من الدرس لئلا تأثر صحتكم — قالت الحكماء : خلال خمس من زودها كفتهُ في كل وجهة وآنستهُ في كل غربة · وقرَّبت منهُ البعيد واكسبتهُ المعاش والاخوان : الاولى كفّ الاذى · والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الرِّيَب · والرابعة كرم الاخلاق · والخامسة النبل في العمل · ورأس كل حكمة مخافة الرب والاتكال على عنايتهِ

والتحفُّظ والتيقُّظ والحزم — والرب الهنا القدوس الذي يعتني
بافراخ الغربان وبجميع المبروءات الحقيرة والكبيرة هو يحفظكم
كما حفظ يعقوب ويوسف في حال غربتهما ويردكم الى ارض
ميلادكم امين »

ومن غيره : « قدمنا اليكم سواهُ وبه اوصيناكم بوجوب
التدقيق في ملاحظة صحتكم من جهة الملابس ونظافتها والما كل
المغذّية وتجنب كثرة الدرس التي تسبب كلال الذهن وضعف
البنية الذي من نتائجه ضعف القوة الحافظة · ولاجل اقناعكم
اوعزنا اليكم بمطالعة فصل من كتاب التشريح المترجم والمطبوع
مؤخرًا في مطبعة مدرستكم — يا حبيبي الوحيد ربما يخطر ببالكم
ان افراطكم بالمطالعة يؤهلكم في آخر السنة للدخول في صف
الطب فهذا ايها الحبيب شيءٌ متعلق بالعناية الالهية مقرّر بزمن
معلوم لا يمكن تقديمهُ او تأخيرهُ ولا دقيقة واحدة · وفضلاً عن
ذلك اخشى ان يعتريكم مرض (لا سمح الله) لكثرة الدرس
واجهاد العقل فيسبب انقطاعكم عن العلم بضعة اشهر · هذا اذا لم
نقل انه ربما يسبب فقد حياتكم او على الاقل يورثكم سقمًا في
الدماغ يضطركم الى ترك الدرس بتاتًا · وحينئذٍ تكونون علة خراب
بيتنا ونطالبكم بذلك امام الله العادل — لا تجزعوا من كثرة

النفقات بل اشتروا لكم فلاناً من اجود الاجناس — افيدوني هل عينتم خادماً لخدمتكم — اعملوا زجاجاً لنوافذ غرفتكم ولو كلفكم ذلك خمسمائة غرش — والخلاصة : ماثلوا بامر الركوب والاكل واللبس اغنى ولد في المدرسة ونحن ندفع كل ما تنفقونهُ مع السرور والشكر · واذا لزمكم بعض هدايا وتقادم للاساتذة عرفوني عن ذلك »

ومن غيره : « قد اغتممت جدًّا عند ما بلغني ما اعتراكم من الزُّكام الذي نشأ ولا شكّ عن انكبابكم على الكتابة · فلو انكم انفقتم على نسخ الكتاب مئتي غرش ولم اسمع بانحراف مزاجكم لكان ذلك عندي احلى من الشهد [1] »

ومن غيره : « واما حضوركم بالفرصة فارغبهُ من كل قلبي نظرًا لشوقنا الكثير الى مشاهدتكم · ولكني عندما افتكر بالمشقة التي تكابدونها ذهاباً واياباً ولا سيما في زمن اشتداد الحرّ أُفضّل رأيكم بان تتوجهوا الى جبل لبنان · ومع ذلك صلوا الى الله ليهديكم الى الطريق الاكثر موافقةً لكم »

---

(١) كان اساتذة الكلية لما يؤلفون كتاباً يعطونهُ للتلامذة لينتسخوهُ نظرًا لصعوبة الطبع في تلك الاوقات · والى هذا يشير رحمه الله

ومن غيرهِ : « بما ان الدكتور ورتبات خبير بتشخيص الامراض الصدرية فقد حررت له ليفحص جسمكم باكثر تدقيق فادفعوا له دراهم وافهموني عن هدية تلائمه لاقدمها اليه فان اكرامه من الضروريات — اكرموا الخدام كي يخدموكم بغيرة ولا تنظروا الى التوفير بل اصرفوا — اصرفوا — اصرفوا مهما اردتم — قد كتبت اليكم كثيراً في هذا الشأن حتى لم يبقَ من وجوب لاعادة الكلام »

ومن غيره : « اذا رأيتم ان الطعام الموجود في المدرسة غير كافٍ للتغذية فانفقوا قدر ما تريدون ثمن لحوم ومآكل »

ومن غيرهِ : « انني سمعت نبأ انحراف صحتكم وتأثرت كثيراً . ولكن يجب ان تصبروا وتتشجعوا لان الصبر والشجاعة هما من اعظم الوسائل لشفآء الامراض

اصبر ففي الصبر خير لو علمتَ به   لطبتَ نفساً ولم تجزع من الألمِ
واعلم بانك ان لم تصطبر كرماً   صبرت رغماً على ما خُطَّ بالقلمِ

ومع ذلك فانتم تعلمون ان الذين يحبون الله يصادفهم كل شيء للخير — اطمئنان القلب اثناء سير الامراض اعظم مساعد على الشفآء — والخلاصة ان راحة الفكر والغذاء الجيد والمقوّيات والصبر والشجاعة وحرارة الغرفة كل ذلك ضروري لحفظ صحتكم»

ومن تحرير كتبهُ اليهِ لما اضطرهُ المرض الى ترك الدرس :

« فهمتُ لانكم تركتم الدرس كلياً فيلزم ان تشكروا الله تعالى على كل حال ولا تغتموا ابدًا — يا حبيبي ان صناعة الطب لم يبقَ لها اعتبار كما كان في السابق[1] — الله وحدهُ هو معتنٍ بالجميع اياكم ثم اياكم وان تهينوا جسمكم — تشجعوا وتقووا بالرب — يوجد عدة صناعات ومصالح لا تستوجب حصر الفكر ولذلك فلا يخطر ببالكم فكرٌ غامٌ لان هذا الامر مقدّر من لدن الرب وسيعود الى خيركم بلا ريب — لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع — القناعة هي من اعظم الفضائل الدينيّة والادبية »

هذا بعض ما في تحاريرهِ رحمه الله من فوائد الحكم الأدبية . والوصايا الصحية . اوردناها على سبيل المثال دلالةً على شدّة حبهِ لاولادهِ . ولو اردنا اثبات كلما حررهُ لنا ولاخينا المرحوم في هذا المعنى للزمنا مجلد كامل ولكنا نجتزئ بما ذكر عما لم يذكر . وفي البعض غنى عن الكل

رابعاً : طول اناتهِ على افراد اسرتهِ :

---

(١) لا جرم انه بخس لهُ قيمة الطب من باب التعزية كي يذهب عنهُ الكدر وهو في حال المرض . ولا يعلم شدّة اسفه وكدره رحمه الله من عدم نجاح اخينا المرحوم عيسى بدرس الطب الا من طالع مجموع تحاريره

كان رحمهُ الله يتحمل من ذويهِ ما لا يقدر غيرهُ على احتمالهِ ويصفح حالاً بعد الذنب كأن لم يجرِ لهُ شيءٌ

خامساً: حفظهُ الصداقة والولاء:

وكان من جليل صفاتهِ الثبات في الوداد وعدم نسيانهِ الاصحاب ولو نسوهُ . وكثيراً ما كان يذكر مع التأثر بعض الأُسر الكريمة الاصل والنسب وما كان بينهُ وبينها من صدق المحبة والوداد في شبابهِ . ولم يكن يُريد ترك احد من شركائهِ ومعامليهِ ولو أذنب اليهِ . ونتذكر اننا فاتحناهُ مرَّة بهذا الخصوص ونددنا بكثرة تساهلهِ فقال لنا : «يجب على المرء ان يحفظ رُبُط الصداقة والمودَّة وثيقةً الى آخر نسمة من حياتهِ»

فهذهِ بعض مناقبهِ الغرآء . واخلاقهِ الحميدة . نكتفي بها في هذا المقام لاننا نعجز عن استقصاء كل ما امتاز بهِ من الصفات الحسنة والسجايا الكريمة . فضلاً عن صديقنا الاديب مؤلف هذا الكتاب قد ذكر منها كل ما يحسن سماعهُ وتطيب سُمعتهُ

فما اعظم خسارتنا نحن الذين فقدنا بهِ مرشداً وراعياً محباً يرعانا بعد الله باعين ساهرة حاضرين كنا ام غائبين . فحقاً اننا لو ذرفنا بدل الدموع دماً لكنا مقصرين . انما الذي يعزّينا كثيراً هو ان والدنا المرحوم قد انتقل الى الراحة الأبدية بعد ان قضى حياةً

ملأى بالجهادات والاتعاب والمصائب · فكان بذلك قد انكر ذاته طبقاً لقول الفادي الرحيم · وجاهد احسن جهاد في خدمة الله والوطن العزيز والدولة العلية وتربية بنيهِ · فكان حرياً ان يقول مع بولس الرسول: «قد جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعي وحفظت الايمان» (٢تيمو ٤:٧) وكان خليقاً بان يفوز باكليل المجد الابدي في ملكوت السموات · ويحيي له ذكراً عطراً في هذه الحياة· تردّد صداهُ الاندية كلما ذكرت الاستقامة وانكار الذات

ولقد كان من اعظم المعزّيات لنا ايضاً ما اظهرهُ الوطنيون من مشاركتنا في ألم المصيبة · نسأل الله ان يصونهم من كل ما يكرهون · ويبقيهم نصرآء الانسانية والوطنيّة الحقة ما توالت السنون · ونتوسل اليهِ ان يهبنا نعمة علوية لنحذو حذوهُ · ونتلو تلوهُ · ونقتدي بسيرتهِ الصالحة · واعمالهِ النافعة · فنكون اهلاً لنيل السمآء · والاجتماع بهِ وبسائر الاهل والخلان الذين سبقونا الى دار البقاء · ومقر الراحة الحقيقية والعزاء



الباب الثاني

خُطَب التأبين

(تُليت في الكنيسة والمدفن)

«نصّ الخطبة التي ارتجلها في الكنيسة سيادة الحبر العلاّمة الغيور . والخطيب اللسن المشهور . كيريوس كير اثناسيوس عطاالله مطران حمص وما يليها الفائق الشرف والاحترام»

«قد سقط اليوم عظيم في اسرائيل» (٢ صم ٣ : ٣٨)

لا بدعَ اذا تلعثم لساني واضطرب جناني ولم استطع ان اجمع افكاري لاصف ما شملني من الاسف العظيم . واترجم عما اعتراني من الحزن الجسيم . حينما قرع ابواب قلبي رنين صوت هذا النبإ المشؤوم . نبإ فقد رجل عظيم كان بالحقيقة عظيماً في همته — عظيماً في غيرته — عظيماً في اقواله — عظيماً في افعاله — بل كان عظيماً في مسالمته وفي اتضاعه وانكاره ذاتهُ . حتى انهُ ابان لنا في كل صفة من صفاته . وفي كل طور من اطوار حياته . ان العظمة لا تقوم بقوة الجسم وضخامته . ولا بكثرة المال وغزارته . ولا بدعاوي المرء وتقولاته . بل ان العظمة صفة جوهرية مقرّها

النفس — النفس الكبيرة —

ايها الحضور الكرام :

هذا وطنيكم الذي كنتم تشاهدونهُ بالامس قابضاً بيمينهِ القوية دولاباً كبيراً من الاعمال العظيمة يديرهُ كيف شاء ترونهُ اليوم فاقد النسمة خلواً من كل حركة · وهذهِ نهاية كل حيٍ في الحياة الدنيا فوا أسفاهُ !

أراني شديد التأثر والحزن قد ملأَ قلبي وغشّى بصري · ولستُ اخشى أن تروني واراكم كذلك لان الخسارة عظيمة والمصيبة فادحة · كيف لا وقد خسرت اكبر مساعدٍ لي واعظم عضدٍ لي في كل ملمّة · بل ساعدي الايمن في كل مشروعاتي سواءٌ كان في حضوري او في غيابي

خسرتُ من كان بآرائه الصائبة · وافكاره الثاقبة · يمزّق حجب المشاكل · وبوميض اقوالهِ · وبروق افعالهِ · تنجلي سحب معضلات المسائل — خسرتُ وخسرتم رجلاً خدم الوطن خدمةً لم يسبقهُ اليها وطني مخلص — خسرنا رجلاً خدم الطب والمتطبّبين خدمةً شريفة اذ كان يشفي ببلسم اقوالهِ المضنوكين · كما يشفي بادويتهِ وعقاقيره الموصَبين — خسرنا رجلاً خدم الدولة العلية باخلاصٍ مدة تنيف على اربعين سنة لم يقبل فيها اقل رشوة · ولا

سقط بزلةٍ ولا هفوة — خسرنا رجلاً خدم الملة خدمةً تفرّد فيها بين اقرانهِ . ولم يوجد لهُ نظير فيها بين اخوانه — خسرنا رجلاً كان المحرِّك الاكبر لمنجنيق التشييدات الخيريَّة من كنائس للعبادة . ومدارس للاستفادة . وكلها لا تزال قائمة تنطق بفضلهِ ما بقي في الامة مستفيد يعترف بالصنيعة — فقدنا رجلاً كان لا يبالي باضاعة اثمن اوقاتهِ في سبيل تفقد المدارس وتعزيزها حتى انه لم يجرِ فيها فحص الا وكان مقدِمة الفاحصين من العوامّ — فقدنا رجلاً ما سدّ اذنيه قط عن نداء الفقراء المؤثر بل كان يبذل ما عز وهان في سبيل سدّ اعوازهم وستر فاقتهم — فقدنا رجلاً أحبّ الادب اكثر من الذهب حتى انهُ كان يقول : « اني اريد ان اترك لبنيَّ علماً وادباً لا مالاً وذهباً » — فقدنا رجلاً كان شديد الحرص على مسالمة الجميع حتى انه قال لي عند ما عدتهُ منذ يومين — بعد ان تناول الاسرار الطاهرة الارثوذكسية وتأهب لملاقاة فاديه الحبيب — : « اني كنت في حياتي كثير العلاقة مع الناس واخشى ان اكون قد اسأت الى بعضهم ولذا فارجوان تطلبوا لي الصفح من الجميع كما اني اصفح من صميم قلبي عن كل من أساء اليَّ او اراد مضرّتي » . وبناء عليه فانا اطلب اليكم جميعاً ان تسامحوهُ من صميم قلوبكم

فهذا هو الرجل الذي فقدناهُ · (ولست لأزيدكم بهِ علماً) فكيف ترون ألا يجب ان نبكي لفقدنا اثمن شيء لدينا ؟ · او لا يجب ان نحزن لخسارتنا ركناً عظيماً وشهماً كريماً قلّ من يملأُ محلهُ في الهيئة الملية ؟ بلى اننا نبكي ونحزن ولكن ليس كباقي الامم الذين لا رجاء لهم · فان رجاءنا وطيد · واملنا ثابت اكيد · بان فقيدنا انتقل الى احضان ابرهيم ومساكن الصديقين · حيث ينال مكافأة اتعابهِ وجهاداتهِ في خدمة باريهِ وقريبه

نعم ايها السائر عنّا مزوّداً بالاسرار الطاهرة الارثوذكسية · واعظم البركات الابوية · ولئن غاب جسمك عنا فرسمك يبقى مُسطّراً في الفؤاد · وذكرك يستمرّ مُعطّراً في كل ناد · الى الآباد · نسأل الله ان يحقق سؤلنا و يسكنك في اخداره السماوية · ويشملك بعفوه ورضوانهِ ونعمتهِ الالهية · و يعوّضنا ببقاء نجليك الاديبين وسائر الآل والانسباء · انه سميع الدعاء · آمين

« خطبة حضرة الوطني الغيور والوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرهج »

(تُليت في الكنيسة)

«طوبى للأموات الذين يموتون بالرب»

« طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطيئة وليس في فمهِ غش »

اذا أردتُ ان اشرح صفاتك . واذكر ترجمة حياتك . ايها الفقيد العزيز والشهم الفريد . فلا استطيع ذلك لان مناقبك اوسع من ان تحيط بوصفها الالسنة البشرية . فملائكة الله تشهد بفضلها وسموّها وامتيازك بها بين اترابك ومعاصريك . وقد اصبحت صفاتك الجليلة في هذا اليوم نادبةً كسيرةً . فتبكيك المروءة لانك كنتَ لها اباً . والشهامة لانك كنت لها سنداً . والغيرة لانك قرنتها بعواطف العفة والطهارة . وقد طوّبتك الصفات الجيدة . والافعال الحميدة . وشهدت الاملاك انك تستحق الطوبى لانه بالحقيقة «ليس في فمك غشّ» ويبكيك في هذا اليوم من كنت لهُ صديقاً حمياً وأخاً ودوداً منذ الحداثة الى زمن الشيخوخة . فيبكيك بهذا الحين بياض لُمَّتي وسواد قلبي على فراقك . ومن لا يبكيك ايها الفقيد العزيز؟ أالملة التي انفقت حياتك الثمينة في خدمة مصالحها الدينيّة والمدنيّة غير ملول ولا هيّاب . ولا واجف من المشاقّ والأتعاب ؟ . ام الاغنياء وقد كنت مرشدهم ومنارهم ؟ . ام الفقراء وانت انت شريك سرّائهم وضرّائهم وغوثهم بصحتهم ومرضهم ؟ . او لا يبكيك عموم الحمصيين وقد كنت بينهم سراجاً للفضل منيراً . ومثالاً للفضيلة شهيراً ؟ او لا تبكيك المناصب والرتب . يا نخبة

الامجاد واهل الأدب · وقدوة الاشراف والاماثل · وفريدة عقد الاعيان والافاضل · وواحد هذا العصر · وغرّة جبين الدهر — ان لساني عاجز عن تعديد مآثرك الحميدة · وخلالك المجيدة · واعمالك المفيدة · لاني لا أحسن نثر اللآلىء في مديحك كما أحسن البكآء على فراقك · فابكيك بل اشترك مع النبيّين في تطويبك لانك خلوت من كل عيب · سأبكيك الى ان ألاقيك · طالبًا منهُ تعالى الرحمة والغفران لك يا رفيقي العزيز وخادم الملة والانسانية الأمين · ولبنيك وذويك من بعدك نعمة الصبر والعزآء آمين

« خطبة حضرة العالم الأَلمعيّ والاستاذ اللوذعيّ يوسف افندي شاهين » (تُليت في المدفن)

أَليوم مات الهمام الفاضلُ العلمُ فالحزم قدمات والإقدام والكرَمُ
وأرسل البين للعليآء سهم ردًى فجرحها اليوم جرحٌ ليس يلتئمُ

أَي فكّاك المشكلات · وأَبا الافضال والإحسانات — أَي رجل الصدق والاستقامة · وشخص الغيرة والشهامة — أَيِ مثال النزاهة والاقدام · وصاحب المآثر الحميدة والايادي البيضآء —

اي نطاسياً مجرّباً • ورجلاً خبيرًا مدرّبًا — اي صادق التابعية للدولة العليّة • وحائز الرتب السنيّة بجدارة وأهليّة — اي خادم الملة والوطن بعزم ثابت وغيرة وقادة ؟ • نراك الآن بلا حراك فاين تلك الهمة القعساء ؟ نناديك فلا تجيب فأين ما عهدناه بك من الفصاحة واللسن ؟ • فبأي عين نبكيك • وبأي لسان نرثيك ؟ نبكيك باعين المدارس التي غمرتها باحسانك الغزير • ونرثيك بلسان العلوم التي كنت لها خير عماد ونصير • فانظر دموعاً تتناثر على الخدود • واسمع تنهدات تتصاعد من اعماق القلوب • فلمثلك يحق البكاء • وعليك يعز العزاء • اذ قد فقدنا بفقدك نصيراً للفضل والفضيلة • وعضداً للمعارف والمشروعات الجليلة

نسأله تعالى ان يعوّضنا ببقاء نجليك الكريمين ويجعلهما خير خلف لخير سلف وهو السميع المجيب

« خطبة جامع هذا الكتاب »

(تُليت في المدفن)

مات رجل الطائفة — مات الرجل العظيم — مات العثمانيّ الصادق — مات الوطنيّ الغيور — فسبحان الباقي

سرى نعشهُ فوق الرقاب وطالما سرى فضلهُ فوق الركاب ونائلهْ
يمرُّ على الوادي فتثني رمالهُ عليهِ وبالنادي فتبكي أراملهْ

« ان رئيساً وعظيماً سقط اليوم في اسرائيل » . فلمثل هذا اليوم أعددنا التأبين والرثاء . ولمثل هذا المصاب الاليم اذَّخرنا النوح والبكاء . وبمثل هذه الفاجعة الوطنية يجب شقّ القلوب وتمزيق الاحشاء . لقد هوى اليوم طود الفضيلة والافضال . وثُلَّ عرش الوطنية والكمال . « وسقط عظيم في اسرائيل » « فعاد كل الشعب يبكون عليهِ » (٢ صم ٣ : ٣٨ و٣٤)

قد استوى الناس ومات الكمالْ وصاح صرف الدهر اين الرجالْ
« هذا سليمانُ على نعشهِ » قوموا انظروا كيف تسير الجبالْ

فتباً لك ايها الموت فبمن فتكت . وويلاً لك ايها الزمن الخؤون فمن خطفت . فتكت بعين الاقدام ولم ترحم . وخطفت انسان الحمية والغيرة ولم تجزع او تندم . وحرمتنا امام علمائنا واطبائنا . وسلبتنا شيخ فضلائنا ووجهائنا . الرجل العظيم الجليل . الذي تندر امثالهُ لان الزمان بمثلهِ بخيل . فيالله ما هذه البلية العظيمة . ويا رباه ما هذه الرزيئة الجسيمة ؟ . انها لبليَّة تُستصغر بإزائها البلايا . ورزيئة لا تُذكر عندها الرزايا . فلا حول ولا . . . .

• • •

ايها السادة :

كان فقيدنا العزيز هذا (كما تعلمون كلكم) من اعاظم الرجال اذ كان عالمًا عاملاً . وغيورًا فاضلاً . ونطاسيًا مجرّبًا . وسياسيًا مُدرّبًا . وخادمًا للدولة العلية والملة والوطن . وخيرَ من سعى في سبيل مجد الله رغبة القريب السعيَ الحسن . وقد كان آية الله في خلقه في سعة الفكر وقوة الذاكرة وسرعة الخاطر وحسبنا انهُ احرز بجدّهِ المستمرّ ودرسه المتواصل ما أحرزهُ من المعارف المختلفة السامية والعلوم الطبيّة واللغات . مما لا يحكمهُ غيرهُ الا بعد قضاء السنين الطوال في احدى الكليّات . اما خدماته الصادقة للدولة العلية والوطن فحسبنا شاهدًا عليها ما انعمت عليه بهِ من الرتب الرفيعة العالية . وما نالهُ من رفعة المكانة لدى ذوي المقامات السامية . بل حسبنا دليلاً على ذلك اجتماعكم هذا لحضور مأتمهِ على اختلاف النحل والملل والمناصب والطبقات . بل حسبنا ما قالهُ في وصفهِ احد اخواننا المسلمين في هذه المدينة منذ اربع سنوات :

لقد خدم المدارس باجتهادٍ   بخدمتهِ لدولتنا العليّه

ولذلك فخسارتهُ خسارة عظمى . والمصيبة بهِ مصيبة كبرى . والفاجعة بهِ فاجعة جلّى . فلنبكهِ ولتبكهِ الذريّة . ولتنحْ

عليه الانسانية والوطنيَّة ٠ وليبقَ ذكرهُ مؤَبداً ومخلداً بين البرية

⁘

البعض ينكرون فضل هذا الفقيد العزيز ولا يُقدرونهُ حق قدرهِ ٠ ولا بدع في ذلك فان الرجال العظام في كل العالم لا تُعرف (في الغالب) منزلتهم وقيمة نفعهم وفضلهم الا بعد وفاتهم ٠ وبناءً عليهِ فستأتي ساعة وهي قد ابتدأت منذ الآن فيها نعرف قيمة هذا الرجل العظيم الذي فقدناهُ ٠ ونضطر الى ان نقدّرهُ حق قدرهِ حينما نطلب لهُ نظيراً بين أفراد الطائفة فلا نجد ٠ فنشهد حينئذٍ انهُ عاش فريداً — ومات فريداً — وسيبقى بعد موتهِ فريداً — ومثل ذا فليعمل العاملون

⁘

ان بعض الناس يحيون على الارض حياة واحدة فقط ٠ ولكن بعضهم يحيا حياتين : حياة الذكر الحسن في الدنيا ٠ والحياة الابدية في العليا ٠ ومن هذا البعض فقيدنا العزيز الذي :

طواهُ الموت في جدثٍ — وحُسن الذكر ينشرهُ
سريٌّ من سراة علىً — كريم طاب عنصرهُ

فقد كان من أبشِّ خلق الله وجهاً واوفرهم لطفاً ٠ وارفعهم قدراً واكثرهم عُرفاً ٠ وقد اشتهر بالنفس الأبيَّة والأَريحيَّة ٠ وامتاز

بالوطنية والهمة العليّة · وكان بالاجمال مثال الاجتهاد — مثال النشاط والعمل — مثال الفضل والفضيلة — مثال الاقدام والنزاهة — مثال الغيرة ومحبة القريب — مثال الصبر عند الشدائد والأرزاء — مثال الاعمال الخيرية والمشروعات المبرورة والآثار الغرّاء — ومن كان كذلك فهو حيّ وان مات

« فلنحي اسم المرحوم سليمان افندي الخوري الى الابد »

قضى ومضى لكن غرّ صفاته   وآثاره الحسنا ستعبق كالنشرِ

ويبقى لهُ ذكر حميد مخلّد   وذكر التقي الصدّيق يبقى مدى الدهرِ

وهذا خير عزآء أقدّمهُ لبنيهِ الاماثل · وافراد أسرته الافاضل · سائلاً الله ان يهب لهم صبرًا جميلاً · ويمنحهم من بعدهِ عمرًا طويلاً · واجرًا جزيلاً · ويسكنهُ في جنانهِ العُليا حيث سكنى جميع الفرِحين · ويعوِّضنا ببقا ئكم أجمعين · آمين

« خطبة حضرة الاديب البارع المعلم حافظ افندي عبود فارس »

(تُليت في المدفن)

قضى من كان عنوان الكمالِ   مثال الفضلِ ما بين الرجالِ

قضى من كان انفذهم مقالاً   واشرفهم مثالاً في الفعالِ

لعمري انها دار الأشجان · مسرّاتها اكدار · وافراحها احزان ·

فلا تغرّنك . ان ابتسمت ولا تضحك لها ان ضحكت . فانها متى
اضحكت في يومها ابكت غداً . وحسبك موقفنا الساعة شاهداً .
فكم بنى فقيدنا العزيز من المجد الاثيل . بالاسم الجليل والعقل
النبيل . وكم جمع ووزّع . وحلّ من المشكلات عقداً حلّها اعسر
من عقدةِ المُسبّع . وكم اجتهد لرفع شأن بني الانسان . بفصاحة
قسّ وخطبة سحبان . ولا بدعَ بذلك فهو الحكيم سليمان .
فوالهفاهُ — فيا أَبا المجد تبكيك عيون الوجهاء لانك كنت
وجيههم . والفقراء لانك خير أَب لهم . والمرضى لانك طبيبهم .
والادباء لانك رئيسهم . والانقياء والاتقياء لانك نقيّهم
وتقيُّهم . فوا أَسفاهُ — وتبكيك المروّة والشهامة لانك عمادهما .
والانسانية والمكارم لانك قطبهما . وتبكيك المعارف والعلوم .
بدمع يدوم ما زالت تدوم . واقوالك الدرّية لا يزال يرنُّ في
القلوب صداها . ومواعظك الرنانة ما اسماها واحلاها . فبالحق ان
«الموت نقاد على كفهِ . جواهرٌ يختار منها الجياد» . فقد حرمنا
بك شخصاً غيوراً . وشيخاً وقوراً . وأَباً محباً مشكوراً . فواحرقتاه
— قد كنت متضعاً تخاطب وتحيّي الولد الصغير . وتجالس الغنيَّ
والفقير . فاختبرت احوال الناس رفيعهـا والحقير . ودانت لك
المراتب العالية فارتقيتها مرتفعاً . ولم تزل متّضعاً . فعليك يبكي

الاتضاع والرفعة معاً · فقد فقدت بك المناصب العالية ندباً سرياً · والمجالس مفضالاً أبياً · والعالم المسيحي عفيفاً تقياً · فوا مصيبتاهُ — ايها الناس قفوا وانظروا · وتأملوا واعتبروا · وشاهدوا ادمع الباكي · ولوعة الشاكي · ايّ جسد لم تُثقلهُ الاحزان · واي نفس لم تنهكها الاشجان · واي قلب لم يتفجّع · وايّ عين لم تدمع ؟ اتعلمون ان الخطيئة عار · وان الدهر غدّار ؟ · فأعرضوا عن الدنيا الفانية · ووجّهوا انظاركم الى الباقية · « فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس » — « اهتموا بما فوق لا بما على الارض لانكم قد متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله » — متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذٍ تظهرون انتم ايضاً معهُ في المجد » — « منتظرين الرجاء المبارك وظهور ربنا يسوع المسيح »

على هذا نودّعك ايها الفقيد العزيز على رجاء قيامة الاموات « لان الاموات في المسيح سيقومون اولاً »

وعلى هذا الرجاء وبه نتعزّى ونعزّيكم يامن فقدتم عزيزكم · نعزّيكم « من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم » لان عبارات الرجاء تكفكف عبرات الحزن

أسأل الله ان يسكب في قلوبكم جميعاً تعزية الروح ونعمتهُ لكي تمسحوا دموع الاحزان وتوجهوا انظاركم الى السماء · لان

كنزكم ليس في التراب بل في حضرة الفادي حيث السرور ونيل الرجاء ومل‌ء التعزية لكم آمين اللّهم آمين ·

«خطبة حضرة الاديب البارع المعلم حنا افندي خبّاز»

(تُليت في المدفن)

«إحصاء أيّامنا هكذا علّمنا فنؤتى قلب حكمةٍ» (مز ٩٠ : ١٢)

العاقل من تبصّر · والحكيم من تدبّر · فان هذا الموقف من المواقف الرهيبة · وهذا المشهد من المشاهد المهيبة · أمةٌ برُمّتها تبكي نور عينها وحبّة فؤادها وواحد رجالها ونخبة ابطالها · على ان المقام مقام اتعاظٍ وليس مقام مديح · مع اني لو رمت المديح لأتيت منهُ بالكثير · وهو قليل مما حواهُ فقيد الملّة والوطن من الاوصاف البديعة التي يندر اجتماعها في شخص واحد · ولا ريب في ان عموم الحمصيين اليوم السنةُ تذيع ما اشتهر بهِ فقيدهم من المحامد · ولكن غرضي أسمى من ذلك مع فرط أهمية هذا عندي · غرضي ان استميل افكار جميعكم الى مقصد الله السامي — الا وهو جمع شتاتنا — فانظروا كيف اتحدت منا القلوب والاجساد على اختلاف المذاهب والمشارب · ولماذا ؟ · لان يد القدير قد

مستنا . فتجسمت امامنا الآن وحدة المصلحة — وحدة الروح — وحدة المحبة — وحدة الغاية . ولسوف تجمعنا اليد الازلية في محشر اليوم العظيم امام منبرهِ الرهيب . أو لا يمثل لكم هذا المأتم خطورة ذلك الموقف العظيم ؟ يومٌ تنسى فيهِ الفروقات الطائفية والمصالح الشخصية . وتزول النقائص الملابسة الطبيعة الانسانية . وتجلّى عظمة المبدىء المعيد كما تجلّت اليوم في حِمام فقيدنا العزيز .

اني أؤمن بالله الإله الاوحد الحيّ الصمد الواجب الوجود . وأتيقّن انهُ الحيّ الباقي الى الابد . وان صفاتهِ وآلاءهُ تبدو لنا باعمالهِ في الطبيعة وفي خلائقهِ العقلية . فالسماوات تذيع مجد الله . والفلك يخبر بحكمة من سوّاه . ولكن الخليقة العقلية بما فيها من غرائب الصنع هي ادلّ على تلك الذات الباهرة من كلّ فروع الخليقة المادية . فقد بدت لنا مظاهر حكمتهِ الجلى بحياة من تبكيهِ القلوب والاجفان . من ضارع بحكمتهِ سليمان . صاحب الرأي الثاقب . والفكر الصائب . والعزم والحزم والحصافة واللسان . فتبارك من سوّاهُ وأبدع . على ان انوار حياتهِ ومضاء ذكائهِ قد عاد اليوم الى المصدر الأعلى الذي منهُ ينبثق الكل واليهِ يرجع الكل

يقصد النهرُ البحارَ   في الجري اذ يحدُرْ

وكذا شمسٌ ونارْ   كلٌّ الى المصدرْ

* * *

هكذا النفسُ التي   حلَّ فيها ربُّها

دائم التلفتِ   اليهِ قلبُها

واري ان حياتهُ بيننا كانت لمحة من حياة القدوس المبارك الذي — جال يصنع خيرًا — إي نعم ان حياة الرجال الافاضل تذكّرنا بحياة ربهم المجيد — الذي اشترانا بدمهِ ووهبنا الحياة بموتهِ — مات ليجمع اولاد الله المتفرّقين الى واحد كما جمعتنامنيّة هذا الفقيد الذي أوضحت لنا حياتهُ ان النفس الشريفة تسمو على اقرانها بصحة مبدإها وأصالة رأيها وثبات عزمها ورِباطة جأشها ·

فالعاقل من تدبّر الامور قبل فواتها · واتخذ لهُ من سيرة الاماجد قدوة يتبعها وآثارًا يقتفيها · وأرى ان هذه المصيبة مما تفطر لهولهِ القلوب ويعزّ عندها الصبر والاحتمال · فعزّتهُ الالهية اسأل ان يهب جميع القلوب التي جرحت بسهام حمامهِ الصبر الجميل · ويهب انجالهُ الكرام وذويهِ الفخام بعدوفاته العمر الطويل والخير الجزيل · ويقدِرنا جميعًا على السير في آثارهِ المشكورة · واقتفاء خلالهِ المأثورة · انهُ خير مسؤُول · وأجلّ مأمول

« وورد علينا التأبين الآتي من حضرة الاستاذ اللوذعي البارع الياس افندي الخوري سمعان المرّ احد اساتذة المدرسة الكلّيّة الشرقية بزحله (لبنان) وهو بنصّهِ الرائق » :

وما المال والاهلون الا ودائعٌ ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائعُ

موقفي الآن ايها السادة الاعلام . والسراة الفخام . موقف حرِجٌ تشرئبّ اليه العيون وتتطالّ اليهِ الاعناق . والمقام خطير تضلّ في علاهُ خطرات فحول البلاغة . والكلام في وديعةٍ ثمينة ليست كالودائع تتحيّر فيها الافهام . وتهيم دونها الاوهام . فان أحجمتُ عن الكلامِ عدّ ذلك مني تقصيراً . وان أقدمت اخاف ألاّ أفيَ هذه الوديعة المفقودة حقّ رثائها . اذ يقتضي لمثل ذلك قومٍ قد طلعت بهم البلاغة من معالمها . واينعت لهم الفصاحة من كمائمها . فلاحوا في سماء المعارف اقماراً زاهرة . وفي رياض الفنون ازهاراً عاطرة . ولكني اجري على سنن المثل السائر : « ان ما لا يدرك كلّهُ لا يترك اقلّهُ » فاقول :

الناس للموت كخيل الطرادْ فالسابق السابق منها الجوادْ

والموت نقّاد على كفهِ جواهر يختار منها الجيادْ

مالي ارى الكنيسة قد اتشحت باثواب الحداد . وسحناءَ كم قد علاها

قتام كلون المداد . وعيونكم قد اغرورقت بالدموع . وكلاً منكم يتنفس الصعداء . ويكاد يقضي من فرط البكاء ؟ . أجل ان المصيبة لجسيمة . والنازلة لعظيمة . قد اناخت بكلاكلها على هذه الأسرة الشهيرة فاختطفت منها شهيرها وهدمت عمادها . وصرعت طوداً من الاطواد الشامخة تاركة وراءها قلوباً محترقة . ودموعاً مستبقة . وفقراً منقطعةً وجيوباً متمزقة . لا بل جحافل تألبت من كل الانحاء لتبكيه وهم يستمطرون من المآقي عبرات . ويقلعون من القلوب حسرات . ألا وهو فقيد الوطن والانسانية . والعضو العامل النشيط في الارثوذكسية . المرحوم المبرور الدكتور

(سليمان الخوري عيسى الطبيب)

فما هذه الغمة اذن . ما هذه البكمة ؟ أصمتٌ بعد إفصاح . أصممٌ بعد استماع . أغلٌ في اليدين بعد بسطهما في الصلاح والسماح . أثواء في القبور بعد ان حللتَ على الرحب والسعة في زوايا القلوب . وعلوت اعوادَ المنابر في منتديات الخير والآداب ؟

لقد أمتَّ يا موت الحِجا واي الحِجب . وصرعتَ من بيننا الشخص الفرد الذي يُعدُّ بالالوف . الفارس المغوار في الصلاح لا يبارى في مضمار . ولا يُشقّ لهُ غبار . فشلَّت يداك يا موت لقد

اكبرتَ المصاب وفجعتنا بمن كنّا لنفديهُ بالمُهج والارواح

أَجل لقد فُجع الحمصيون بشخص كان حليةً في جيد هذا الزمان · ودستوراً في المكرمات يُرجع اليهِ في كل آَين وآن · وإماماً يُقتدى بهِ في الاقدام على عظائم الامور المفيدة · التي كان يدير رحاها بحركات العزيمة · بل صاحب الغيرة التي كانت تستعر في فؤاده استعار اللظى بين الهشيم · والنهضة الوطنية التي غدا فيها مثال الحزم والعزم والفضل العميم · مات وا أسفاهُ من كان غديراً لروضة الفضائل · وهماماً تُحلُّ بفطنتهِ عُقَد المشاكل — مات وا أسفاهُ الحكيم الذي كان يقطع دابر البُطل بسيف حكمتهِ القاطع · والطبيب النطاسي الذي كان يفلّ جيوش الامراض بصائب دوآئهِ الناجع · إلاَّ ما اعتراهُ من الداَء · الذي لم يُرجَ منهُ شفاء · حيث خارت فيهِ قواهُ · وفنيت في معالجتهِ حيلهُ ومسعاهُ · فصال على هيكل جسمهِ الشريف فارداهُ · واستطال على عمران اقنومهِ فاذواهُ · وفوّق على كبدهِ سهام نصالهِ فاصماهُ · فامسى رفاتاً خامداً بعد ان كان لا يألو جهداً في المشروعات الجليلة · والاعمال المفيدة الأَثيلة · التي دوّنت لهُ في بطون التواريخ ذكراً مجيداً · وأَعدّت لهُ في مأوى الابرار مجداً سعيداً

فانه وايم الله كان الرجل العالي الهمة . أصيل الرأي مستقيم المشرب رابط الجأش عالمًا عاملاً وخطيبًا بليغًا ومقدامًا عزومًا حزيمًا لا تأخذهُ في جنب الحق لومة لائم . ولا يتوقف في سبيلهِ وجه انسان . تشهد لهُ بذلك خدماتهُ الجُلّى للدولة العليَّة الأبدية القرار . وتوالي انعامات جلالة مولانا السلطان الاعظم عليهِ جزآء اخلاصهِ وتفانيهِ

بالله يا ناس ارسلوا رائد النظر حول هذا السرير الذي يضمُّ بطلاً هامًا وشهمًا سميذعًا في معترك من العمر قد نزلت عليهِ جيوش الامراض فصرعتهُ بعد ان اظهر من البسالة اشدَّها ومن المكافحة أعزَّها . بل مثِّلوا يا رعاكم الله رجلاً ليس كالرجال يتلهَّب غيرةً على الجنس والعشيرة . وقد انقضَّ عليهِ خاطف الموت فاختطفهُ من بين ايدي اسرة كريمة قد جمعت اقارب اعيان . وأهلين أماجد يشار اليهم بالبنان . قد قرَّحت عيونهم عوامل الذهول وسلبت حاساتهم دواعي المصاب . فيا الله من نكبات الزمان التي صالت جهارًا . ويا الله من جنود المنون التي كأنها تتطلَّب منَّا ثارًا :

كلما قلتُ يستتمُّ هلالٌ سلبتنا ايدي الردى اقمارا

فوقفي اذن موقف حسرات خصَّت بهِ الدموع . ومقام زفرات

أحرقت انفاسها الضلوع · فأي قلب لا ينفطر وهو يرى ان الخطب فادح · والمصاب جارح · فمن عيون تقرّحت وهي تقطر الدمع دماً · ووجوهٍ كاسفة قد علاها سيماء الاسف · أو من لا يذوب كآبةً لدى رؤيتهِ طوداً من الاطواد قد دكتهُ صاعقة الموت · وشهماً جال عليهِ عقاب الحمام فأنشب فيهِ مخالبهُ وغادرهُ جثةً لا روح فيها · وهو يشكو فراق وطنٍ وعشيرةٍ واهلين ومعارف كلهم سراة كرام لم يروا للصبر عنهُ سبيلاً · ولم يرضوا عنهُ بديلاً · وأسرةً يمزقون عليهِ الجيوب · ويودعونه بلهف القلوب · ويندبون بُعدَهُ · الذي لا لقاء بعدَهُ · وينوحون على فقدهِ ما ناح الحَمام · ويتوجعون لما حلّ بهِ من الحِمام · وانجالاً نجباء ادباء قد وقفوا ما بقيَ لهم من هذه الحياة الفانية على التذكُّر باعمالهِ المبرورة وآثارهِ المشكورة · وهم في حرقة وحسرة · وعبرة وزفرة · وقلوب تشقها النبال · واكباد تحرق بنار الضرام

وكأني بهِ وهو قائم يخاطبنا بلسان حالهِ ان مصير جميعنا الى الزوال · وليس للانسان الا ما سعى من كرام الفعال

وما المال والاهلون الاودائعٌ ولا بد يوماً ان تردّ الودائعُ

فحبذا سكوت دونهُ كلام الخطباء على المنابر · وزجر الواعظين على المقابر — واني لستُ الآن لاعدّد آثر هذا الفقيد الكريم

فانها تستنفد الساعات والايام · بل اراني أُغاير خطة المؤبنين قائلاً : الوداع الوداع اذن يا راحلاً يتبعك حمد قومك وتثوي معك الرحمة الى الأبد · وهم يودعونك بزفرات تسافر من اعماق القلوب ويؤبنونك بعبرات تستنفد العبارات · بل سيقفون فوق قبرك ويُسمعون الصخر نعيك وانت ساكن لا تتحرّك · وساكت لا تتكلم يا مصداح المجالس

فلج اذن الى هذا الضريح وآنس وحشته · وأضئ ظلمته · يا من اوحشت القلوب وصيّرت ضياءها ظلاماً انما سيبقى لاعمالك المجيدة ذكر يخلّد على صفحات الافئدة بأحرف من نور · لايمحوهُ كرور الايام ولا إعصار الأعصار

واحسرتاهُ قد عجّل البين باختطافك فبدل نظام الفرح بالترح · وألبسنا عوض السرور لباس الحداد · وغدت تبكيك المروءة يا خير نصرائها · والمجالس يا نخبة اعضائها · يندبك العلم والعلماء · يبكيك الطبّ يا خير طبيب فتح من مُغلقهِ وأُوتي من غامضهِ ماغمض على أطباء الخافقين · تبكيك الكنائس والمدارس يبكيك الوطن يا خير بنيه وقد أبقيت لك فيه آثاراً يذكرها لك بالفخر · ويعدّدها الى يوم النشر

تودّعنا يا همام بملء الحسرات · فنودعك بملء العبرات ·

تودّعنا بقلب فطره أسف الفراق · فنبكيك من قلوب شطرها الهم والغمّ · تودّعنا وداع من لا يُرجى لقاؤه فنشق عليك القلوب والجيوب · مستمطرين على ضريحك الكريم شآبيب الرحمة والرضوان · وسائلينه تعال ان يجزل ثوابك عداد حسناتك · ويشدّ أزر آلك وذويك على احتمال مصابهم بك · ويدرّعهم بدرع الصبر على فقدك الأليم · أخصّ منهم جناب الدكتور النطاسيّ «كامل افندي» صديقي الحميم · الذي أسعدني الحظّ بمعاشرته ومعاصرته مدّةً غير وجيزة فألفيتُ منه شهماً غيوراً وطبيباً كاملاً يكون خير خلف لخير سلف · وبه تتوطّد الآمال على مواصلة القيام بالاعمال التي كان والده الفقيد مثابراً عليها حتى يتمّ فيه القول المأثور : « ان هذا الشبل من ذاك الاسد » · اللهم حقق آمالنا وأجب سؤالنا انك ارحم الراحمين

«وورد علينا التأبين الآتي ايضاً من حضرة الاديب البارع اديب افندي ملحم صايبا في زحله وهو»:

غال المنون اليوم خير نزيهِ　　وسطا الزمان على اعزّ وجيهِ

قد غاب مَن اهل الكمال لفقدهِ　　أسفوا وغانية العلى تبكيهِ

مَن قد علا شرفاً ثوى في حفرةٍ　　ومَن المناصب حسرةً ترثيهِ

ايها القوم الكرام المودعون): نعم ان البين لم يُنصف باخذهِ عنّا سليماننا العزيز لانهُ لم يترك لهُ مجالاً ليفرّغ في حيّز الوجود ما بقي في صدرهِ من الاعمال المفيدة للعمران. ولكن لا تحكموا عليهِ ايها السادة بالموت لانهُ ترك للاصدقآء — للاحبآء — للاهل — للوطن — للمعارف — لطفاً وآداباً وكرماً وغيرةً وشهامةً ونبلاً وذكاءً وفضلاً ما يحفظ لهُ الذكر المُخلَّد — ومَن ذكرهُ دائمٌ لا يحكم عليه بالموت —

فبأي صفة اجول بتبيان مآثرك ايها المبرور وبأي مأثرة أجول ؟. أسرح ميدان الفكرة بافعالك الغراء ايها الفريد فكيف اقدر ان اعدد مآثرك وهي أشهر من ان تُشهر واوضح من ان توضح ؟

أأدخل في باب البحث عن لطفك ؟ نعم ولكنني اخشى ان تحول دوني عقبات فيتلعثم لساني ويُمسك يراعي ويقولان : مَن لطيف مثلي يشرح لطفي

أأدخل في باب ادبك ؟ اخشى ان لا امثل كمالهُ بتمامه فاكون مجحفاً فمخطئاً فازيد لوعة السامعين

أأطرق باب طهرك ؟ ولكن مَن يتكلم على الاطهار سوى الطاهرين ؟ ولذا ذهبت ايها العزيز الى حيث الطهارة بالذات.

فكأنك لم تجد في هذه الدنيا من يساويك بها فذهبت الى حيث المساواة

فاذا أ سفنا ايها القوم الكرام الناظرون الى فقيدنا العزيز النظرة الاخيرة لا نعجب لاننا فقدنا فيه الآداب — الكمال المسيحي — المروءة — الوفاء — الشهامة — التعزية — السلوة — إصابة الرأي — علو الهمة — سمو المدارك — محبة الوطن — حب القريب — حب الفضيلة — واصدق شاهد لنا على فضلك ايها الطود الهاوي اقبال الملوك ذوي العروش على تخصيصك بالرتب السامية · والمناصب العالية · التي كنت فيها مظهراً للعدل والاستقامة · ومثالاً للفضيلة والشهامة · ثم إجماع ألسنة الخلق — وألسنة الخلق اقلام الحق — على شكرك · وحسن ذكرك · فيسوؤنا اذن ان نحرم قطرات ... رنلق كسوفك · وان تجرع المنية وطنك الغصص

السلام عليك يا ابا الفضل والاحسان ومُشبع الجياع وكاسي العراة · السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم · ومفوّض الامر في الشدائد الى السميع العليم · كرّم الله تربك وقدّسها · وطيب روحك الزكية وآنسها · فلقد كنت للدهر جمالاً وللمستجير مجيراً · وللمظلوم ولياً ونصيراً · وللمواهب بحراً · وعلى الفقراء ظلاً ظليلاً وستراً

خبرك هذا ابصرهُ في يقظةٍ ام في منام ؟ لاني لم أُصدّق انك راقدٌ رقاد الموت وذاهب الى الابديّة دون ان تُسعدنا بزورةٍ بها نَشفي الأُوام . فسقياً لك ايتها الأَبديَّة التي تملكين على كذا فعلَة . فكانكِ نظرتِ الى ما للفقيد في هذا الكون من الافعال الحميدة والفوائد الكثيرة إن دنياً وإن ديناً فابرمت هذا الحكم الثقيل — حكم خطفه من بيننا — وعلقتِ في عنقنا عقداً نظمت فيه الاحزان والبَلايا . . . ولكن لا لا ايها القوم ان الدنيا دنيئة وصاحبنا مترفّع عن الدنايا ولذا ارتفع . فيجب ان لا نحزن ان كنا ممن يرجون الحياة الأَبديَّة . لان الاشياء تعرف بآثارها وآثار مَن نبكيه — مَن نتفجَّع عليه — مَن نشيّعهُ الى القبر — تثبت مؤيدةً « ان سليمان يسكنهُ الله في حضن ابرهيم »

فصبراً يا انجاله الكرام وذويه واصدقاءهُ وأقاربهُ ومعارفهُ على هذه المصيبة الجُلّى فان في الصبر فرجاً . وكلُّنا شارب من الكأس التي شرب منها . وسائر في الطريق التي سار فيها . نعم انكم ستوارون جثةً لا حراك لها ولكن نتيقّن بان حركة اعماله لا تبرح صدورنا وهي اعظم تعزية لهذا الفراق . لبينما يحكم الله بالتلاق . لان لكل جامع مفرِّق ولكل مفرّق جامع

الباب الثالث

اقوال الجرائد

(ننشرها بحسب تواريخها)

« قالت جريدة « لبنان » في العدد ٤٧٤ المؤرخ في ٢٨ تشرين الاول ش سنة ١٩٠٢ »

(حمص)

فُجع الفضل وآلهُ . والعلم ورجالهُ . بوفاة الوجيه السريّ . والهمام الاريحيّ . والعالم العامل . المرحوم سليمان الخوري عين اعيان الطائفة الارثوذكسية بحمص . قُبِض رحمهُ اللهُ صباح الثلثا في ٢٢ ت١ عن ٧٥ عاماً قضاها في ما يؤول لمجد الله ومحبة القريب . وخدم فيها الدولة العلية خدمة صادقة كان فيها مثال النشاط والنزاهة فانعمت عليهِ بالرتب الرفيعة . وما طار نعيهُ في المدينة حتى تقاطر رجال الفضل من كل طائفة وملة الى بيتهِ يشاطرون أُسرتهُ الأسف عليه . وعند الساعة السادسة قُرعت اجراس الحزن من كل الكنائس اشارة الى اشتراك الجميع بالحزن عليه . فسير بنعشه الى كنيسة القديس ايليان يتقدمه رجال

البوليس فتلامذة المدارس الارثوذكسية يندبونه بتراتيل شجية
ونغمات محزنة اعترافاً بما كان لهُ عليهم من الايادي البيضاء فلفيف
الاكليروس الارثوذكسي الموقر بالالبسة الكهنوتية فاربعة من
وجهاء الملة حاملين بساط الرحمة فاعضاء جمعية القديس ايليان
لدفن الموتى حاملين نعش الفقيد وهو مسجًى عليه بلباسه الرسمي
ومقلد بالسيف المنعم عليه بهما من الدولة العلية. ووراء النعش كان
الجمهور العظيم الذي لا يدرك الطرف آخرهُ وكلهم آسفون
وباكون ولما وصلوا الى الكنيسة صلّى عليه نيافة السيد الجليل
اثناسيوس متروبوليت حمص وتوابعها وكافة الاكليروس. وكان
نيافته متأثراً تأثراً عميقاً لم نرهُ منه من قبل وذلك نظراً لمكانة
الفقيد. وبعد الصلاة أبَّنهُ سيادته بعبارات. استنزفت العبرات
واصعدت الزفرات. وتلاهُ حضرة الوجيه رفعتلو حبيب افندي
مرهج فأبَّنهُ تأبيناً مؤثراً. ثم خرجوا بهِ الى المدفن حيث أبَّنهُ
حضرات الاساتذة الافاضل يوسف افندي شاهين بلسان
المدارس الارثوذكسية ورزق الله افندي نعمة الله عبود وحافظ
افندي عبود فارس وحنا افندي خباز فاثاروا عوامل الاشجان.
واجروا الدموع مدراراً من الاجفان. معددين ما لهُ من الحسنات.
والمآثر النافعات. وبعد ان واروهُ (في) الثرى انصرف الجميع

وعلى وجوههم من علامات الحزن وسمات الاسف ما يدل على قدر الفقيد وعظم رزئهِ . وهم يتوسلون الى الله ان يسكنهُ فسيح جنانهِ . ويصب على ثراهُ صيّب عفوهِ وغفرانهِ . ويسكب في قلوب ذويهِ الفضلاء . نعمة الصبر والعزآء . امين

«وقالت مجلة « المنار » (٤ : ٧٧٨) في العدد ٤٩ المؤرخ في ٢٨ تشرين الاول ش سنة ١٩٠٢ »

(حمص)

وردت الينا منها والجريدة ممثَّلة للطبع رسالة ضافية الذيول تنبئ بوفاة وجيه قومه المرحوم سليمان الخوري الذي استأثرت به رحمة الله صباح الثلاثاء الغابر (٢٢ الجاري) عن ٧٥ عاماً صرفها في الاعمال العظيمة والخدم المبرورة . وقد احتفل بجنازته الاحتفال اللائق بهِ حيث صلى عليهِ سيادة السيد اثناسيوس مطران حمص وتوابعها ومصف الاكليروس وأبنَّهُ كثير من الادباء ودفن باكرام مأسوفاً عليهِ

نسألهُ تعالى ان يتغمده بغيوث المراحم ومزن الرضوان . و يرتب نفسه في فردوس الجنان . ويمنح آلهُ الكرام نعمة الصبر والسلوان

« وقالت جريدة « المحبة » (٤ : ٦٤٠) في العدد ١٨٩ المؤرخ في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ »

(وفاة كريم)

نعي الينا من حمص رجل الفضل والوجاهة صاحب الجود والمبرات وابو الغيرة والحسنات. المغفور لهُ المرحوم سليمان الخوري عين اعيان الملة في حمص. قُبض الى رحمة ربهِ صباح الثلثا في ٢٢ الماضي بالغًا الخامسة والسبعين من العمر. فنعتهُ الغيرة وبكتهُ المروءة وناحت عليهِ الوجاهة وخسرت بهِ الطائفة ركنًا متينًا. والحكومة خادمًا امينًا. والاحسان اشد بنيهِ غيرةً واسبقهم الى اغاثة البائس والملهوف

وقد كان لهُ مأتم عظيم دوت له حمص وجوانبها واشترك فيهِ الجميع على اختلاف الملل. فسير بنعشه في مشهد من الخلق كالبحر الزاخر. والدموع تهطل من العيون واجراس جميع الكنائس تقرع حزنًا وتلامذة المدارس تسير امام المحفل تنشد ألحان الرثاء ورجال البوليس في مقدَّمة الموكب ووراء النعش الجمع الغفير. حتى اذا وصلوا بهِ الكنيسة صلَّى عليهِ سيادة راعي الابرشية ولفيف اكليروسهِ. وفي ختام الصلاة أبَّنه سيادته تأبينًا بليغًا عدَّد فيه مناقبه الغرَّاء بكلام اسال المحاجر وفتَّت القلوب. وكانت

علامات الاسف الشديد بادية على وجه ذلك الراعي الجليل ·
دالة على عظم الخسارة التي لقيها في فقد هذا الرجل الكريم الذي
كان عضداً وفخراً للملة

وفي المدفن أبّنهُ كثير من ادباء حمص واساتذة المدارس
الارثوذكسية · ثم أودع اللحد مشيعاً بالقلوب والدموع

وللفقيد من المناقب ما يطول فيهِ الشرح · وكان رحمه الله
عظيم المنزلة عند قومهِ حائزاً على اعتبار اولياء الامور وقد خدم
الدولة خدماً عديدة كان فيها عنوان النزاهة والاخلاص فنال من
مكارم الحضرة السلطانية الرتبة الثانية المتمايزة · اما عن غيرتهِ
المليّة واحسانهِ للفقراء والمساكين ومساعدتهِ جمعيات البر فحدّث
ولا حرج · فلا غرو ان كثر عليهِ الاسف وعظم فيهِ المصاب ·
نسأل الله ان يرحمه رحمة واسعة ويكافئه بملكوته السماوي ويجزل
الأجر والعزاء لآلهِ وذويهِ ويمنّ عليهم بنعمة الصبر الجميل

« وجاء في « النشرة الاسبوعية » عدد ١٩٢١ المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني
ما يأتي بقلم المعلم حنا افندي خباز مراسلها بحمص »

(وفاة وجيه فاضل)

استاذي الموقر

بملء الاسف انقل اليكم وفاة الوجيه الامثل سليمان افندي

الخوري صديقكم الحميم وصديق الانسانية . توفاه الله في منتصف ليل الثلاثاء الساعة السادسة في ٤ ت ٢ سنة ١٩٠٢ عن اربع وسبعين سنة من العمر اثر داء عياء لم ينجع فيه دواء . وما شاع خبر وفاته الا تقاطرت جماهير الناس الى داره يشاطرون أسرته الكريمة الاسف على فراقهِ . وفي الساعة السادسة وُضع ببدلتهِ الرسمية من صنف المتمايز على نعش حُمل على اكفّ اعضاء جمعية دفن الموتى الارثوذكسية . وامامه اجواق تلامذة المدارس الروسية مرنمين وبعض من رجال الحكومة السنية ووراءه ُ جمع لا يدرك الطرف آخره ُ الى كنيسة القديس ايليان الحمصي حيث صلى عليه وأبّنه سيادة مطران الطائفة الارثوذكسية ولفيف الاكليروس الموقر . وبعدها أبّنه ُ وبكاه صديقه القديم حبيب افندي مرهج . وبعدها عُرضت جثته ُ على القوم وهو بالالبسة الرسميـــة مكللاً بالازهار الجميلة فأبنه جناب الادباء البارعين يوسف افندي شاهين وحافظ افندي عبود (فارس) ورزق الله افندي عبود . ثم واروه ُ (في) التراب وخرج الجمع الغفير مردداً ذكر آثاره الغراء في الوطن . فقد تقلب في مناصب عديدة قام باعبائها اتم قيام واشتهر بالبسالة والنزاهة والرأي واللسن حتى كان آية بين معاصريه . ومما رُويَ لي عنه ُ قبل ليلة وفاتهِ انه ُ قال « ايها الرب يسوع يا من

قبلت اللص في آخر حياته اقبلني في آخر حياتي فاني خاطئ ولكني اقر واعترف ان ليس لي وسيط ولا شفيع بيني وبين الآب الا يسوع المسيح وقال لابنه الدكتور كامل افندي انهُ بذلك الاقرار حصل على سلام جديد» . عزّى الله آلهُ والمسيحيين والوطن لانهُ خسارة على جميعهم وجعل وفاته تنبيهاً لنا ولكثيرين من الغافلين لنستعدّ للانطلاق من هذا العالم الى حضرة الله . واني بلسان جريدتكم الغراء ارفع تعزياتي لنجليهِ الوجيهين الدكتور كامل والدكتور سليم واسأل لهما العمر الطويل من بعده ليكونا خير خلف لخير سلف

« وجآء في جريدة «العمران» العدد ١٢٨ المؤرخ في ٢٩ ت ٢ بقلم وكيله في حمص ما يأتي »

نعي اليكم بمزيد الاسف والحزن والانفجاع مثال الفضل وعنوان النزاهة كبير قومه المأسوف عليهِ المرحوم سليمان الخوري عين اعيان الطائفة الارثوذكسية بحمص . استأثرت رحمة الله تعالى بنفسه الطاهرة في ٢٢ ت ١ عن خمسة وسبعين عاماً قضاها بخدمة الحكومة السنية وعمل الخير . وما ذاع نعيه حتى عمّ الأسف والحزن عليهِ جميع عارفيه . وتسابق الوجهاء والفضلاء على دارهِ

يُشاطرون ذويه الحزن والانفجاع · وقد سير بنعشه باحتفال حافل
يتقدمه رجال البوليس وتلامذة المدارس ولفيف الاكليروس
الارثوذكسي الموقر ومشى بهِ كل وجيه وكبير وصلى عليه سيادة
راعي الابرشية · وفي ختام صلاة الجناز أبَّنه سيادته فاستمطر
الدموع من المآقي · ثم تلاه حضرة الوجيه رفعتلو حبيب افندي
مرهج ثم واروهُ (في) الثرى ووقف على قبره الاساتذة الافاضل
الافندية يوسف شاهين ورزق الله نعمة الله عبود وحافظ عبود
فارس وحنا خباز · فوفوهُ حقه من الرثاء والتأبين · معددين
افعالهُ الحسناء وآثاره الغراء · ثم عادت الجموع مترحمين على تلك
المآثر الوُضاءة السمحاء · رحمه الله رحمة واسعة وألهم بنيه وذويه
وجميع المتفجعين فيه نعمة الصبر والعزاء

« وجاء في العدد ١٠٢١ من جريدة « الاهرام » المؤرخ في ١٢
كانون الاول بقلم مراسلها في حمص ما ياتي »

نَعي اليكم بملء الاسف مثال الفضيلة وعنوان النزاهة
والاخلاص · كبير قومه وعميد وطنه المأسوف عليه المرحوم سليمان
الخوري عين اعيان الطائفة الارثوذكسية في حمص · فاضت روحه
صباح الثلثاء في ٢٢ الماضي بعلة التهاب الشعب الرئوية وله من

العمر نحو ٧٥ عاماً قضاها بكل مشروع مفيد . وعمل حميد . فكان ركناً متيناً للطائفة والوطن . وخادماً اميناً للدولة العلية التي قضى في خدمتها نحو ٤٠ سنة كان في خلالها مثال النزاهة وصدق التابعية . فحاز المناصب العالية والرتب السنية . وما طار نعيهُ حتى توارد رجال الفضل على اختلاف الملل الى منزله يشاطرون ذويه الاسى وشُيّعت جنازتهُ بمشهد حافل مشى فيه الكبرآء والفضلآء يتقدم الجميع رجال البوليس فتلامذة المدارس يندبونه بالالحان الشجية فلفيف الاكليروس الارثوذكسي فاربعة من سراة الطائفة حاملين بساط الرحمة فنعش الفقيد محمولاً على أكفّ اعضاء جمعية القديس ايليان لدفن الموتى فالجموع الكثيرة العدد التي لا يدرك الطرف آخرها . وصلى عليهِ في كنيسة القديس ايليان نيافة السيد اثناسيوس متروبوليت حمص وسائر الاكليروس . وأبّنه بعد الصلاة سيادة المطران تأبيناً اسال الدمع من المحاجر . فعدد مآثر الفقيد الحسنة وافعالهُ النافعة وبيّن عظم الخسارة بفقده وكان سيادتهُ متأثراً تأثراً عميقاً يدل على منزلة الفقيد وعظم الرزيئة . وتلاهُ حضرة الوجيه رفعتلو حبيب افندي مرهج فأبّنهُ تأبيناً موثراً . وأبنه في المدفن كلٌّ من الاساتذة الافاضل يوسف افندي شاهين ورزق الله افندي نعمة الله عبود وحافظ افندي

عبود فارس وحنا افندي خباز فوفوهُ حقه من التأبين والرثاء . ثم وُوري (في) الثرى ما سوفاً عليهِ . فنسأل الله ان يسكنه فسيح جنانه . ويسكب على قلوب انجالهِ وذويه نعمة صبره وتعزيتهِ

« ونشرت جريدة « المحبة » في عددها (١٩٧) الصادر في ٢٨ ك ١ سنة ١٩٠٢ رسم الفقيد وفصلاً مختصراً في ترجمة حياته بقلم جامع هذا الكتاب جاء في ختامه ما يأتي »

... وبالاختصار فقد كان من الرجال الافراد الذين تفتخر بهم الانسانية ويعتزُّ بهم المشرق . فكان مثال النشاط والغيرة والحمية والاقدام . مثال العلم والعمل والاجتهاد والامانة وحب القريب . الى ان استأثرت به رحمة الله صباح الثلثا في ٢٢ تشرين الاول حساباً شرقياً بعلة التهاب الشعب الرئوية . التي لم تمهله الا بضعة ايام تقدم في خلالها الى منبر التوبة والاعتراف وتزوَّد باسرار كنيسته الارثوذكسية المقدسة . وقد جرى لهُ مأتم حافل مشى فيه الكبراء والوجهاء والفضلاء وأبنهُ العلماء ورثاه الادباء كما جاء تفصيل ذلك في المحبة عدد ١٨٩ وباقي الجرائد الوطنية وبكاه الفضل والفضيلة والوطن والعلم واللطف وعظائم الاعمال والطب والوجاهة

وقد تلطَّف غبطة بطريركنا المفضال السيد ملاتيوس

الجزيل الطوبى فارسل كتاب تعزية لأسرة الفقيد. ضمنه من عبارات التجمل والفقر الحكمية المملوءة رقةً ما خفف هول مصابهم الاليم. وبرّد قلوبهم بندى العزآء والصبر الجميل

والخلاصة ان صاحب الترجمة رحمه الله بذل اكثر ايام حياته في خدمة الدولة العلية والوطن والطائفة الارثوذكسية والطب الروحي والجسدي خدمة نصوحاً يندر ان يبذل حياته في سبيلها غيره. فعاش عيشةً صالحة. ومات ميتة صالحة. وخلف ذكرى صالحة. وذكر الصدّيق للبركة. وهذا افضل عزآء نقدمه لنجليه الحبيبين وأسرتهِ الفاضلة

«وكتب ايضاً جامع هذا الكتاب فصلاً في ترجمة الفقيد نشرته مع رسمهِ مجلة «الطبيب» في عدديها التاسع والعاشر الصادرين في شباط وآذار سنه ١٩٠٣. وقد جآء في ختام الترجمة المذكورة ما يأتي»:

... وقد استأثرت به رحمة الله صباح الثلثاء في ٢٢ ت١ حساباً شرقياً بعلة التهاب الشُعب الرئوية التي لم تمهله الا بضعة ايام اظهر فيها من آثار التوبة الصادقة ما كان فيهِ خير مثال بالتقوى والورع والثقة بالله. فكان يُشجع من حوله من اسرته على احتمال فراقه ويعزيهم بانهُ منطلق الى يسوع. وبعد ان تزوّد

بأسرار كنيسته الارثوذكسية قضى مخلفاً ذكراً حسناً على ممر العصور والايام. وقد جرى له مأتم حافل مشى فيه الكبرآء والفضلاء ورجال الحكومة ودفن في كنيسة القديس ايليان بعد ان صلّى عليه لفيف الاكليروس الارثوذكسي الموقر. وأبّنه نيافة السيد اثناسيوس متروبوليت حمص وعدد من الادبآء. ورثاه الشعرآء واذاعت نعيه الجرائد الوطنية والمصرية. وبكاه الفضل والفضيلة واللسن. والارثوذكسية والوجاهة والوطن. والطب وعظائم الاعمال. واللطف والعلم والكمال

نسأل الله ان يرحمه بمداد حسناته ومبراته وآثاره الغرآء. ويسكب في قلوب ذويه نعمة الصبر الجميل والعزآء. ويجعل نجليه العزيزين خير خلف لخير سلف

« وجاء في مجلة «المقتطف» المجلد ٢٨ عدد ٦ ص ٥٠٤ — ٥٠٦
ما يأتي بقلم جامع هذا الكتاب [١] »

الدكتور سليمان الخوري

رزئت مدينة حمص في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ ش

---

(١) تنبيه: قد اختصرت مجلة المقتطف هذا الفصل اختصاراً مخلاً. فرأينا ان نزيد هنا على ما نشرته منه كل ما هو ضروري لاصلاح المعنى وسد الخلل بين هلالين

بوفاة احد اركانها وكبار اعيانها المرحوم الدكتور سليمان افندي
الخوري ولد سنة ١٨٣٠ وبرع في كثير من المعارف و (كان
والده الخوري عيسى اول كهنة كنيسة حمص الارثوذكسية من
نوابغ القرن التاسع عشر ذكاءً وعلماً وفضلاً وقد) حصّل الطب
اولاً بنفسهِ ثم درسه على بعض الاطباء المصريين (زمن وجودهم
بسورية من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠م. فلما نشأ ولده صاحب
الترجمة لقّنه اياهُ ودرّبهُ معهُ في المشاهدات اليومية فبرع فيه)
وكان قد تعلم العربية والتركية والفارسية

وفي سنة ١٨٥٠ انفذ الباب العالي طبيباً من قبله لامتحان
الاطباء والجراحين والصيادلة في ولايات الاناضول وسوريه. فلما
وصل حمص لم يجد فيها من يحسن التطبيب سوى صاحب الترجمة
ووالدهِ فاعطاهما اجازتين بذلك. و (بناءً على هذه الشهادة)
صدر امر سامٍ من نظارة الداخلية سنة ١٢٩٤ هجرية يعترف به
طبيباً قانونياً. وقد اشتهر بغيرته على صناعته ومعالجة الفقراء مجاناً
وخصوصاً في سني تفشي الكولرا في حمص فانها ظهرت ست
مرات فيها من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٩٥

وبعد وفاة والده عيّن وكيلاً للبطريرك الانطاكي في ابرشية
حمص سنة ١٨٦٥ ثم نائباً لمطران حمص واعطي لقب المحامي عن

حقوق المسيحيين وعين وكيلاً لاوقاف طائفته . ولما كان المطران (ديونيسيوس المتوفى سنة ١٨٨٤) لايحسن (الخطابة) العربية كان صاحب الترجمة ينشئ عظة كل اسبوع ويدفعها الى كاهن من الكهنة فيقرأها على جماعة المصلّين

ولم تقتصر اعماله على خدمة طائفته بل خدم الدولة خدمة تذكر فعين عضواً نائباً عن المسيحيين في مجلس ادارة حمص سنة ١٨٦٥ حين ابتدأ تشكيل الولايات الشاهانية ثم انتقل مركز المتصرفية الى حماة (سنة ١٨٦٧) فأُعيد انتخابه ولكنهُ رفض ذلك حباً بخدمة مدينته ومسقط رأسه . و(ظل عضواً في مجلس ادارة حمص الى ان) عيّن عضواً في محكمة البداية سنة ١٨٨٠ ثم مستنطقاً في السنة التالية وبقي كذلك الى سنة ١٩٠٠ فاستعفى لطعنه في السن

وقد كافأته الدولة على خدمته الصادقة فمنحته الرتبة الثانية المتمايزة (مع لقب افندي) . ولما فشت الكولرا في حمص سنة ١٨٩٠ ارسلت الولاية اليها وفداً من الاطباء العسكريّين ليؤلفوا هم واطباء المدينة لجنة صحية لمقاومة الوباء فعيّن صاحب الترجمة رئيساً لتلك اللجنة

وكان وديعاً ليّن الجانب كارهاً التعصب نقياً بارعاً في الانشاء

والخطابة اميناً في خدمة الدولة متضلعاً من قوانينها ونظاماتها وكان يحب المطالعة فاقتنى مكتبة جامعة أنفس الكتب القديمة والحديثة وعُرف بميله الى المجلاَّت العلميَّة وخصوصاً المقتطف اقدمها وقد خدمهُ خدمة غيرة واخلاص منذ اول انشائه . وكان ولاة الامور يكرمونه ويجلّونه ولما توفي اقيم لهُ مأتم حافل وأبّنه العلماء ورثاه الشعراء ونعته (اكثر) الجرائد السورية وبعض المصرية . اكثر الله من امثاله وجعل من نجليه الدكتورين البارعين خير خلف لخير سلف



الباب الرابع

رسائل الرثاء والتعزية

(مرتّبة بحسب تاريخ ورودها)

الفصل الاول

رسائل الاكليروس

« رسالة غبطة السيد السند الجليل . وراعي الرعاة المفرد النبيل . كيريوس كيريوس ملاتيوس دوماني بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق الجزيل الطوبى والفائق الشرف والاعتبار »

برحمة الله تعالى

ملاتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق

نوفمبر ١٨٩٥

ايها الابناء الاحباء بالرب الاجلاء الاكارم أسرة المرحوم سليمان الخوري المحترمين داموا مباركين

بعد اهداء لفيفكم المحبوب البركة الرسولية والادعية الفؤادية

وافتقاد غالي صحتكم — باسف نعت إلينا الاخبار ركن العائلة الكريمة
وعمادها سليمان افندي المثلث الرحمة فكان لها في فؤادنا الابوي
تأثيرات كدر عظيم ونازلة اسف لا يوصف لاننا بفقده نرى
خسارة جسيمة لكم ولآلكم الاكارم خصوصاً وللطائفة الارثوذكسية
عموماً نظراً لما كان عليه رحمه الله من جليل الصفات والتزيّن
بالخلال الكريمة وزد على ذلك سجايا التقوى والغيرة المسيحية
والشهامة الارثوذكسية . ولذا فمهما اكثرنا عليه من عبارات الرثاء
لا نجد ما يكفي لايفاء التعزية بل نرى ان التعزية تضيق بجانب
تلك الخسارة الفادحة والرزء الجسيم . انما التعزية بان الموت امر
الهي محتوم على كل نسمة حية فان « من يحيا ولا يعاين الموت ؟ »
وسبيل لا بد من اجتيازه . ولكن موت المسيحي المؤمن هو انتقال
صالح من الموت الى الحياة مملوء رجاء حياً بالقيامة مع المسيح
في الدهر العتيد لان « الموتى بيسوع يقيمهم الله معه » كما وعد
سبحانه صدقاً . ومرقاة من دار الهموم والشقاء والتعاسة
والفناء . الى سماء الخلود والهناء والراحة والسعادة والبقاء . وعلى
ذلك فالفقيد العزيز لم يمت بل باعماله الصالحة وفضائله وتقواه قد
سار الان مكملاً زمان حياته على الارض بشيخوخة فاضلة للقاء
وجه ربه الكريم والتمتع بسعادة القديسين الذين ارضوهُ تعالى .

نعم لم يمت لانه ترك خليفة صالحة تحرز كرامته ان شاء الله بفضائله ومناقبه المشكورة وبها عوض السلف اذ تكون خليفة كريمة لسلف كريم وفروداً صالحة لاصل صالح

ونحن نتوسل اليه تعالى جل شانه ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه · ويسكنه فسيح جنانه · ويرتب نفسه الطاهرة في احضان ابرهيم · في فردوس النعيم · ويسكب على افئدتكم الاسيفة صيّب الصبر الجميل وندى التعزية الالهيّة لشكر وتمجيد اسمه تعالى الاقدس والتسليم لمشيئتهِ الصالحة · وان يجعل العوض بسلامتكم جميعاً وسلامة ذويكم عمراً مديداً خالياً من النوائب والاكدار ويشملكم بآلاء نعمتهِ الالهية ويكون معكم ويحفظكم بوقايتهِ واسعاده للدوام »

شام في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ (محل الختم)

وكتب سيادة الحبر الغيور كيريوس كير اثناسيوس متروبوليت حمص وتوابعها الجزيل الاحترام الى حضرة الدكتور البارع كامل افندي نجل الفقيد وكان قد اهدى الى سيادته رسم والده رحمه الله »

الى الودود بالرب الشهم الغيور الدكتور النطاسي كامل افندي الخوري الاكرم دام مباركاً

بلهفة ابوية تلقيت اليوم رسم المرحوم المبرور والدكم الرجل

العظيم الذي كنت منذ زمن مديد اترقب الفرصة لافوز به · فاقدم
لكم تشكراتي القلبية لهديتكم هذه الثمينة لاني اتوق لوضع هذا الرسم
المحبوب في بهو المطرانية وفي غرفتي الخصوصية لاتذكر مآثر رجل
صادق خدم المطرانية والملة والوطن والدولة احسن خدمة تذكر
بالثناء على ممر الايام · ولذا فاني مستعد ان احله في مكان يليق
بسمو خدماته الصادقة التي يندر صدور مثلها من غيره · فاسأل
الرحيم الغفور ان يرتب نفسه النقية في المظال النورانية مكافأة له
على مبراته وحسناته وخدماته المستحقة التقدير · وارجو من الله سبحانه
ان يحفظكم ويحفظ اخاكم واخواتكم وابناء اخيكم تحت ستره
الالهي مصونين لحدق العيون ويمن عليكم بالنعم السماوية لتقتفوا
اثر المرحوم بالخدمة الصادقة نحو مسقط الراس والملة المعززة شانه
والرافعة منار اسمه في الحياة وبعد الانتقال · ويرينا اياكم احسن
شبان يشار اليهم بالبنان بالاقوال المفيدة والافعال الحميدة · ولا
يسوءنا بكم ويجعل مصابكم بالمرحوم خاتمة احزانكم ويحفظ حياتكم
دائماً آمين

« وكتب سيادة الحبر الكلي التقوى السيد يوليوس بطرس مطران
السريان الارثوذكس في حمص وكل سوريه الجزيل الشرف والحرمة »

انا اذا اطلقنا عنان النظر · وسرحنا رائد التأملات والفكر ·

فيما على سطح البسيطة من المخلوقات المتعددة . والمبروءات المختلفة . لرأيناها كلها آئلة الى الزوال . وعائدة الى الفناء والاضمحلال . لكن الانسان يختلف عن بقية الموجودات بان له نفساً خالدة غير قابلة الانحلال . ولا التحول من حال الى حال . بل تبقى بعد فناء الجسد حية منتظرة قيامته من البلى لتدان معه في ذلك اليوم الاخير المهيب . يوم الدينونة الرهيب

وبناء على ذلك فيكون موت الانسان انتهاء حياة وقتيه . وابتداء حياة ابديه . ويكون دخوله في القبر استعداداً للوصول الى الحياة الاخرى السماويه . ومما يؤيد ذلك ان المرء لا يكافأ في هذه الحياة الحاضرة عن الفضيلة التي قدمها . ولا يجازى عن الرذيلة التي اجترمها . فهو اذن يتوقع ذلك في حياة اخرى مستقبلة سيقضي فيها القاضي العادل حينما يأتي في مجده وعلاه . ويجازي كل امرىء بما صنعت يداه

بقي امر واحد يجب الانتباه اليه في الآصال والاسحار . والهذيذ به آناء الليل واطراف النهار . وهو ان يطلب الانسان من الله ان يمنحه بعض ادلة يعرف بها منتهى حياته الارضية . ويكون دائمًا على استعداد واهبة لمزايلة هذه الحياة الدنيا والصعود الى الاخدار السماوية . كما كان داود النبي والملك يصلي بحرارة قلبية

ويقول: « يا رب اعلمني أَجلي ومدة ايامي كم هي فاعلم كم لي حتى ازول » (مز ٣٨: ٥) — ولكن تلك نعمة لا يفوز بها الا المقربون الانقياء . وهبة سماوية لا يحصل عليها الا البررة الانقياء . وسرٌّ الهيّ لا يدركه الا العائشون بخوف الله . والسالكون بحسب اوامره ووصاياه . والعالمون حقيقة هذه الحياة الدنيا . بانها ليست سوى بخارٍ يتعالى قليلاً ثم يفنى

فهذه النعمة قد استحقها والحمد لله فقيد الوطن الذي أيتم الطب والعلم بصرعه . وابكى الفضل والفضيلة بمأتمهِ . المثلث الرحمات الدكتور سليمان افندي الخوري فقيد الوجاهة والارثوذكسية . وصاحب المآثر الشهيرة والاعمال السنيّة . فانه رحمه الله قد استحق ان يعرف منتهى حياته الوقتية . فتمم جميع واجباته الدينيّة . واستعدّ لسفره الاخير احسن استعداد . وتزوَّد بالاسرار الطاهرة التي هي خير زاد . وسامح جميع الناس وطلب الصفح منهم اعداءً ومحبين . وحينئذٍ رقد بالرب مخلفاً آثاراً تذكر بالشكر على ممرّ السنين . وترك للوطن من بعده نجلين فاضلين هما اعظم سند للأُمَّة . واكبر غوث في دفع كل غمَّة . ودرء كل ملمة . قد تأثرا والدهما المرحوم في غرر اعمالهِ . ونسجا على منوالهِ . وهذه اكبر تعزية للوطن على هذا المصاب الذي يقل في مثله ذرف الدموع . وشق القلوب والضلوع

وبما ان الفقيد العزيز من الرجال الافراد · الذين خدموا الدولة والطائفة والوطن بصدق واجتهاد · وسعى السعي الحميد · في كل مشروع مفيد · وكان الرجل العظيم في ملته · والفريد في بلدته · والخادم الصادق لدولتهِ · والشهير بهمّتهِ وغيرتهِ · فهو بلا شك قد انتقل من هذه الحياة الفانية · الى تلك الحياة الباقية · وموته لم يكن الا صعوداً الى تلك الاخدار السماويّة السامية · وقد ابقى له ذكرى حميدة مجيدة · وآثاراً حسنة فريدة · تستدرّ على ضريحه الرحمات · في كل الاوقات · وتؤهله لملكوت السماوات

فسبيلنا ان نتوسل الى الله القدوس ان يرحمه عداد حسناته واحساناتهِ · ويسكنه فسيح جناته · ويجود عليه بعفوه وغفراناته

واما انتم يا بنيه الاعزاء واسرته الفاضله · فكفكفوا عبراتكم الهاملة · وتعزّوا على هذا المصاب الشديد · بما ابقاه لكم والدكم العزيز من المجد التليد · تضيفونه الى حسبكم الطريف واعمالكم المجيده · فيبقى ذكر اسرتكم مخلداً في صفحات التاريخ دهوراً عديدة · واقبلوا تعزيتي هذه بلسان طائفتي السريانية الارثوذكسية · في كل سوريّة · التي تشترك معكم في المصاب · وتحفظ لفقيدكم الذكر الحسن على مرّ الاحقاب · سائلاً الله ان يحفظكم بستره الالهي و يجعلكم خلفاً صالحاً لذلك السلف البار · ونعمته تعالى فلتشملكم سرمداً ·

« وكتب قدس الاب الكلي التقوى والورع الخوري ايليا الانطاكي احد كهنة كنيسة حمص الارثوذكسية »

« طوبى للاموات الذين يموتون بالرب لانهم يستريحون من اتعابهم واعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣)

ما هذه الغمامة السوداء الصاعدة من جوانب الافق تتقدم الينا بسوادها الحالك. وقد انتشرت على احيائنا بهيئة مريعة. فارتعدت لها الفرائص وخفقت القلوب هلعاً. واصطكت الركب اضطراباً وجزعاً. ما هذا السواد الذي غشى مدينتنا اليوم. ما هذا السكوت المخيف والمنظر الهائل. مالي ارى الجماهير الغفيرة تسير مسرعة تتبع الغمامة وكأن على رؤوسهم الطير. وجوههم عابسة ودموعهم جارية والبابهم حائرة. ولماذا الى الآن لم تشرق الشمس. هل انبعث يشوع من الموتى فاوقفها عن جريها ولم يدعها تطلع على عباده فساد هذا السكون والخوف وذري على الرؤوس الرماد. ولماذا الى الآن لم تنهض العصافير لتغرد صباحاً. لتتلو تسبيحاتها الصباحية ؟؟؟

آه ووا أسفاه. انها لا تقوى على التغريد اليوم لان عدواً لها قد قام مقامها بالرغم عنها واضطرها الى السكوت. وانتشر في انحاء المدينة كالجراد لينعب بصوته المزعج ويخفق بخوافيه السود صارخاً باعلى صوته: جللوا غرفكم وقصوركم وسطوحكم بلوني الاسحم.

ثيابكم ورياشكم واثاث بيوتكم اصبغوها باللون الأقتم . واذرفوا الدموع السخينة واجروها انهاراً ولا تضنوا بها فان كل غالٍ ونفيس يجب ان يبتذل و يرخص . لان المصيبة عظيمة . لان النازلة شديدة عليكم اليوم والخطب جليل يا اهل حمص . والصبر عزيز وقد رحل . فلا عذر لكم ان لم تبكوا بكاء الخنساء على ابيكم الجليل . على العالم المفرد . على مغيثكم آونة الشدائد والازمات . على طبيبكم الفائق الشهرة . على صدر المحافل والمجالس . على خطيب المنابر . على الحكيم العظيم . على السياسي المحنك . على فكاك المشاكل . على المحسان الشهير . على قطب دائرة الهمة والإقدام والعمل . على العالم الكبير . على الشيخ الجليل على (سليمان افندي الخوري)

الدكتور سليمان افندي الخوري قد مات! قضى نحبه . انتقل الى عالم الابدية . رحل عنا وبصدره الرحيب وقلبه الحنون آمال عظيمة نحو ملته ووطنه لم يمهله الموت ريثما يتم امانيه وينال بغيته الصالحة

كلّ شيءٍ مصيره للزوالِ غير ربي وصالح الاعمالِ

انتقلت عنا ايها الاخ الحبيب والصديق القديم ما هذا العهد بيننا . عاهدتني على الولاء فما بالك يا اخي قد صرمت حبال العهد واحببت الجفاء . أما مكّنتك حذاقتك العلمية . ومقدرتك العقلية .

وعقاقيرك الطبية · ان تصبر فنذهب معاً · وتنسيء في اجلك مدة ما تنتهي انفاسي وينقضي اجلي واذ ذاك اضمك يا رفيق صبائي العزيز الى صدر ألهبته بنار الاسى على فراقك الذي لا لقاء بعده في هذه الحياة · اضمك ونطير معاً ممتطين صهوات الرياح · الى عالم الارواح · حيث افراح لا تعقبها اتراح

كيف سبقت صديقك ايليا ؟ اما كان الاحرى بك ان تودعه احتراماً للصداقة · سبقته وقد تركته يلهب ظهور جياد مركبة حياته ليلحق بك ويناديك باعلى صوته فلم تعره التفاتاً ولا اصغاء · ولم تلبِّ له نداء · بل تواريت عن الابصار · الى دار القرار · ومورد الاخيار

الى اين الى اين انت ذاهب؟ قد زرعتَ الا تحصد؟ قد بذرت الا تجمع ؟قف قليلاً لنسمعك على الاقل كلمة شكر جزاء خدمك واتعابك · كلمة ثناء جزاء مبرّاتك وصنائعك · كلمة تبجيل مكافأة لك على ما عانيت وقاسيت من التعب والنصب امام طائفتك التي يتمتها يا اباها الحنون · كلمة اعتراف بالجميل يا صاحب الاعمال العظيمة في مقابل ذودك عن ملتك ووطنك وعثمانيتك ومحاماتك عنها بسيف الحق والصدق · بسيف الهمة والحزم · بسيف الدراية وسموّ الافكار · بسيف العقل والعلم والفضل · ليكن ذكرك مؤبّداً ايها الراحل عنا

بما خلفت بيننا من مآثر وآثار. تذكر عليها بالشكر مدى الادهار. ليكن ذكرك مؤبداً بما تركت لنا من اعمال ومفاخر نباهي بها كل جيل . ليكن ذكرك مؤبداً بما نسلت للوطن من انجال نحيي بهم اسمك المحبوب المجيد ونحيي بهم ابناء القرن العشرين الجديد. الذين سيكونون ولا ريب انواراً تشرق في سمائه الوضاءة وانصاراً للعلم والفضيلة التي كنت من اعز انصارها. ووكلاء أمناء على الوطن والطائفة المعترفة بالجميل فتتعزى قلوبنا وتخف احزاننا ونكفكف دموع عيوننا الجارية

فالله اسأل ان يعوضنا بسلامة اسرتك الكريمة وبقاء الدكتورين النطاسيين اللذين يمثلان لنا ما اتصفت به من الغيرة والحزم والحمية وشرف النفس ونبالة المقاصد . وان يمنحك ايها الفقيد العزيز سكنى اخداره السماوية بين ابراره الصالحين

....

فهذا ايها النجلان النجيبان . والابنان الحبيبان . ما اشعر به من معرفة جميل وفضل صديقي ووالدكم المغفور له الذي كان متزيناً باجمل الصفات . ومبرهناً باعماله واقواله عن احمد واجل الغايات . اقدمه لكما بياناً على سمو قدره وعظم الخسارة بفقده . ومقاسمتي لاسرتكم الكريمة. اوفى نصيب من هذه المصيبة الأليمة. لا اراكم الله

مكروهاً فيما بعد · ومتعكم جميعاً بالهناء والرغد آمين

« وكتب قدس الاب الكلي الورع والتقوى الخوري جرجس المغربي احد كهنة كنيسة حمص الارثوذكسية »

حضرة الابنين الحبيبين بالرب الدكتورين البارعين كامل افندي وسليم افندي خوري الاكرمين داما مباركين

الناس قسمان : قسم يعيش لنفسهِ · وقسم يعيش لنفسه وللعالم · اما الاول فوجوده وعدمه سيّان · واما الثاني فيموت بموته خلق كثير · ولقد كان فقيد الارثوذكسية والوجاهة والطب والدكم المغفور له المثلث الرحمات من القسم الثاني · فلا عجب اذا رأينا العيون على فراقه دامعة · والقلوب بعد بعده خاشعة · والجيوب ممزّقة · والاضالع مشققة · والكل في الحزن عليه سواء

والناس مأتمهم عليه واحد   في كل دارٍ رنّةٌ وزفيرُ

كيف لا واننا لو راجعنا تاريخ حياته المسطور باحرف من نور على صفحات الصدور · لرأينا له كثيراً من غرر الآثار الناطقة بفضلهِ وغيرتهِ · وفرائد الاعمال الشاهدة على علوّ همّتهِ وحميتهِ · فطالما احسن الى الفقرآء وطبّبهم مجّاناً · وطالما سعى السعي الحميد في خدمة الطائفة الخدم المبرورة · وخلف من الآثار المشكورة التي تفرد بها بين الملا ما كان لنا فخراً وللشرق مثال فضل يذكر

بالشكر والثناء على مرّ العصور · وهذه جمعيات الملة وكنائسها ومدارسها اكبر شاهد على حسن عنايته · واوضح دليل على شرف مقصده ونبالة غايته · وهذه سجلات الحكومة السنية انصع برهان على امانته في خدمتها ونزاهته · وهذه الرتب الرفيعة التي منحته اياها تؤيد صدق تابعيته · واخلاصهُ في عثمانيته

فمصابه والحالة هذه مصاب عظيم · والرزء به رزءٌ جسيم اليم فشلّت يد المنون التي فتكت به · وتباً لك يا موت ما اقدرك على تفريق شمل الاخوان · وفصم عرى اتحاد بني الانسان · كم مزقت من القلوب بشفارك · وكم احرقت من الافئدة بنارك · وكم غادرت اخاً يندب اخاه الطريح · وابًا ينوح على ابنه الحبيب · وارملة تبكي عماد بيتها وركنهُ الركين · وابناً يذرف على ضريح والده الدمع السخين · ويصعد الزفرات تترى · لا تحن ولا تشفق ولا تخشى ولا تتعب · هلا رحمت ابا اليتامى · وغوث الايامى · وفكاك المشاكل والمعضلات · وصاحب المبرات والحسنات · هلا رثيت لدموع الباكين بالمدامع الحرّى · وقد فقدوا من كان لهم ذخرا وفخرا

على اننا اذا تأملنا في هذه الحياة الزائلة كالحلم والخيال · وتذكرنا ان الموت امر الهي وقضاء لا مردَّ له ولا منقذ منهُ ·

ونهاية كل حي لانه « من هو الانسان الذي يحيا ولا يرى الموت » . واذا تصفحنا الكتب الالهية ورأينـا ان موت المسيحي رقاد وقتي ومرقاة للصعود الى الافراح السماوية . نتعزّى نوعاً عن الاكدار التي تحيق بنا والمصائب التي تنتابنا . في هذه الحياة . ولذا فلي ملء الامل بحكمتكما ايها الابنان الحبيبان بالرب ان تتعزّيا مع اسرتكم الكريمة عن مصابكم العمومي هذا . ويساعدكم على الصبر ايمانكم العامل وتقواكم وسيرة فقيدكم الطاهرة . وآثاره الزاهرة . التي لا تزال تتأرج باريجها الارجاء . وتتعطر بذكرها الانحاء

واعتبرا ايها الحبيبان ان من كان كوالدكما المغفور له قد نسل للوطن فرعي مجد وسؤدد . وغصني فضل وفضيلة يعزان اسمه . ويخلدان ذكره . ويتأثرانه في الاعمال النافعة . فهو حي بالذكر الحسن والأُحدوثة الطيبة

هذه حاساتي اقدمها لكما مع التوسل الى الله تعالى ان يجعل ببقائكما العوض على الوطن وآله . والفضل ورجاله . ويجعلكما خلفاً حسناً لأحسن سلف . ويسكن الفقيد في حضن ابرهيم . في فردوس النعيم ويهبكم مع لفيف اسرتكم نعمة الصبر الجميل . آمين

«وكتب قدس الاب الكلي التقوى والورع الخوري نقولا شكور
احد كهنة كنيسة حمص الارثوذكسية»

انما المرءُ خيال وحياتهُ كحلم نائم . حلاوتها مرارة وسرورها ترح ونعيمها بؤس وصفوها كدر . فكيف يصفو له عيش وجيوش الردى محدقة به ؟ تفاجئه المصائب من حيث لا يدري وترشقه سهام النوازل من حيث لا يعلم . كل يوم له رزء جديد فهو ابداً حليف الشقاء واليف الضرَّاء . هدف لاسهم القضاء . وجوده على هذه البسيطة غم وعناء . فتباً لدنيا هي ميدان البلايا ومقر الرزايا . لقد صبّت علينا من صواعق الحدثان ما يفتت الجلمود . ورمتنا من نبال النوازل بما تندك له الرواسي . فجعت الايتام بعضدها والضعفاء بنصيرها . والفضل بعماده والعلم برافع مناره . والمنابر بخطيبها والمرضى بطبيبها . هو النطاسي الخبير واللوذعي الشهير . انموذج الغيرة والشهامة وعنوان الحمية والكرامة . صاحب المآثر الغرّاء والايادي البيضاء . السري الامثل المرحوم سليمان افندي الخوري :

عمّت عوارفهُ فعم مصابهُ　　فالكل فيه بالمصيبة واحدُ

فلا عجب اذا حرّم على العيون الهجوع . وسال دم الفؤاد مع الدموع . وذابت القلوب تحسراً . وتمزقت الاحشاء اسى وتأثراً . فالمصيبة فادحة والخطب جلل . انما يعزينا ما كان عليه فقيدنا بل فقيد

الوطن من الصلاح والتقوى وطيب السيرة والسريرة . فلاشك انه في السعادة الابدية مع زمرة الابرار بناءً على قولهِ تعالى : « طوبى للاموات الذين يموتون بالرب واعمالهم تتبعهم » وايضاً « الذين يعملون الصالحات الى قيامة الحياة » . ويعزينا ايضاً انهُ قد نسل للوطن العزيز فرعي مجد اقتفيا آثارهُ بالغيرة والشهامة ولا غرو فان هذا الشبل من ذاك الاسد . نسأله تعالى ان يسكب على قلبيهما مياه التعزية والصبر الجميل . ويجعلهما خير خلف لخير سلف جليل . آمين

« وكتب قدس الارشيمندريت الكلي التقوى والورع كيريوس سليبسترس الصُغيّر رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في سان باولو (برازيل) »

« طوبى للاموات الذين يموتون بالرب منذ الآن . نعم يقول الروح لكي يستريحوا من اتعابهم واعمالهم تتبعهم »

علمت مؤخراً بوفاة السعيد الذكر الطيّب الأثر المثلَّث الرحمة والذكر سليمان افندي . والله العليم ان ذلك الخبر المكدِّر قد أثَّر بقلبي اشد التأثير لعلمي الاكيد بعظم الخطب وجسامة المصيبة . اذ بفقدهِ فقدت الكنيسة والوطن ركناً عظيماً كان يركن اليهِ عند الملمّات نظراً لحسن صفاته ولما اودعه فيه الخالق

سبحانهُ من المواهب التي تفرَّد بها بين قومهِ واترابهِ · فكان رحمه الله غوثاً للفقير · وجبراً للكسير · ونصيراً للمظلوم · وعضداً للملهوف · وفخراً لملتهِ ووطنهِ · فيا للخسارة ويا لعظم الخطب الجسيم الذي اصاب آل خوري خصوصاً والارثوذكسية عموماً · اذ قد دُكَّ طود المجد · وأفل بدر الفضل · فلتندبه المراتب التي تقلب فيها وكان قائماً بواجباتها حق القيام · وليبكهِ الشرف الذي كان يبذل النفس والنفيس في سبيل صيانتهِ · ولتتوجع على فقدهِ الارثوذكسية اذ كان من اعظم الغيورين على مصالحها · ولتصلِّ لاجلهِ الكنيسة لانه كان شديد المحافظة على واجباتها المرعيَّة · ومن اعظم المتمسكين بتقليداتها الرسوليَّة · والمذعنين بايمان لاوامرها الالهية

فبناءً عليه ايها الاحباء اذ كان فقيدكم المثلث الرحمة مزيناً بالصفات المسيحية السامية · والمناقب الشريفة التي لا تحصى · لائق بكم ان تتدرعوا بالصبر الجميل · متذكرين قول الرسول اذ ينهانا عن فرط الحزن كباقي الامم الذين لا رجآء لهم · ولنا الرجآء الوطيد بان المنتقلين عنا سينالون راحة ابدية بدلاً من اتعاب هذا العمر المملوء من الاكدار والاحزان · وكفانا ما اوردهُ يوحنا الحبيب في رؤياهُ « طوبى للاموات الذين يموتون بالرب · · ·

لانهم يستريحون من اتعابهم واعمالهم تتبعهم » فاذ لنا مثل هذه التعزية ايها الاعزآء وجب علينا ألاَّ نحزن على موتانا · وخصوصاً اذا كانوا مثل فقيدكم المثاث الرحمة الذي كان مملوءًا ايماناً حارًّا بالله · والذي صفاته المسيحية واعماله المبرورة تخلد ذكره وتؤهله للملكوت السماوي

وعلى هذا الأَمل نرفع اكفَّ الضراعة اليهِ تعالى ان يتغمده برحمتهِ العميمة · ويرتب نفسهُ في مصاف الابرار والصديقين · حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء ولا تنهد بل حياة لا تفنى · طالباً لكم ولعموم آل خوري الكرام عمراً مديداً خالياً من شوائب الاكدار



الفصل الثاني

بقيَّة الرسائل

«كتب حضرة الوجيه الأمثل عزتلو يوسف افندي اسبر سبع ترجمان قنصليَّة دولة روسيا الفخيمة في دمشق من رسالة لسيادة السيد اثناسيوس مطران حمص وما يليها»:

تشرفت برسائلكم الاخيرة .... وقد حزنت حزناً عميقاً على ذاك الشيخ الوقور المرحوم سليمان الخوري وبكيتهُ بكاء ابن لابيه لانني كنت اعزّهُ واعتبره جدًّا ولو علمت الخبر قبل حين لذهبت الى حمص وكنت من جملة مشيّعي وحاملي ذلك الجسد البار وودعته الوداع الاخير فعسى ان اتمكن من زيارة ضريحه العطِر حيثما اضفر اكليلاً يعبق من حاسات الاعتبار والولاء. رحمه الله رحمة واسعة وعزاكم ايها الحبر الجليل على فقد هذا الركن من ملتكم بل من الملة الارثوذكسية في انحاء الكرسي الانطاكي. اني مُقدر خسارتكم ومشترك معكم بها وحزين للغاية فاسأَل الله ان يعزيكم وان يعزي أُسرته الحزينة من بعده — حقًّا وا اسفاهُ على ذلك الطيب الاثر الحسن القلب الطلق اللسان الغيور. قد خسرت

اليومِ بهِ صديقاً كنت على ثقة من محبتهِ وولائهِ فتبا لدنيانا الغرور. وانتم خسرتم من مجلسكم شهماً نصيحاً واميناً. فليتقبل الله نفسه في الفردوس وليجعل حظها الوقوف عن اليمين في اليوم الاخير آمين

« وكتب من بيروت حضرة العالم العامل واللغوي المدقق الفاضل ابرهيم افندي الحوراني الحمصي الشهير »

أسفت شديد الاسف لذلك الخطب الجسيم والرزء العظيم. بوفاة واحد الحكماء وامام العلماء. وثقل عليَّ الرزء فحاولت تعزيتكم فما وجدت اليها سبيلا. لاني وجدت من نفسي اني مفتقر الى المعزّي على فقد ركن من اركان الانسانية والفضيلة وفخر وطني وخلاصة اصفيائي واخلاّئي الوفيّين. ان الخسارة لا خسارة مثلها فمصابنا مصاب الوف ورِبوات بل مصاب الوطن السوري كلّهِ. فاطلب من نفسكم معزّياً لكم فان حكمتكم لا تدعكم تحزنون كالباقين الذين لا رجاء لهم. ويساعدكم على الصبر دينكم وايمانكم وسيرة فقيدكم الطاهرة. وسجاياهُ الفاضلة. واعماله الصالحة. وطول مدة خدمتهِ جيلهُ في السياسة والطب الجسدي والروحي. لانه ان كان هذا كلهُ لا يعزيك فماذا تكون تعزية ميت ابن ميتين واخي اموات وابي ميت مثل شريككم في الاسى ؟؟؟

هذا ولست ممن ينهونكم عن الحزن على فراق والدكم الشهير.
انما انا ممن يرغبون في تخفيف اساكم حرصاً على صحتكم وسلامتكم
اللتين يتوقف عليهما العوض على الوطن والنفع له. لانكم بلغتم ما لم
يبلغه السلف من العلم والطب والتهذيب وجريتم على سنن ابيكم
وجدكم اللذين ذكرهما يعطر كل الارجآء في كل قطر. وقد كسبتم
فضلاً طريفاً جماً على الفضل التليد الوافر فانتم على احسن استعداد
لاحيآء اسميهما. وتعزية قلوب الآسفين عليهما. عزاكم الله الرحيم
واجزل صبركم وحفظكم انتم وسائر الآل والاقربآء من كل ما
تكرهون. وادامكم فخراً لمحبكم الاسيف

«وكتب من طرابلس حضرة الاديب الفاضل المعلم جرجس
افندي الياس الخوري المقدسي ب.ع»

ايها الصديق الودود الدكتور كامل افندى خوري الموقر
بلغني مؤخراً خبر انتقال المرحوم والدكم من دار الفنآء الى
دار البقآء. لا شك انه كان من الابطال الذين جاهدوا جهاد
الحياة بامانة. فقد خدم العلم والطب والحكومة والجمعيات الخيرية
سنين عديدة بنشاط وامانة غريبين. فالمصيبة فيهِ مصيبة عمومية
والوطن كله شاعر معكم بهذا الرزء. فالله يهب قلبكم تعزية الايمان

ولا يذيقكم بعد هذا مكروهاً . بلّغ حاساتي لكل فرد من أسرتكم الكريمة . لا تعزية لنا حقيقيةً ما لم نرفع قلوبنا الى السماء — «الحياة بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل» — «فطوبى للاموات الذين يموتون بالرب» — «لانا نعلم انه اذا نقض بيت خيمتنا الارضي فلنا في السماء بناءٌ غير مصنوع بيدٍ ابديٌّ»

«وكتب ايضاً»

ان مصابكم بفقد السري الامجد والدكم مصاب عمومي . فقد خسر الوطن بفقدهِ رجلاً من اعظم رجالهِ من حيث سموّ المدارك وقوة المبادىء . اما سمو مداركهِ فظهرت بتحصيلهِ العلوم بدون استاذ ولا سيما علم الطب الذي كان فيه موضوع ثقة الخاصة والعامّة . اما قوّة مبادئهِ فظهرت في انه خدم الحكومة السنين الطويلة ولم يدنس ذيلهُ باقل الارتكابات . نعم ان الكرام قليلون ولكنهُ كان واحداً من اولئك القليلين الذين يفتخر بهم الزمان . فكانت حياته مفعمة بالاعمال المجيدة . فطالما داوى المرضى وشعر مع البائسين ونشط باقوالهِ وافعاله الجمعيّات الخيريّة والادبيّة . فكان عضواً حياً في جسم الوطن واستمرّ في جهادهِ هذا الى آخر حياتهِ لا يرى منهُ الناس الا الوداعة وجودة القلب :

فاقت دواخله حسناً ظواهره ُ على المروءةِ والإقدامِ قد طُبعا

وضيع قلب رفيع في مقاصده ِ الى العلى ابداً ابصاره ُ رفعا

وقد دهمته ُ مصائب عظيمة في حياتهِ مثل فقد بنين وخسارة مال ولكنه اظهر وسط تلك الارزاء التسليم التام لله . فهو خير قدوة لمواطنيهِ في تصرفاتهِ

شيخ جليل عاش في مهد التقى فغدا لمن ام الرشاد دليلا

متخشعاً متواضعاً يطأ الثرى يغشى المساجد بكرة واصيلا

ما زال في سبل السعادة مسرعاً حتى جزاه ُ ربه ُ إكليلا

قال روزبري السياسي الشهير على ضريح غلادستون الوزير الخطير : « ان الامة الحية اذا فقدت رجلاً من نوابغ رجالها تجد حالاً من يقوم مقامه ُ » وهذا القول يصدق على الأسرة الحيَّة . فأسرة الخوري عيسى في حمص عوَّدت الوطن من امدٍ بعيد انه ُ :

اذا مات منها سيد قام سيد قوول لما قال الكرام فعول ُ

وعليه فالانظار متجهة اليك ايها الصديق العزيز . لانك انت خلف والدك الطيب الذكر فانسج على منوالهِ واعلم ان اعظم المسعدات في هذه الدار هي صرف الحياة في الاعمال التي تؤول لمجد الله وخير القريب

« وكتب من الآستانة العلية حضرة المحامي الشهير سعادتلو
اسكندر افندي فرج الله طراد »

حضرة الفاضلين والاديبين الكاملين الافنديين كامل وسليم
خوري المحترمين

قبل زمن يقارب ثلث جيل قطنت حمص مدة عامين شاهدت بهما انس ذويها الذي لا اقدر ان انساهُ . ومن الجملة عرفت المرحوم والدكم وعشقت مسامرتهُ واستفدت من معاشرتهِ وقدّرت مركزهُ وتأكدت ما لهُ بين ابناء بلدتهِ لا بل بين عموم السوريين من المقام الرفيع وحسبت نفسي وقتئذٍ سعيداً بذلك . مضت كل هذه المدة على افتراقنا ولكن المرحوم والدكم ما برح من بالي وكنت أؤمل على الدوام ان الدهر يمنّ عليّ بالاجتماع بهِ ثانية — الآن خاب املي واحسرتاه . فقد جاءنا بريد هذا الاسبوع حاملاً الخبر المكدر بترك المرحوم هذه الدنيا فوالله لقد كان لهذا الخبر اعظم تأثير عندي . اعرف جيداً ان الحزن على فراقه عمّ جميع من عرفهُ كيف لا وقد كان المرحوم السلوى الوحيدة للمريض والملجأ للفقير والناصح والمعلم والحكيم والعضد لكل من استنصح واستشار حكمتهُ السليمانية . ففقدهُ والحالة هذه خسارة عظيمة وهذه الخسارة ليست لكم فقط بل لطائفتهِ ولبلدتهِ ولعموم معارفهِ . والبكاء عليه

واجب · لكن ما العمل والموت امر مقدر والموت كاس لا مفر من شربه وهو كالقصاب في الغنم · فمن انتقل عنا فقد سبقنا ونحن لاحقون به · فاذا تأملنا في هذه الحال بحكمة فلا يبقى علينا سوى التوسل للعزة الالهية بان يجعل مرقد المرحوم الاحضان الابراهيمية ويشمله بالرحمة الغزيرة وان يهب حضرتكم وأسرتكم من بعده عمراً طويلاً خالياً من كل غم ويعزينا ويعزي اصحابه وعارفيه بوجودكم يا اعزائي

«وكتبت أسرة المرحوم حنا قزما بك احد انسباء المتوفى بدمشق»

الدهر دهر لا يستقر على حال ولا يديم راحة لانسان · فبينما نراه يبسم لنا ويعدنا بدوام السعادة والسرور لا نلبث ان نراه قد تغير وقلب علينا الحال · فتباً له من دهر خؤون وتبا لهذه الدنيا فانها دار الشقاء · وطوبى للذين يموتون بالرب فان لهم سعادة لا تزول وفرح لا يحول

اخذنا الخبر المكدر ولكن من يستطيع احتماله فامسينا ونحن لا نعي على شيء لعظم الضربة · فيا له من خبر يمزق الاكباد ويفتت القلوب · فعلى مَ وجدنا في هذه الارض المملوءة بالاشواك والعليق أَلنشقى ونتعذب ؟ فالمصاب عظيم والخطب جسيم · فيا لله من غدر

هذا الزمان الذي لا يتم سروراً ولا يترك الانسان في راحة ولا يوماً. ووا أسفاه على ركن الطائفة المسيحية كيف تزعزع. ووا أسفاه على تلك المواهب السامية التي تفرد بها من عرفناه بالامس شيخاً جليلاً قد صرف العمر بخدمة الوطن والدولة والدين. ويا أسفاً على شمس سوريا بل المشرق ان تغيب. فيغيب حامي المعارف والعلوم وناشر الآداب والتهذيب. فاذرفي يا عيون الوطنيين اليوم الدموع الغزيرة لفراق من قد طالما كنت تعتمدين عليه وتركنين اليه. فالى مَن تركنون ايها الوطنيون الآن وعلى مَن تعوّلون وقد هوى ركنكم وسندكم. وان انتم ذرفتم الدموع السخينة فماذا يفعل اهل بيته الذين اصابهم فوق هذه الخسارة العامّة التي يشترك بها كل سكان حمص بل سوريا خسارة اخرى خاصة وهي خسارة ركن بيتهم وعموده؟

فكيف العمل ومن يعزي وقد عم الحزن كل من ينتسب الى مدينة حمص بل بالحري لسوريا بأسرها؟ فلنطلب من المعزي الوحيد والمخلص الحبيب ان يعطينا التعزية ويمنحنا الصبر على هذا المصاب فهو وحده قادر على هذا الامر. وان يعطينا ما نحتاج لنتغلب على الضعف البشري. ذاكرين اننا بينما نحن في هذه الحال فالفقيد (رحمه الله) قد دخل ديار السعادة وانتقل من هذه الدار

الفانية دار المصائب والاوجاع الى الديار الازلية حيث الشمس الحقيقيّة تشرق والملائكة تبتهج بقدومه لينال من المخلص اكاليل المجد ويسمع صوت الملك السماوي قائلاً لهُ : تعال يا مبارك ابي وادخل الى الفرح السماوي لتنال جزاء اعمالك اذ احسنت استعمال الوزنات التي سُلّمتها وسعيت لمجد الملك السماوي

فلنتعزَّ ذاكرين ما طبع عليه الفقيد من الصبر . ولو أُتيح له ان يوصينا لما اوصانا بغير الصبر . فطالما صبر على مكاره الزمان . وتغلب على مصائب لا يستطيع حملها الا من كان متوشحاً بحلى الفضائل والتقوى وحاملاً سلاح الايمان

فرحمك الله يا من كنت خير مثال يقتدي به الناس وأبهى منارة تضيء ويستنير بها كل من طلب النور

نسأل الله ان يمدّنا بمساعدته ليعين قلوبنا البشرية . وان يجعل هذه المصيبة خاتمة مصائبكم . ويحفظكم جميعاً بالصحة والراحة ويصونكم مما يكدركم . ذاكرين ان المخلص قد اعدَّ لنا مكاناً بهجاً بالسمآء . عند ما ينقلنا من هذه الدار دار الشقآء والعنآء

« وكتب حضرة العالم اللوذعي والدكتور النطاسي عزتلو اسكندر بك البارودي مدير ومحرر مجلة « الطبيب » الزاهرة ببيروت »

جناب العالمين البارعين والدكتورين النطاسيين كامل افندي وسليم افندي خوري المحترمين

غب افتقاد خاطركم والسؤال عن صحتكم . قد تأسفنا شديد الأسف عند قراءتنا في الجرائد عن وفاة المرحوم والدكم صديقنا ووالدنا الذي طالما شاهدنا من مآثر حزمهِ وعزمهِ وحكمتهِ وخلوصهِ واستقامته وغيرتهِ وتوقد ذهنهِ وتفانيهِ في خدمة الانسانية ومساعدة اخوانهِ في البشريَّة مع شيخوختهِ وكثرة اشغالهِ . ولطالما اختبرنا منه نحونا من حاسات الودادوالمحبة واللطف يوم كنا في حمص وبعد مبارحتنا اياها . فرحمه اللهُ رحمة واسعةولنا بكم ايها الاعزاء عوض يذكرنا شخص المرحوم ذي المآثر والمحامد . سقى الله ثراهُ غيوث الرضوان . واسكنه فسيح الجنان . فانهُ الحنَّان المنَّان . وألهم جميع الأُسرة الصبر والسلوان . فاقبلوا مني التعزيةوقدموها لحضرة الوالدة والاهل . لا فجعتم بعزيز بعده

« وكتب من طنطا حضرة الاديبين الفاضلين الافنديين اسحاق ومرحان عبدالله حداد »

متى تصفو لنا الدنيا فنصفو ونحن كقولهم ماءٌ وطينُ

وإنّا مثل نبت الحقل نمو وتحصدنا بمنجلهـا المنونُ

ليس بامكان يراعنا القاصر ان يعرب عن شدة الاسف الذي شملنا عند سماعنا الخبر المكدر بل النبأ القاصم · بوفاة علامة وطننا وامام اطبائنا وحكمائنا والدكم المرحوم السعيد الذكر والخالد الاثر · فحقًا لو وقعت صاعقة بين يدينـا لما ادهشتنا كحلول هذا النبإ · وكيف لا نتأسف · ام كيف لا نبكي ونتلهف · وقد فجعنا بفخر بلدتنا وذخر ملّتنا · الخادم الامين للدولة والوطن · الذي صرف حياته الثمينة في الاعمال المجيدة الآئلة لمجد الله الاعظم وخير القريب · ذاك الذي نقش على صفحات قلبه الحنون حب الوطن من الايمان · ذاك الطبيب الحاذق النطاسي الذي طالما طبب الفقراء مجانًا · واحسن اليهم احسانات خلدت له في بطون التواريخ ذكرًا مزدانًا · فوا اسفاه عليه من رجل عظيم جليل · «ان الزمان بمثله لبخيل» ووالهفاه على تلك الحكمة الباهرة والعلم الصحيح الذي كان يتدفق من فيه · والسجايا الفاضلة والمآثر الفريدة التي تفرد بها بين الملا وخلدت له الصيت العطِر · وكانت وسيلة لاستدرار الرحمات على ضريحه من كل ذي قلب صادق وفكر قويم

نسأل الله ان يرحمه عداد مبرّاتهِ وغرر افضالهِ · ويسكنه في جنانه الفسيحة في حضرة جلالهِ · ويلهمكم بعده الصبر الجميل ·

والاجر الجزيل · ويجعل العوض على الوطن ببقائكم ولا يريكم بعد هذا المصاب مكروهاً · بمنه وكرمه

« وكتب من اسكلة طرابلس حضرات الافاضل سمعان افندي حلبي واسرته »

حضرة الفاضلة التقية ارملة المرحوم سليمان الخوري واولادها الاعزاء المحترمين

نوافيكم بالفرض الواجب — ونحن لم نعلم بذلك الخبر الهائل حتى الامس — فوا أسفاهُ كيف قد تلاعبت ايدي المنون في قاعة السيادة والوجاهة فاختطفت عن اعلى كراسيها سيداً هو من خيرة سادتها · ووجيهاً من اعظم وجهائها · فأخذ الناعب في باحات ذلك المنزل الرفيع يصرخ باعلى صوتهِ نحو ابواب الابدية قائلاً :

« اليوم سقط عظيم في اسرائيل »

فانفتحي ايتها الابواب واستقبلي من الديار الفانية ذلك السيد الخطير والفقيد العزيز الذي كان وهو في قيد الحياة يتأهب للولوج فيكِ ويستعدُّ للرحيل اليكِ

قضت ارادة الله ايتها الفاضلة والاخوة الأحباء ان ينفذ

حكمها المحتوم وقضاؤها المبروم — فليكن اسم الرب مباركاً —

بالحقيقة ان المصيبة جسيمة والخسارة عظيمة . ولكنها ليست محصورة بكم بل تعم كلَّ من عرف ذات الفقيد ووقف على ما كان عليه « تغمَّده الله برضوانه » من حسن السجايا وحميد الصفات . كيف لا وان قيمة الحياة ليست بطولها بل بفوائدها . ولذا ففضلاً عن ان حياة فقيدكم كانت طويلة ومملوءة من بركات الحياة فقد كانت ايضاً أثمن من ان تُثمَّن . لانها كانت مثالاً للعمل . مثالاً للجد والنشاط . خير مثال وقدوةٍ روحياً وزمنياً . وبالاجمال كانت مثالاً جيداً للعيشة المسيحيَّة الحقيقيَّة

« فطوبى اذن للاموات بالرب

هنا محطّ الرحال ايها الاحباء . وهذه هي نهاية كل مخلوقٍ . وكلُّ شيءٍ في الحياة يذكرنا بسرعة الزوال . ولا شيء يفيد في المصائب الا النظر بعين الايمان الى يسوع رئيس الايمان ومكمله . فان كلمات البشر تقصر في مثل هذا الخطب عن إلقاء التعزية في قلب الحزين . فهو وحدهُ القادر ان يعزّي قلوبكم ويُسلّي افئدتكم بروحهِ القدوس ويعيضنا بسلامتكم جميعاً آمين

« وكتب حضرة الحسيب النسيب والعلامة الاريب فضيلتلو السيد محمد حافظ افندي الجندي خادم العلم الشريف بحمص »

هو الحي الباقي

تالله ان الموت لا زال يجدد ما اختلف من المواعظ بعوده على الناس يوماً فيوماً · ومــا برح يقصر طوال الآمال بالمفاجأة غير مبالٍ بعتبٍ ولا مختشٍ لوماً · فكم نبّه الغافل وايقظ النائم · وحثّ الخامل على العمل للمجد الدائم · واقعد جزعاً اهل الملاهي بقيام المآتم · وكم قصف غصن شباب نضير · وخسف بدر حسن منير · ولم يبق على خطير ولا حقير

وليس العجب من سحقه ذرّات العالم في هاوَن القهر · وتقليب قلوبهم على حرارة الجمر · ولكن العجب من مشاهدة الناس منهُ تكرّر الافعال · ونبذهم ذلك في حيّز الاهمال · فلا حرّ يرعوي ولا عبد ينزجر · وما همّهم الا الانكباب على غرض زائل وعيش مكفهرّ · هذا الذي حيّر عقول اولي الالباب سرّ معناهُ · فلا حول ولا قوّة الا بالله

هذا وبينما كان الشهم الفاضل · والطبيب الحاذق الكامل · صاحب المعزّة سليمان افندي الخوري راتعاً في بحابح العيش الخصيب · محرزاً فــي حصن الامن على رغم الواشي والرقيب · اذ عاجلته

المنون. وبدلت حركته بالسكون. حال كونه بالغاً من العمر من السنين. خمساً وسبعين. قضاها في عمل الخير وخدمة الاهل والوطن. فبكل اسف نروي ترجمة حياتهِ. وبكل شجن نعزّي أهلهُ بوفاته. فنقول مع الاختصار:

لقد كان ذلك الفقيد عين اعيان الطائفة المسيحيَّة. في بلدتنا المحميَّة. وكان رفيع المكان لدى العصبة الاسلامية. حسن الاخلاق محبوباً عند الاعيان حكيماً نبيلاً صدوقاً ودوداً محباً للانسانية. حسن المعاشرة ذكياً مُدبراً حرَّ الضمير متجنباً المشاحنات والمناظرات محباً للسلم واصلاح ذات البين. لا يرى فخراً لنفسهِ. يسلِّم على كل من يراهُ في يومهِ وامسهِ. وكان شفيقاً على الفقراء. ذا برّ وإعطاء. نال من تعطفات الدولة العلية العثمانية ايدها الله الرتبة الثالثة ثم الرتبة الثانية فالرتبة الثانية المتمايزة مكافأةً له على حسن خدمتهِ. وصدقهِ وطيب شهرتهِ. وقليل ذلك في جانب استعدادهِ. برع في علم الطب حتى عُدَّ فيه من الطبقة الاولى مع شدة ذكاء وحدّة ذهن وقوة فطنة. تعين عضواً في مجلس ادارة القضاء ثم استخدم في عضوية محكمة بداية القضاء مع ايدائه مأمورية الاستنطاق. وفي كل هذه الوظائف قام قياماً حسناً لحسن تدبيرهِ وسياستهِ. وكمال عفته ونزاهتهِ. ولذلك كان

لنعيه وقع عظيم وتأثير كلّيّ في قلوب الناس لما عُرف بهِ مدة حياته وقيامه بين ظهرانيهم من كرم الاخلاق وطيب السجايا وحسن المعاشرة مما استحق لاجلهِ الاسف الشديد . والحزن الاكيد . فلتبكِ عليهِ عيون الفقرآء الذين كان يطببهم بلا نفع يعود عليه سوى الثنآء الجميل . بل طالما عاد عليهم من مبرّاتهِ خير جزيل . ولتحزن عليهِ قلوب المتظلمين الذين كان يمشي في خدمتهم ويقضي مصالحهم في ابواب المحاكم . توفاهُ الله صباح يوم الثلثا الواقع في الثاني والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٣١٨ (رومية) وما انتشر خبر هذه الفادحة الأليمة حتى هرع الى بيتهِ جماهير الناس . وقد احتفل بدفنهِ بمشهد حافل مشى بهِ الوجهآء والاعيان وكلهم آسفون متلهفون . حيث غيّب في لحده . وانفرد عن اهله . وتركهم شخوصاً حيارى من ذلك الفراق الدائم . لا حيلة لهم في دفع ما دهمهم سوى شآبيب دموع تنصبّ ولا انصباب الامطار . وقلوب تنفطر وحق لها الانفطار . على ذلك المصاب الذي ملأ افئدتهم ارتياعاً . واطار قلوبهم انصداعاً . فنسأل الله لهم التثبّت والصبر الجميل . وهو حسبنا ونعم الوكيل

« وكتب حضرة الكاتب الالمعي والعالم اللوذعي السيد
عبد الحميد افندي الزهراوي »

من كان عمله نافعاً . وخلقه رضياً . كان وجوده في المجتمع الانساني ساراً . وفقده مؤسفاً . وكما تكون حضرته مؤنسة . تكون غيبته موحشة

هذا الوصف ينطبق على رجال لا استطيع ان اقول انهم كثيرون ولكن استطيع ان اقول ان عظم مزاياهم وكثرة فوائدهم خير من كثرة عدد من عداهم ممن لا نفع في عملهم يرجى . ولا خلق لهم يرضى

وهل لا ينطبق هـذا الوصف على رجل عمله الطب ولا ريب في نفعهِ . وخلقه الانصاف ولا شك في فضلهِ . هل من شك في ان هذا الرجل واحد من اولئك الذين وجودهم يسرّ . وفقدهم يسوء ويؤسف ؟

هذا الرجل هو من فقده الوطن بالامس فتجلّى هذا المعنى (الذي قلناه) يوم فقدهِ تجلياً ظاهراً اذ شاهدنا الاسفاء لفقدهِ كثيرين على اختلاف المراتب . وتنوع المشارب

هذا الرجل هو الطيّب الذكر « سليمان افندي الخوري » الذي اشتهر وعُرف بالمهارة في الطب . وبالاخلاص في التطبيب .

وبالاستقامة فيما عُهد اليه من خدم وطنهِ المتنوّعة · ولهذا لم يكن بِدعاً ان ناسف له معشر عارفيهِ · ولكن الاسف في هذه الحياة لا يرد فائتاً · ولا يحيي مائتاً · فالواجب ان نجعل بدل الاسف ادعيةً بخلوص البال وطهارة القلب ان يجعل الله انجاله النُجباءَ خلفاً اخياراً بعد هذا السلف البارّ وان يعزّيهم باحسن العزاء · ويمنحهم على مصابهم اجلّ الثواب والجزاء · امين

«وكتب حضرة الوجيه الفاضل الحاج محمد افندي الجندلي الرفاعي»

لقد فقدنا بفقد سليمان افندي الخوري طبيباً فاق الاطباءَ · ولبيباً سبق الالباءَ · وانساناً في حب الخير كان قدوة الكرماء · قد ترك الوطن ماسوفاً عليه وحل بدار البقاءَ · وهذا سبيل كل الاحياءَ · وما مات من لا يذكر الا بالثناء · فنسأل رب الارض والسماءَ · ان يكافئهُ على اعماله الخيريّة الحسناءَ · وآثارهِ الحميدة الغرّاءَ · وان يحفظ انجالهُ النجباءَ · انه سبحانهُ بيدهِ الجزاءَ · وهو سميع الدعاءَ

«وكتب حضرة اللبيب الاريحي والوجيه السري عزتلو علي افندي الجندلي الرفاعي باش كاتب محكمة قضاءَ حمص الابتدائية سابقاً»

سبحان الباقي بعد فناءَ خلقه

ان فقد فقيد الوطن العميد · وانتقال الطبيب الفريد ·

الذي اشتهر بحكمتهِ عند اولي المعرفة والرشاد · وطار صيت حذاقته الى اقصى البلاد · وطنينا الحكيم · الصادق المستقيم · سليمان افندي الخوري عيسى الحمصي · الذي كان لأيتام طائفتهِ كأبٍ حنون بمقام وصيّ · قد دعانا نحزن ونتأسف · ونبكي ونتلهف · وهيهات ان ينفع الحزن والأسف · ولما شاع منعاهُ الهائل · رددت قول القائل :

اقول وقد فاضت دموعي جمّة
اری الارض تبقی والاخلاء تذهبُ
اخلاّيَ لو غير الحمام اصابكم
عتبتُ ولكن ما على الموت معتبُ

وقد صرف الفقيد اكثر سني حياتهِ مستخدماً في الحكومة محسناً الخدمة · سالكاً نهج الاستقامة والنزاهة والذمة · فلم يرتشِ بدينارٍ ولا درهم · ولم يأتِ قطّ بامرٍ يجلب عليهِ العار والذمّ · حتى ضرب به المثل · بعلوّ الهمة والصدق في العمل · وقد وُجدتُ معه في المأمورية سنوات عديدة رايتُ فيها منه ما دلني على صدقهِ وصداقتهِ · وحسن طويّتهِ ودرايتهِ · والحق يقال انهُ خدم الدولة والملة بالصدق والامانة · والعفة والنزاهة · ولحسن خدمتهِ حصل على رتب عالية · وألقابٍ سامية · وكان يبذل جهدهُ بمعالجة

الفقرآء والضعفاء · محتسباً وجه الله ذي الآلآء · كريم النفس مترفعاً عن الدنايا · ومثالاً حسناً في التواضع والصبر على البلايا

فلما اكمل ايامهُ المحدودة · واتمّ انفاسه المعدودة · فارق الدنيا تاركاً احسن المآثر · ونجلين متحليين بسمات الآداب والمفاخر ·

واني اقدم لهما هذه الشقة اشعاراً بما بيني وبين الفقيد · من الولآء الثابت والحب الاكيد · واعلاناً بما اصابني بموته من الحزن الشديد · سائلاً الله تعالى ان يظلاّ سائرين على نهج ابيهما في سائر الاوقات · ليصدق المثل : «مَن خلَّف ما مات» · واختم كلامي بالدعاء الى المولى الجليل · ان يمطر ثرى الفقيد بغيوث العفو الجزيل · ويسكب على قلوب اسرتهِ نعمة الصبر الجميل · ويجعل لنا العزآء ببقاء نجليه وحفظهما · ويعوضنا بسلامتهما وسلامة من يلوذ بهما · انه على ذلك قدير · وبالاجابة جدير

«وكتب حضرة النطاسي البارع الدكتور كامل افندي سليم لوقا»

تأمُّل وتفجُّع ورثآء

ولو علم الطبيب دوآء داء يرد الموت ما قاسى النزاعا

اجل ان الموت امر محتَّم · وقضاءٌ مبرم · لا يستثنى من شرب كاسهِ ملك او عظيم · ولا سياسي ولا حكيم · ولا علامة او

نحرير اديب · ولا كل فهامة او نطاسي طبيب · فقد قضى الله ان
كل حي يموت ويعود جسمهُ المادّي الى العناصر التي يتركب منها
وقُدّر للانسان مهما كان متزيناً باسمى الصفات الانسانية · وافخر
المزايا البشرية · ان يكون هدفاً لسهام المنيَّة · ومن يعش يُفجَع بذويهِ ·
ومن يمت فالمصيبة فيهِ · فيا لله ما هذه البلية · نوح وبكاء وعويل
ورثاء ومصائب ونوائب · وبلايا ومتاعب · في هذه الدنيا الدنية ·
وفقدان أَبٍ حنون واخ عزيز وصديق صدوق وشريك هناء
وسرور وولد تنفطر لفقدهِ الاكباد وعظيم ترتجّ لنعيهِ الاقطار ·
وتتأسف خسارتهُ الامصار · تلك سنّة الموت الغدّار · فلا حول
ولاقوّة الابالواحد القهّار · أجرنا اللهمّ مماسوّلتهُ لنا نفسنا الشقيَّة

ليس يا قوم كل من مات فقيداً كريماً · ولا كل ما أُسوف
عليهِ انساناً عظيماً · فقد تموت الوف من البشر · ولا يتأسفهم احد
الا ذووهم وآلهم · ولكن الرزية العظيمة بفقد الرجل العظيم الذي
يموت لموتهِ خلق كثير · وتتأسفهُ الاوطان ويفقده الفضل
والعدل والانصاف · كمن فقدنا نحن الحمصيين بفقيد الارثوذكسية
الفاضل · وعماد النصرانية الامين الكامل · ذاك الرجل العظيم
والشهم الكريم · اعني به وطنينا سليمان افندي الخوري الحكيم ·
فبلسان الوطن نرثيه اذ كان للوطن خادماً اميناً متفانياً في حبّ

وطنه وملته ودولتهِ التي قضى العمر بخدمتها خدمةً نزيهةً صادقةً بالعدل والاستقامة · فلتبكه العيون والمحاجر · ولترثهِ الاقلام والمحابر · لانه كان رحمهُ الله رب القلم · وصاحب البند والعلم · متضلعاً من العلوم والمعارف الادبيةّ والفلسفية والطبية · حائزاً افضل ما تتزين به الصفات الانسانية · وديع الجانب قويم المبدإ شريف النفس يرغب في المجد الحقيقي المؤسس على الفضائل السامية الادبية · جمع في صدرهِ كثيراً من الاقوال الحكمية التي كان رحمهُ الله يلقيها في القوم لانارة الاذهان واظهار الحقيقة · سياسياً محنكاً مع خبرة ورويّة · يحترم الكبير · ويراعي الصغير · اذا قال فعل ثابت القدم مهيباً وقوراً · يحتقر المال وسعة العيش بطريق الظلم والخسةّ والدناءة · ويفضل العيشة البسيطة الشريفة بطريق الحق والعدل والامانة · يحافظ على اعلاء مركزهِ الاجتماعي بالاجتهاد والثبات · وعمل الخير والاحسان واتمام الواجبات · فخليق بمن كانت صفاتهُ كصفات هذا الفقد الكريم ان تتفطر لموتهِ القلوب · وتُشقّ عليه الجيوب · فلمثلهِ يحق التأبين والرثاء · وعلى خسارته الوطنية يجب النوح والبكاء

فيافقيدنا الكريم · ايها الشيخ الجليل · يا من خدمت الاوطان · وصدقت بخدمتك هذه لمولانا السلطان · كيف لا نتذكر

حسناتك ومبرّاتك . ونترنم بذكر ما آثرك الغرّاء وافضالك . بل كيف ننسى تهذيبك لتلاميذ المدارس الوطنية الارثوذكسية ايام كانت تحت عهدتك وادارتك . وكيف نسلو ثباتك واجتهادك في اجراء المشروعات الادبية والخيرية . ونزاهتك واخلاصك في خدمة الحكومة السنية . فقد نلتِ ما نلتهُ من الوظائف والرتب عن استحقاق وأهليّة . وقمت بحق وظائفك حق القيام . وحكمت بالحق والعدل بين الانام . فحفظت بذلك مركزك السامي ومقامك الرفيع في هذا الوطن . فليرحمك الرحيم الرحمان تعداد حسناتك . وليحفظ لك الحمصيون تذكارًا مؤبدًا مطبوعًا على صفحات افئدتهم لا يُنسى ما دامت معرفة الجميل من فروض الانسانية

انت احسنت بالحياة إلينا　　　احسن الله بالممات إليكا

وبانجليه الفاضلين وذويه الكرام . ان فقيدكم هو فقيدنا . وخسارتكم الفادحة هي خسارتنا . فمصابكم عظيم وخطبكم جسيم . ولكن العاقل من تدبّر . وشكر الاله وتصبّر . فيكفي ما اورثهُ لكم المرحوم والدكم من آثار الفضل وحسن الصيت والخلال الشريفة السامية التي كلّلت اسمهُ باكاليل المجد والصلاح . فاقتدوا بسيرتهِ الحميدة وانسجوا على منوالها . وتشجعوا بتلك الشجاعة الادبية التي تمسك بها المرحوم والدكم ايام حاقت بهِ المصائب . واكتنفتهُ النوائب .

فكان عندها ثابت الجأش صبوراً على كوارث الايام · شأن الرجل الحديدي الذي لا يتقلقل لعواصف البلايا ونوائب الزمان · نسأل الله لفقيدكم الرحمة والرضوان · ولكم من بعده طول البقاء مع التعزية والسلوان

«وكتب حضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب افندي جبور»

ولو اني قدرت على قيامٍ ... بفرضك والحقوق الراجباتِ
ملأت الارض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحاتِ

أي فقيدنا العزيز · باي عين نبكيك · وباي لسان نرثيك · فلقد عظمت مصيبتنا فيك · وقد عمنا البلاء بعد تنائيك

ما كنت اعلم قبل وضعك في الثرى ... ان الثرى يعلو على الاطوادِ
بعداً ليومك في الزمان فانهُ ... أقذى العيون وفتّ في الاعضادِ

فنبكيك باعين الفقراء والايتام الذين كنت لهم حبيباً وافياً · والمرضى والسقماء الذين كنت لهم طبيباً شافياً · وباعين المدارس التي استنارت بانوار آدابك وعلومك الجليلة · والكنائس التي زينتها بمفاخر صفاتك ومساعيك النبيلة · وباعين المجالس التي تصدّرت فيها سيداً تقيم القسط والميزان · والرتب السنية التي توالت عليك من قبل مولانا السلطان · ونبكيك بعيون المظلومين

الذين انصفتهم . والجهال الذين هذّبتهم . والمحزونين الذين عزّيتهم . والصدور العظام الذين آنستهم . وبعيون الانسانية التي كنت في وجنتها شاماً . والمدنية التي رفعت في إعلائها اعلاماً . ونبكيك باعين ذي فؤاد متبول فقد بفقدك شقيق الروح بل روح الشقيق :

بكت الارامل واليتامى حسرةً لما رأت قلب السماح تحسّرا
وتنهّد المجد الذي ربّاه من صغرٍ فكان له ابًا ومدبّرا

ونرثيك باقلام كانت طوع بنانك . تستقي من بحور علمك وعرفانك . فتملي على القوم آيات بيانك . ناشرةً ما ذخره الله في قلبك وجنانك . فيستضيئون بنور برهانك . فقد خدمتك الاقلام في حياتك . فخليق بها ان ترثيك بعد مماتك

اجرى اليراع عليك دمع مدادهِ فكسى به القرطاس ثوب حدادهِ
وبهِ نخط لك الرثاء من الاسى فهو المقيم على عهود ودادهِ
ياصاحب الفضل الذي لو اننا نبكي بهِ لم نخشَ وشك نفادهِ

فيا سليمان الحكمة لقد كنت تزري بفصاحة سحبان . في متانة الحجة وساطع البرهان . وسرعة الخاطر وذلاقة اللسان . وسموّ المدارك وتوقد الجنان . وكرم الاخلاق . وطيب الاعراق . وبديع الخصال . وجليل الفعال . فسبحان من شاء فكان

اخي

فارقتنا لا مودعاً . فهل لنا ان نلتقي معاً . أَنذوق بعد مرّ فراقكم حلو التلاق . وتستنير الاحداق بانوار بدر انسكم بعد المحاق . بل هل نرى بعد كم لخدمة الفضيلة والمدنيّة . ونصرة الحق والانسانية . ربَّ نزاهة واخلاص وغيرة وحميَّة ؟

وهل نلقى غير الصبر ملاذاً . بعد ما سقينا ضريحك وابلاً ورذاذاً . واودعنا فيه اخاً وابا واستاذاً . فسِرْ بامان القيُّوم الرحمان . وعليك من صيّب الرحمة والرضوان . سيول طامية ما كرَّ الجديدان وتعاقب النيّران . وتحدّث الركبان في حكمة سليمان

هذا عماد الفضل مال بهِ القضا فأَمال صرح العلم ميل عمادهِ
خدم البلاد وليس اشرف عندهُ من ان يُسمّى خادماً لبلادهِ
ولهُ الايادي البيض والغرر التي حاكت لفاقدها لباس سوادهِ

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي اسكندر باش تحصيلدار قضاء حمص »

اعترافاً بفضل فقيد الارثوذكسية وعمادها المأْسوف عليه المرحوم سليمان افندي الخوري الطيب الأَثر اتيت بهذه الاسطر الوجيزة مبيناً بها مآثرهُ الغرَّاء فاقول :

انني في مقدمة من تجب لهم التعزية لان الخسارة لم تكن

لأسرتهِ الكريمة فقط بل لنا وللطائفة عموماً · نظراً لما كان عليهِ الفقيد من حسن الصفات وسجايا التقوى المسيحية · ولذلك فاني اشارك آلهُ وذويه بتأثيرات الخسارة والتأسف · باكين عضواً نافعاً في طائفتنا الارثوذكسية قد أُخذ من مصفّ الكنيسة المجاهدة وترتَّب في مصفّ الكنيسة الظافرة في السماء · فكانت لهُ راحة ابدية · وللطائفة خسارة فادحة · لولا سلامة ولديه الكريمين لعزَّ الرجاء بتعويضها

عرفتُ الفقيد في عيشتهِ الاجتماعية عاملاً مهماً نشيطاً قائماً بواجباتهِ حق القيام بغير شكوى ولا تذمُّر · يحتمل الجهاد في هذه الحياة بالتجلد الحقيقي والتصبّر · وقد قضى حياتهُ على الارض ببرّ وتقوى متخذاً الفضيلة والصلاح ذخراً لآخرته · وقد سار الآن من دار الهموم والتعاسة والفناء · الى دار الراحة والسعادة والهناء · دار الخلود والبقاء · والتمتع بمشاهدة المجد الالهي في السماء · ولذلك فهو لم يمت بل قد انتقل من الموت الى الحياة · نعم لم يمت لانهُ ترك سمعة طيّبة واسماً ممدوحاً وخلفاً صالحاً

هذا واني اتوسَّل اليه تعالى ان يتغمد الفقيد برحمتهِ ورضوانه · ويسكنه فسيح جنانه · ويرتب نفسهُ الطاهرة في الاحضان الابراهيمية · ويسكب على افئدة آله وذويه نعمة الصبر الجميل

وندى التعزية الالهية . ليحتملوا المصيبة بالشكر والتسليم لمشيئته تعالى . ويعطيهم عمراً مديداً خالياً من النوائب والاكدار آمين

« وكتب من طرابلس حضرة الاديب الفاضل المعلم شكري افندي فاخوري ب . ع »

والموت نقّاد على كفهِ   جواهر يختار منها الجيادْ

هو الموت نقّاد جياد الجواهر في طلب البشر وكلٌّ له ميعاد . فاذا جاءَ في طلبهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . والسعيد من لبَّى الدعوة عن رضىً وهو لها باستعداد مما يدلّ على خضوعه لمولاه وتسليمهِ لحكم القضاء والقدر . امورٌ اشتهر بها فقيدنا العزيز من كان فخراً للامة والوطن وركناً في تشييد المعارف والعلوم والفضائل . وقد كان لنا الحظ بان خبرناهُ فسمعنا الدر يتناثر من الفاظهِ الرقيقة . والمواعظ الحكمية تتدفق من فيهِ كانه نبع الحكمة والبلاغة

وكم من المرضى الذين طببهم والان يذرفون الدمع السخين لفقدهم اباً حنوناً . وصديقاً حميماً . فلا لوم عليهم في البكاء لان عبرات الشكر تمتزج مع دموع الحزن فتبرّد فؤاد المحروق بجذوة الفراق . وكم من الذين كانوا ينتفعون بمبرّاته . ويستنيرون بارشاداتهِ . ويتعزون بمواساتهِ اياهم بما فطر عليه من الاخلاق

الكريمة · والصفات الحميدة · وهم الآن يبكون وينوحون مقام الرثاء والتأبين · فالمصيبة عظيمة · والفاجعة كبرى · لان بموت فقيدنا المبرور خسرنا ركناً عظيماً للآداب · وسنداً متيناً في تقويم الفضائل

لقد ذهبتَ ايها الراحل عنا لدار المجد والسعادة ولم تزل في موتك تقدِّم افضل الحكم والمواعظ · فكيف لا نبكيك او نرثيك او نؤبّنك ? سيبقى اسمك منقوشاً على القلوب وتُحدث باعمالك واقوالك مجالس الادب · وتستوحش لفراقك مهنة الطب الشريف الذي كنت نابغةً فيهِ · فلا بدع ان بكتك الاقلام والمحابر · ورثاك الشعراء والفضلاء · وأبنك الادباء والعلماء

كنت تلبي نداء كل من دعاك فتجبر خاطر الحزين · فكيف الآن نناديك فلا تجيب نداءنا ? فهل نفسك الشريفة العالية لبست الآن جناحيها وارتقت بك الى مقام السمو والمجد بحيث ترفعت عن ان تجيب نداء الاصوات البشرية ?

وهل روحك الوديعة وناسوتك اللطيف اسرعا بك حتى فادا جسمك الكريم ليصبح وديعة التراب والقبر ?

لا ريب في ان الغريب يتوق الى وطنهِ والطير لا يُسرّ بالقفص ولو كان من ذهب · فكأن في صدر فقيدنا يا قوم روحاً

كبيرة ونفساً نشيطة يضيق عن وسعها ذلك الهيكل البشري البديع · فما صدَّقت ان أُفلتَت من قمصها الضيق لتجول في جنان الوطن الجيد

اما الامر الذي يصبّرنا على احتمال البلوى · ويعزّي قلوبنا في تخفيف هذا المصاب · فهو ما نبت من الفروع على جذع تلك الشجرة المباركة التي قُصفت بعد تمام ما شبعتهُ من الايام · فان لنا في الغصنين الرطبين ما يقوّي الآمال · ويوطّد النفس بتعويض ما نحسبهُ خسارة · والله نسأل ان يطيل في عمرهما ويوفقهما في خدمة الامَّة والوطن

« وكتب حضرة الاديب الفاضل الغيور المعلم عيسى افندي اسعد احد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص » :

« طوبى للاموات الذين يموتون بالرب »

يعزّ عليّ وايم الحق ان اقبض بيدي المرتجفة على يراع التحسر لاخطّ بمداد الاسف على قرطاس الحزن رثاء من كانت الاقلام موقوفة على مديحه واطرائهِ · والقلوب مجمعة على حبه وولائهِ · ولا غرو اذا رأيت لساني يتلجلج وقلمي يأبى السلوك في مضمار الرثاء الوعر · وقد اعتاد الاجتياز بين خمائل فضائل الفقيد ورياحين مدائحهِ العطرة يتنسم شذاها الذكي فتتجدد قواه · وينبسط

محياهُ . اما الآن فان هذا الخطب المائل نزل كالصاعقة فاخمد جذوة افكاري المضطرمة وتركني مكبّلاً لا ادري ما اقول ولا اعلم ماذا افعل — ماذا

انبكي الفقيد ام نبكي مصيبتنا بفقدهِ ؟

فمن جهة ارى انه ليس من المستغرب اذا سحّت عيوننا دماً لاننا اضعنا رجلاً وايّ رجل . اضعنا رجل الطب والحكمة . رجل الشرف والتواضع . رجل العلوم والمعارف . رجل الغيرة والشهامة . رجل الحزم والاقدام . رجلاً يعوزنا الوقت ان عدّدنا مزاياهُ الفريدة . وسجاياهُ الحيدة . فاجمالاً نقول : اننا اضعنا رجلاً اقلُّ ما يقال فيهِ انهُ قبض على زمام الاعمال الوطنيّة من دينية وسياسية ولم يتركها حتى اخر نسمة من حياته . ولم تخلُ دقيقة من دقائق حياته الشريفة من عمل مجيد يقوم به لافادة الملة والوطن . حتى اضحت المشاكل صاغرة لديه . وتحوّلت آمال الامة برمتها اليه . وانه ليصعب علينا ان نذكر المشكلات التي حلها . والمبرّات التي قام بها . ويكفينا ان ذلك مكتوب بمداد المحبة على صفحات قلب كل فرد من مواطنيهِ وهيهات ان يجمع تلك المكتوبات مجلد ضخم

أفلام بعد ذلك اذا مزقنا القلوب قبل الجيوب لفقد ركننا

الكبير . وملاذنا الخطير ؟ لا لعمري . فالخطب عظيم . والمصاب جسيم . ولو جاز للمسيحيين البكاء لوجب ان يذرفوا بدل الدمع دماً لانه قد سقط عظيم في اسرائيل !

ثم اتأمل من جهة ثانية فاتعزَّى نوعاً . اذ اتصوَّر ما كان لفقيدنا من الاعمال المبرورة التي خلدت له ذكرًا مجيدًا في بطون الاوراق يتناقلهُ الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل . ثم اذكر ما سبق (رحمه الله) فهيأهُ لبناء منزلهِ السماوي وكيف كان تصرفهُ حسناً في الوزنة المعطاة لهُ فيتمثل لي السيد آتياً بمجدهِ محفوفاً بملائكتهِ وقديسيهِ يستقبلهُ بتلك النغمة العذبة : « نعمَّا ايها العبد الصالح الامين كنت اميناً في القليل فاقيمك على الكثير ادخل الى فرح ربك » . تلك حقائق لا تزال تُتمثل لعارفيهِ حقَّ معرفتهِ الذين انقشعت عن بصائرهم غشاوة الحسد الدنيوي . ولا عجب اذا انتظروا منهُ ان يذكرهم ذكرًا حسناً امام مولاهُ لان محبتهُ لمواطنيهِ حقّة والمحبة الحقيقيَّة لا تسقط ابدًا

فماذا نعمل أَنندب ام نفرح ؟

وارى أَنَّ هذا الإشكال يحلّ بهذه الكلمات « فقيد كم الكريم يا قوم لا يجوز ان يُندب لانهُ انتقل من الحياة الدنيا الى اورشليم العليا . وانما اندبوا خسارتكم الكبرى بفقدهِ »

فليندب الحمصيون عموماً والارثوذكسيون خصوصاً مصيبتهم برجل الفضل والوجاهة . فانهُ لا ثالث لسليمانَين

مَن للنبالة والحصافة والحجى ... والحزم من بعد الحكيم الثاني

....

واما انتما يا ايها النجلان المحروسان من الله . الغصنان المتفرّعان من ارومة الشرف . فانكما تعزيتنا الكبرى اذا عزّ العزآء . وسلوتنا العظمى اذا اشتدَّ البلآء . ومعكما نتوسل الى الكريم المنّان . ينبوع الصفح والغفران . ان يتغمّد الفقيد العزيز بالرحمة والرضوان . ويسكنهُ فسيح الجنان . ويعوّضنا بسلامتكما ويجعل هذه الفاجعة خاتمة احزانكما . بمنّهِ وكرمه آمين

« وكتب حضرة الاديب البارع اللوذعي عساف افندي جرجس الكفوري احد اساتذة الكلية الشرقية بزحلة » :

ما تمثّلت سرير الطفل الصغير . وقد أسدلت الام عليهِ غشآءً من حرير . ورجّتهُ بيمينها فرحى . وقلبها على من رقد فيهِ يترجرج . ورفرفت فوقهُ ملائكة السلام . تحرسهُ في اليقظة والمنام — الا انتقل بي الفكر في الحال . الى ضريح ضم جسماً هامداً فرسمهُ لي على صفحة الخيال . فرأيت هناك لحداً :

نسجت عليه يد الطبيعة مطرفاً ... بزهو بازهارٍ تفوح عبيرا

حاكت بما حاكت له من نسجها　　اما تغشي بالحرير سريرا

وقد تهادت من فوقه الاغصان بهبوب النسيم . فرأتها تارة تضرب كفاً بكفٍ من جور البين اللئيم . وطوراً تحنو رؤوسها خاشعةً واجمةً من هول الخطب الأليم

أجل رأيت هنا مهداً . ورأيت هناك لحداً . ونظرت في حال المرء فاذا هو بينهما خيال سار . لا يقرُّ له قرار

هل أطلتَ التأمل في هذا المهد . وامعنت النظر في ذلك اللحد ؟ لو فعلتَ لبدا لكَ وجه الشبه بينهما أوضح انظر ترَ ان قد ضمَّ كلاهما قلباً خلياً من الشجون . وساد في كليهما الرجاء والسكون كل منهما يبشر الثاوي فيه بفجر ينبثق عليهِ . وافق ينبسط لديه . فمن هذا المهد الضيق يدرج الطفل النامي الى متّسع الفضاء . ومن ذاك اللحد السافل يسمو المائت «المتّقي» الى اوج السماء

المتّقي . . . المتقي صفة لا تقال وحقِّكُ الا على من أحكم طاعة الرحمان . وأحب الحق واتى الاحسان . كفقيد الانسانية . وفريدة عقد الأريحيَّة . ورافع منار العلم والوجاهة . وقرَّة عين الفضل والنزاهة . المرحوم المأسوف عليهِ الدكتور سليمان الخوري عيسى . ذلك الطبيب الذي داوى اسقام الجسد والنفس بما وصفهُ لادوائهما من ناجع الأدوية . والرجل الوطني المقدام الذي تفانى

في حب وطنهِ . وخدم دولتهُ العليَّة . باخلاص وغيرة وحميَّة . فزينت صدرهُ الرحب باوسمة الفخار . وكافأهُ الوطن بقلوب ابنآء الوطن يبقى لهُ فيها حب مخلد . وذكر يتجدَّد

هذا الذي جدَّ في إنفاق الخير من المهد الى اللحد . ومن يجهلهُ بعد أن سيَّرت ذكرهُ في كل مصر اعمال عظيمة تؤهلهُ الآن لنعم الله في الدار العليا . كما أهلتهُ لنعم ظلّ الله في هذه الدنيا

هذا الذي نشأ في حجر الفضيلة . وأقام بناء حياتهِ على صخر المبادىء القويمة . فقصَّرت عنهُ أهوية الاهوآء . وعواصف المحن والأرزآء . فسحقاً ليد البين الخؤون . كيف دكَّت وما رحمت هذا البناء المتين . شقحاً لمنجل الموت الغشيم حصد من فرش حقل حياته بجزَم الفضائل . دون ان يصغي لبكاء الفقراء او يتأثر لعويل الايتام والارامل . وقد فقدوا بهِ ابًا حنونًا كريمًا :

فيا طيب المعالي ويا حبيب المفاخرْ
ويا جليل المساعي ويا جميل المآثرْ
ذوت حياتك لكنْ م غصن فضلك ناضرْ
وغبتَ عنا ولكنْ مازال ذكرك حاضرْ

أجل ايها الراحل الى جوار ربك . بعد ان قضيتَ ما أوجبت على نفسك من محض الخدمة لابناء وطنك . لسنا نحاول هنا ان

نعدّد مآثرك — قدّس الله روحك وبرّد ضريحك — فانها مشهورة وتفوق كل إحصاء. ولكننا انما اتخذنا من ارتحالك عبرةً:

فاننا لما طالعنا سفر حياتك الحافل بالاعمال المبرورة. ورأينا كيف انتهى ويا للأسف بانحدارك من ذروة مجدك الى حفرة صغيرة. قلنا: انّا لله وانّا اليهِ راجعون. ما أشبه البشر بمجاري المياه بعضها ينساب جداول صغيرة هادئة. وبعضها يتحدّر متدفقاً يملأ الفضاء دوياً. وبعضها يتعاظم الى ان يضارع البحار. فتمخر عبابهُ سفن البخار — وكلها وان اختلفت في السير. متفقة لعمر الحق في المصير. أوليست كلها تصبّ في المحيط حيث يمتزج الماء بالماء فلا يعرف النهر العظيم من الجدول الحقير؟ تلك احوال البشر. باحكام القدر. والساهرة مصيرهم عنهُ لا يصدرون. الى يوم يبعثون. بل هي لعمر الله مشرع. كلهم فيهِ شرع

ونحن في الختام وقد حُرمنا من كلمة تودّعنا بها نبعث الى روحك الطاهرة بالتحيّة والسلام. وعن بُعدٍ نشاطر آلك الكرام حزنهم فيك وأسفهم عليك لان الخطب بفقدك عامّ ولم يصابوا بهِ وحدهم. ونسأل المولى المنان. ان يلهمهم ويلهمنا الصبر والسلوان. ويمطر ضريحك الكريم غيوث الرحمة والرضوان. انهُ الرحيم الرحمان

« وكتب حضرة الاديب الذكي ميشال افندي نجم المعلوف احد طلبة البيان والفصاحة في الكلية الشرقية بزحله »

رثاء الطبيب

لا تبكِ الزهور اذا ذوت · ولا الاشجار اذا تعرَّت · ولا النباتات اذا فنيت · ولا الشمس اذا غربت

انما قف على القبور · وابكِ مَن هو طيّها · وأمطر الدموع وأثِر الزفرات · واندب ذوي الاحسان والمبرّات · ونح على الغنيّ والفقير · والملك والحقير · والحبيب والنسيب · بل الاستاذ والطبيب

نعم قف هناك وابكِ سليمان الطبيب · سليمان الحكيم · ولا تكن بالدرر باخلا · على من لم يكن عن الاحسان غافلا · أَجل ابكهِ وابكِ تلك الزهرة التي كان يتضوّع منها عبير التقوى والتحابّ · ويُرصّعها ندى الخيرات والاحسان · على تلك الزهرة التي ما انبتت شوك ضغينة ولا بغضاء · وما جنت الا الحمد والثناء · وما ابسمت الا من خير ورجاء · تلك الزهرة التي لا رجوع لها حتى المعاد · بل تلك الشجرة شجرة الآداب والمعارف التي ما نخرها سوس الجهل والكبرياء · وما مسها ريح الانتقام والجفاء · تلك الشجرة التي قصفها عاصف القضاء

اجل ابكِ ولكن اي بكآء . على نور تلك الشمس التي كانت مبعث اشعة الألفة والذكآء . ومنتهى الآمال والرجآء . تلك التي احيت نبات الجد والاجتهاد وانضجت ثمر الاقتدآء . وجففت اشعتها ماءَ الجهل والفساد واذبلت بذرة الجفاء والشقآء . وأنمت زهرة الفنون والاختراعات . على تلك الشمس التي ليس لغروبها من طلوع شقّ الجيوب حزناً . وأجرِ الدموع مزناً . وأضرم الصدر ناراً . على من شيّد معاهد العلوم . وبدّد ظلمات الظنون . واوقف حياتهُ لخدمة الاوطان . وارشد كل هائمٍ الى ماء الحقيقة ظمآن

ابك اي بكآء على رجل الوطن . على المجاهد الغيور . على من كان يداوي علل الصدور . على الاب الحنون . على من كان يدفع المنون

والله ان المصاب لأليم . والخطب لجسيم . والحزن لعميم . والدهر لذميم . فالرأس مصدع . والعين تدمع . والفؤاد موجع . واللسان يشكو لهيب الاحشاء . والقلم يسكب مداد الرثاء . والطب يندب احد اركانهِ . والعلم يبكي رجل زمانهِ

انظر فُديتَ ايها الطبيب الى العين وهي قرحى وقد كنت تداويها وهي عميآء . وداوِ الفؤاد فانه يقطر عليك دماً . والاحشآء

فانها تلتهب لفقدك حزناً . والصدر فقد نزح صبرهُ . استنطق اللسان يا ايها المستنطق العادل فانهُ يشكو صرف الدهر والايام . ويذكرك في اليقظة والمنام . لا بل طبّب نفسك واحرَّ قلباهُ وامنحنا نظرة الوداع وان يكن لا شفآء لنا بعدك

فيا لهُ من مصاب اليم ! أأصبح ذلك المنطق الفصيح عياً وتلك الابتسامات جفآء ? أجل مضيت ايها الشهم الكريم انما ذكرك ما زال وان يزال منقوشاً على صفحات الصدور . لا يمحوهُ كرور الايام والدهور . ولا ينسينا ريّاً اعمالك الحسنة أرج الرياحين والزهور . فسقى قبرك الغيث يا غيث الجود والإحسان . وتوالت عليك رحمات وتحيَّة المولى المنّان . وألهم الله الصبر قلب أهليك والأنسبآء . وعزّى الاصحاب والغربآء . اللّهم آمين

«وكتب من نيو يورك حضرة الاديب الفاضل حنا افندي شحنه الحمصي»

بمزيد الاسف وفرط الكدر تلقينا خبر وفاة المرحوم والدكم . فهلعت قلوبنا . وجمد الدم في عروقنا . وانهلَّ وابل الدمع من عيوننا . اذ انا نقدّر ما كان عليه رحمه الله من الخلال المشكورة . وما خلفهُ من المآثر الحميدة المشهورة . التي خلَّدت لهُ ذكراً عاطراً في تاريخ الانسانيَّة . وأهلتهُ لنيل الرتب السامية الملوكية . مكافأةً لهُ على خدماته الوطنية . التي يعزُّ على غيره الاتيان بمثلها

وعليه فيحق لنا ان نحزن عليهِ ونبكيه لانهُ كان فريد عصرهِ . ونابغة مصرهِ . يحق لنا ان نبكيه بعين دامية لانهُ كان ركناً للمسيحيين . وانموذجاً حسناً بالعفة والنزاهة وشرف النفس . فلتبكه الكنيسة لانهُ خصص معظم اوقاته لخدمتها . ولتبكه الطائفة لانه بذل جهدهُ في رفع لوائها وتعزيزها . وليرثِ الوطن منهُ اتعابهُ وصدق وطنيتهِ . وحسن درايته وحكمتهِ

اما نحن فعن بعد الديار نشترك معكم بهذا الخطب العظيم . والرزء الجسيم . مقدمين اليكم فروض التعزية . طالبين منه تعالى ان يسكب على ضريحهِ وابل العفو والرضوان . وان يعزّي افئدتكم الحزينة ويهبكم جزيل الاجر وجميل الصبر والسلوان . وان يمنحكم من بعده حياة طويلة مقرونة بهدوء البال . انتم ولفيف الأسرة الكريمة .

« وكتب من المنصورة حضرة الوجيه الفاضل نخائيل افندي اوضه باشي الحلبي » :

فقيد سورية

مصيبة أذكت قلوب الورى كانما في كل قلب زنادْ

لا نعلم اي لسان نستعير . او يراع من نستجير . لندوّن في بطون الاوراق . ونسطّر خبر فاجعة دوت لها الآفاق . الا وهي استئثار

رحمة الله بالعالم الاديب · والكاتب الاريب · والفطن الحاذق · والفقيه الصادق · والطبيب النطاسي · والرياضيّ الالمعيّ · والاصوليّ المحقق · والقانوني المدقق · فقيد سورية المرحوم سليمان افندي الخوري · فمن لنا بلسان ابلغ البلغآء · او اشهر الخطباء · او بمراثي الخنسآء · نستعيرهـا اليوم لنعدّد مآثر الفقيد الكريم · ونبيّن ان المصاب بفقدهِ مصاب اليم · لان تعديد مناقبه · ونشر فضائلهِ · امران واجبان على كل من عرف اخلاقهُ الحميدة · ومزاياهُ الفريدة

أَجل فقد فقَدَ العلم وبنوه · والفضل وذووه · والطب وآله · والادَب ورجالهُ · طوداً عظيماً · ورجلاً عاملاً كريماً · ورزئت الانسانية بفقد احد خدمتها الكرام فحُقّ لها ان تبكيه جيلاً · ومُنيت المروءة بموت رجل من نصرائها العظام فوجب عليها ان ترثيهُ طويلاً · ولا غرابة فان الفقيد قد حوى اكمل الفضائل · واجمل المناقب · وتقلّد اسمى المراتب والمناصب · فيحق للوطنية ان تندبهُ ندب الخنسآء · ويحق للجامعة العثمانية ان تنوح عليه نواح الورقآء · فقد كان وطنياً نبيل المبدإ جليل الغاية · وعثمانياً صادق العبودية شريف القصد في البداية والنهاية · وقد نال من لدن الحضرة العلية السلطانية · الرتب العالية السنيّة · جزآء خدماتهِ

الوطنية · واخلاصه في التابعية · فكيف لا تذكو له القلوب · وتشق عليه الجيوب · وتفيض الشؤون بالعبرات · وتضطرم جمرات الحسرات · وقد رأيناه افنى عمره في سبيل العلم وخدمة الدولة والوطن ولم يشتغل ساعة من اوقاته الا فيما يخلف له ذكراً جميلاً · واثراً جليلاً

ولما كانت فضائله الجميلة ومبراته الجزيلة ومناقبه الجليلة · تضيق الصفحات عن استيفآئها · وتعجز الاقلام عن احصآئها · لانها كما يعلم الجمهور اشهر من ان تذكر · فاكتفينا بما تدوّن وتسطر · ونحن لا نزال ننعيه ونرثيه · وبدموعنا العقيقيّة نبكيه

وبالختام نسأل الله ان يمطر ضريحه بمزن الرحمة والرضوان · وان يلهم حضرة نجليه العالمين الكريمين نعمة الصبر والعزآء · انه اكرم من دعي فاستجاب · واعظم من سئل فاجاب

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل حنا افندي فركوح »

ان المصيبة التي دهت الوطن بفقد ركنه الركين · وخادمه الامين · المرحوم المبرور الدكتور سليمان افندي الخوري عيسى · لمصيبة عظيمة ورزيئة جسيمة · ونازلة لا تذكر بازآئها النوازل · وفادحة يقلّ في مثلها شقّ القلوب وذرف العبرات الهواطل · كيف لا وقد دهينا بفقد مثال الحزم والسداد والوجاهة · ورجل

المعروف والاخلاص والنزاهة · الذي صرف حياته الثمينة بخدمة العموم · ورفع منار الآداب والعلوم · فعزّز الجمعيات الادبية والخيرية · ووطد المدارس الملية · وسعى السعي الحميد بتشييد الكنائس الارثوذكسية · الرجل العظيم الذي كان عظيماً بآرائهِ · عظيماً باعمالهِ · عظيماً بغاياتهِ · عظيماً بآثارهِ · فوا أسفاه على ذلك الشيخ الجليل الشريف المبادىء السليم النية · والصادق التابعية لدولتنا العلية · الذي خدمها الخدم المشكورة حتى آخر نسمة من حياتهِ فكافأتهُ بالرتب السامية والالقاب الرفيعة · ووالهفاه على ذلك الشهم الغيور · الناظر بعين الناقد الخبير الى الامور · والعامل اعمالهُ طرّاً لخير القريب ومجد الله الغفور · الذي فاق براً واحساناً · واشتهر بتطبيبهِ الفقراء مجاناً · الذي كان خير مثال يُقتدى بغيرتهِ · ويهتدى بحكمتهِ · ولا عجب اذا بكيناهُ ورثيناه · واسفنا عليهِ وندبناه · فقد كان من الرجال الافراد الذين يعتزُّ بهم المشرق وتفتخر الانسانيّة · فلتغبطهُ الذرية · وليبق ذكره مؤبداً على ممرّ الازمان · مذكوراً بالثناء والشكران · من كل ذي ضمير صادق · ولسان بالحق ناطق

اما انتما يانجليه العزيزين «الكامل» الصفات «والسليم» الفؤاد · انكما من الرجال الافراد · الذين خبروا الدهر وحلبوا أشطره ·

وذاقوا حلوه ومره . وكرعوا خله وخمره . وقد فقتما على الاقران بتوقد الذهن ورجاحة الوجدان . وبما احرزتماه من طريف الآداب والتقوى وتليد الحكمة والعرفان . فاصبرا على هذه المصيبة الجلى - واعتصما بعروة التجلد الوثيق . وظلا ناهجين على سنن والدكما السعيد الذكر والخالد الأثر . لتكونا خلفاً صالحاً لسلف صالح أمجد

أنسأ الله باجليكما وابقاكما صفوة صالحة لبيت الفضل والفضيلة الذي طاب عنصره . وحسن مخبره . وحرسكما من كل كارثة وسوء وجعل بكما العوض على الوطن وآله . والعلم ورجاله . واسكن فقيد الوطن والدكما المبرور في غرف الجنان . وعمه بالرحمة والرضوان - انه الرحيم الرحمان

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل حنا افندي نوفل اورفلي »

أي مدينة حمص . أي وطننا العزيز ! ما بال الحزن يجللك وعلامات الاسف ظاهرة على وجوه بنيك الاحباء . ما بال اصوات الندب صاعدة تملأ الافق برناتها الشجية . ما بال الزفرات تترى وتتصاعد ابخرتها من اعماق القلوب الى عنان السماء . ماذا جرى بك ايتها المدينة حتى فقدت ذلك الجذل الذي كان لك بالامس ؟؟؟ آه قد كان ولكنه قد فقد الآن فوالهفاه - أجل والهفاه وواحرقتاه . وكيف لا نتلهف . ام كيف لا نحترق

ونتأسف . وقد اناخ علينا الدهر بكلكله فسلبنا درّة يتيمة بل عضواً مهماً في جسم المجتمع الانساني . رجلاً ولا كالرجال . رجلاً فريدا باعماله وتصوراته وخدماته الصادقة لملته ودولته ووطنه مدة عمره كله . رجلاً لم يكن يضيع وقتاً من اوقاته دون ان يعمل فيه عملا يذكر بالثناء والشكران على مرّ العصور والازمان . رجلاً كان مثال الحمية والاقدام والغيرة والصبر عند المصائب . رجلاً يقصر يراعي عن تعديد سجاياه الفريدة وآثاره الحميدة الجيدة . وكفى ذكر اسمه تعريفاً لفضله . فهو المرحوم المبرور الدكتور سليمان افندي الخوري عيسى الذي أيتم الفضل والمعارف من بعده . وفجع الوجاهة والارثوذكسية والطب بفقده . أفلا يحق لنا ان نتأسف لهذا الرزء الوطني ونشق فيه القلوب قبل الصدور ؟

على انه لما كان الحزن لا يردّ ما حكم به القضاء . والبكاء لا يحيي من توفاه رب السماء . وكان التسليم لباريء الكائنات . من اهم الواجبات . أتيت برسالتي هذه الى اسرة الخوري عيسى الاكارم . مظهراً لهم مشاركتي لهم في مصيبتهم العمومية . وعظم تأسفي على فقيدهم الذي هو فقيد الوطن باسره . ومتوسلاً الى الاله القدوس ان يسكب على قلوبهم ندى تعزيته الالهية . ويسكن

فقيدهم العزيز في مغاني جنته السماوية · ولا يريهم فيما بعد مكروهاً او رزية · آمين

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرتج »:

لو كان يخلد بالفضائل فاضلٌ　　وُصلت لك الآجال بالآجالِ
او كنت تفدى لافتدتك سراتنا　　بنفائس الارواح والاموال

والسفاهُ عليكِ حمصنا العزيزة ؟ انكِ فقدتِ رجلاً ليس كالرجال فقدتِ طبيباً محنكاً قضى السنين الطويلة وهو يختبر أمزجة اولادكِ حتى اصبح يعرف ما هي الامراض المعرَّض لها افراد كل أسرة · وآهاً منك ايها الموت القاسي هل علمتَ مَن اغتالت يداك؟ نعم انك تعرف ذلك ولطالما حاولتَ إنشاب مخالبك القويـة في جسم من انقذ منك ما لا يحصى من المرضى وقد كدتَ ان تفترسهم · ذلك ما جعلهُ مبغوضاً منك للغاية — لقد قضى ياناس الرجل العظيم الذي كان يشار اليه بالبنان · لقد همدت أنفاس ذلك الشخص المحبوب والمهيب معاً · الذي كانت لهُ صدور المجالس في كل اين وآن · الذي كان اذا تكلم أفحم واذا نطق صمت الجميع كأن على رؤوسهم الطير — أجل ان فقيد حمص قد امتاز بكل الصفات التي تجعل الانسان مقرباً من الله محبوباً من

الناس . فكان رجلاً عظيماً مزداناً بالتواضع . وعالماً ممتازاً بسمو المدارك . يعفو عند المقدرة . لا يبغض احداً ولا يبغضهُ احدٌ الاَّ من قُدَّت قلوبهم من الصخور الصماء — فوا أسفاً على ذلك الصدر الرحيب ان تبطل حركتهُ . ويا لهفي على ذلك القلب الحنون ان يقف ساكناً جامداً ترفرف عليه اجنحة المنون

من منا معاشر الحمصيين لا يتذكر ثبات الجأش الذي اظهرهُ الفقيد لما نكب تلك النكبة التي تنقصم لها ظهور الرجال . وتندكُّ لهولها رواسخ الجبال . اما هو رحمهُ الله فقبل تلك التجربة بقلبٍ جليد وكان يعزّي الاصدقاء الذين وفدوا لتعزيته ولم يسمع منهُ احدٌ كلمة تذمرٍ او شكوى . او مَن من الذين عاشروا فقيدنا سمع منهُ كلمة مزاحٍ او جملة شاذَّةً عن الآداب . نعم انهُ كان طاهر القلب والفم والذيل كما شهد لهُ بذلك كبار الرجال من مسلمين ومسيحيين الذين عدُّوا فقده مصاباً كبيراً وخسارةً جسيمة وذلك بحقٍ وعدلٍ . وكيف لا يعدُّ فقدهُ خسارة وطنيّة وهو الذي طالما خدم ونفع واحتمل وصبر وجاهد واجتهد . وكيف لا نتأسفه وهو الذي كان عضداً للطائفة . وكيف لا نبكيه وهو الذي كان مثال الانسانية . وكيف لا نحزن عليه وهو الذي كان يشترك بأحزان الكبير والصغير ؟ فلتبكه الفضيلة والفضل والعفة والطهارة

وحفظ الذمام والوفاء والصبر والتواضع وسمو المدارك والخطابة والفهم والذكاء واللسن والقناعة والحمية والثبات والمواظبة وانكار الذات والحلم والاجتهاد والمروءة ومحبة القريب وسداد الرأي والمعارف والطب والوجاهة لانه كان متحلياً بهذه الصفات الادبية السامية . لا بل مصوغاً نفيس جوهر نفسه الشريفة منها كما تصاغ الحلية الثمينة من الذهب الابريز

* *

والآن يا نفس فقيدنا المحبوب المبتهجة بين الملائكة الاطهار . اليكِ ارفع زفرات وتنهدات اخواني بني الوطن الذين اعلم حق العلم انه لو كان يمكن فداؤكِ قبلما تخلين من ذلك الجسم اللطيف لما كانوا ضنوا بكل غالٍ ونفيس . ولكن هو الموت قد قُدّر على الجميع . وهي المنية لا يسلم احد من فتكاتها القاتلة . ومن الآن الى حين اللقاء اقبلي يا نفس فقيد الوطن العزيز فائق الحب والاحترام اللذين يحفظهما لك عموم اهل الوطن على اختلاف الملل والنحل والسلام

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل اندراوس افندي طرابلسي » :

الناس رجلان . رجل لا يسعى الا لنفسهِ . ولا يهتم الا بشأنهِ . كأنهُ خلق وحيداً في الدنيا وخلقت الدنيا لهُ . ورجل

يسعى لغيرهِ اكثر مما يسعى لنفسهِ مفضلاً النفع العام على نفعهِ الخاص . فالاول يفرط بحب ذاته ولا يكون إلاَّ مكروهاً مذموماً . والثاني يضحي مصلحتهُ الشخصية . على مذبح الفائدة العمومية . فيكسب الثناء من الناس في حياتهِ . والذكر العطر الحميد بعد مماته . وينال اكاليل المجد من الله — ولا جرم في ان فقيد حمص المرحوم المأسوف عليهِ الدكتور سليمان افندي الخوري هو الرجل الثاني المشار اليه في هذه المقدمة . نشأ هذا المقدام يوم كانت المعارف قليلة جداً في حمص فآلى على نفسهِ ان يبذل النفس والنفيس في سبيل ترقية الوطن وطائفته الارثوذكسية خصوصاً . ولما كان من اهم وسائط العمران انشاء المدارس لتربية الشبيبة وتثقيف العقول فقد اهتمَّ بهذا الامر شديد الاهتمام . وضحى كثيراً من اوقاتهِ الثمينة بمناظرة المدارس يومياً . ولما أحضر اول معلم للغة الفرنسية في وطننا وجد ان خير وسيلة لترغيب الشبان في حفظ هذه اللغة هو ان يدرس معهم نخصص كل يوم جزءاً من اوقاتهِ لدرس هذهِ اللغة . واما عن اهتمامهِ ببناء الكنائس فحدث ولا حرج فبناء كنيسة الاربعين شهيداً وكنيسة القديس جاورجيوس لم يتم الا باهتمامه الاهتمام الحسن . اذ كان آخذاً على عاتقهِ رئاسة وتنشيط الجمعية المؤلفة لجمع نفقات البناء من المحسنين .

وكان رحمه الله يعطي المثال اولاً بنفسهِ فتنهال اذ ذاك احسانات المسيحيين بسخآء اقتداء بكبيرهم — وصفوة القول ان هذا الرجل يعد من اعاظم رجال القرن التاسع عشر ذكآء واقداماً وحزماً ونفعاً للانسانية وصبراً على المكاره والخطوب — ذهب السواد الاعظم من مواطنيهِ يوم فقد ولديه وامواله في الحادثة العرابية بطنطا انه قد سقط ولم يعد قادراً على استرجاع حيثيته الأُولى . واعتقادهم هذا لم يكن عن شماتةٍ به بل لعظم المصيبة . ولكن كم كان عجبهم وذهولهم عظيمين لما شاهدوه قد قبل المصاب بالشكر والتسليم واعطى لمعزيهِ ومؤآسيه احسن مثالٍ بالصبر وحسن الاحتساب

وربَّ معترضٍ يقول: انهُ مع ما كان عليه من الصفات الادبية السامية لم يكن يخلو من بعض القادحين فلماذا ذلك؟ اقول لا تخلو بلدة او طائفة من بعض الاشخاص الغليظي الاعناق الذين شيمتهم الحسد وبغض الافاضل في قومهم والقدح في حقهم. وعليه فكل من كان يكره فقيدنا حياً يشعر الان بعظم الخسارة التي خسرها الوطن بفقدهِ . وايم الله انها لخسارة لا تعوض كيف لا وهو رحمهُ الله قد احب حمص مسقط راسهِ حباً زائداً ولم يشأ قط ان يتركها مع انهُ لو امَّ الآستانة العليّة او غيرها من المدن الكبيرة لكان ارتقى الى اسمى المناصب نظراً للمعارف الواسعة التي كان

يعيها صدره ُ ونظرًا لنزاهته وصدقه في خدماته · ولكنه رحمه ُ الله فضل بذل حياته ِ في خدمة مسقط رأسهِ خدماً لم ترو َ الا عن اعاظم الرجال الذين خلد ذكرهم في بطون التواريخ · والذين تفتخر بهم الانسانية ويعتز بهم التمدن ويتباهى بهم العمران · وما احرى اهل الوطن الافاضل ان يهبوا بنفسٍ واحدة لاقامة تذكارٍ مجيدٍ اقرارًا بجميل فقيدهم وتنشيطاً لسواه من خدمة الانسانية · فان الحق سبحانه وتعالى كان يوعز باقامة آثارٍ دائمة للحوادث الخطيرة كما يرى ذلك من مراجعة الاسفار المقدسة في العهد القديم – واختم القول باستمطار غيث المراحم الصمدية على تلك الذات السامية الصفات · طالباً الى الله بخشوع ان يعوض على الوطن عموماً وعلى الطائفة الارثوذكسية خصوصاً برجلٍ نزيهٍ مقدامٍ · وان يصبر ويعزّي أُسرة الخوري عيسى على هذه الفادحة العظمى · وان يسكن فقيدهم مقرّ الراحة والسعادة والغبطة انه ُ جلّ جلاله ُ مستجيب الدعوات · ومكفكف العبرات

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل مراد افندي مرشح »

ولستُ بمالكٍ عبَرات عينٍ أَبت بدموعها الا انهمالا

رحمك الله يا فقيدنا العزيز كيف سطا عليك الحِمام بعد ماسطوت

عليه مراراً عديدة · وأنقذت الكثيرين من فتكاته الشديدة · ولكن هو الموت سنة الله في خلقه ولن ترى لسنة الله تبديلاً · وقد ابى الزمان الآن ينكل بابنائه تنكيلاً · فلا حول ولا . . .

فارقتنا ايها الفقيد الكريم وتركتنا نتأوه لبعدك · ونتحسر من بعدك · وابتدأ من كان لك معاكساً · ولا رآئك السديدة مشاكساً · ان يخسه الضمير · فعلم مؤخراً ان تلك المعاسرة كانت دسيسة من الشيطان الشرير — فاعلي يا رفات فقيد الوطن · ومن كان نصير البائس في المحن · انه قد بكى على صاحبك القوم ولا بكاء الخنساء · متذكرين ما له من الافعال الحسناء · والهمم الشماء · والمبرّات الغرآء · وكيف لا يبكي الحمصيون من كان عميدهم في كل الملمات · ونصيرهم في الكوارث المدلهمات · وطبيبهم الحاذق إبان الحوادث الوبآئية · والمحامي عنهم في الامور القضآئية · والمصلح ذات البين · والموفق بين المتخالفين · وفكاك المشكلات · وكشاف الامور الغامضات · وكفاه شرفاً اكتسابه ثقة اولياء الامور العظام · والحكام الكرام · فكم من مرة حاول الاستقالة من وظيفة الاستنطاق فلم تقبل استقالته لندورة من يقوم مقامه فيها · افلا يجدر اذن بمواطنيه ان يحفظوا له في القلب ذكراً خالداً · وان يعتبروه صديقاً واخاً ووالداً · فكم صرف من اوقاته الثمينة في

خدمة الفقير . وكم اجهد نفسهُ في مسالمة الكبير والصغير . وكم لاطف الوطني والغريب . وتحمَّل من الاجنبي والقريب . ولا بدع في ان تكون صفاتهُ هذه قد اكسبته الاكرام في حياته . وحفظت له الذكر السعيد بعد مماته . فلم ارَ احداً ذكرهُ الا مترحماً متأسفاً معدداً حسناته . ذاكراً سامي مبرَّاتهِ . شاكراً سابق اعمالهِ . حاثاً على الاقتداء بكريم افعالهِ . كيف لا وقد كان رحمهُ الله مثال الصبر وانموذج الكمالات . لم يحد عن سنن الآداب ولا في وقتٍ من الاوقات . فنسأل الله ان يجعل ترجمة حياتهِ خير مثال للناشئة والشبيبة . حتى تشبّ قلوبهم على حب الفضيلة . ويتنكبوا عن اتباع سبل الرذيلة . وان يسكنهُ في فسيح جنانهِ . ويسكب على قلوب ذويهِ نعمة صبره وسلوانهِ . انهُ السميع المجيب

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل انطون افندي طرابلسي مهر الفقيد » :

قاتلكِ الله يا دنيا كيف طبعت على الغدر . وتبّاً لك يازمان من خؤون ديدنهُ عمل الشر . ما لي ارى الوجوه كاسفة . والقلوب واجفة . أجل انما ذلك من المصاب الفادح الذي ضرب به الزمان حمص نخبلها . وحمل عليها بكلكلهِ فكاد يقتلها . مصاب وما ادراك مـا ذاك المصاب ؟ مصاب هلعت له القلوب . وشقت

الجيوب . واضحى القوم سكارى حيارى لفقد عماد الوطن الذي كان للفقير نصيراً بلازمه . وللضعيف مشدداً بعزمه . وللمريض شافياً بلطفهِ . وللمصاب معزياً بصبرهِ . وللغني واعظاً بقناعتهِ . وللغضوب رادعاً بحلمه . وللمتكبر مؤنباً بتواضعهِ . فويك يا موت هلاً طلبتِ فداءً عن فقيدنا العزيز . فكنت ترى النضار يتدفق بين يديك ولا تدفق السيل العرم . ولكنك علمتَ انك آخذٌ ما هو اثمن من المال . بل انفس من الحجارة الكريمة والذهب الابريز . بل الكنز النفيس الذي لا يُثمن وكل شيء ثمين لا يساوي قيمتهُ الا وهو الحكمة المتجسمة في شخص فقيدنا الكريم . المرحوم سليمان افندي الخوري عيسى الحكيم . فمن لنا نحن المحصيين بنزاهة كنزاهته التي اجمع كبار القوم على تفرده بها . وعلى انه خدن الاستقامة في كل المدة الطويلة التي صرفها في دوائر الحكومة السنيَّة . ومن لنا بنشاطه اذ انهُ بالرغم عن شيخوختهِ كان مثابراً على خدمة وطنهِ لا ينقطع عن الحضور الى مجلس الملة ولو مهما اعترضهُ من المصاعب . وكثيرون يعرفون ويشهدون انهُ كثيراً ما كان يحضر جلسات المفوّض المليّ وهو مصاب بالزكام الشديد . وكثيراً ما كان يعود احد المرضى والحمَّى ملازمة جسمهُ اكثر من ذلك المريض

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

وكم كان يطوف الاسواق لجمع الاحسانات من ذوي البرّ لجمعية الفقرآءِ والبرد قارس والثلج متراكم . وهمتهُ لا تعرف السآمة او الفتور — واذا راجعنا تاريخ حياته نرى انهُ كان متواضعاً عفيفاً نزيهاً كريماً حليماً نشيطاً حازماً صبوراً غير متعصب يكره النميمة كرهاً شديداً متعبداً لله بايمانٍ حقيقي وحسن غيرة وتقوى — وكل منا يعلم كيف ان الامم الراقية في سلم المدنيَّة تكافىءُ رجالها العظام بعدمماتهم باحياءِ ذكر مآثرهم باقامة الانصاب والتماثيل لهم ولذا فما احرانا نحن الحمصيين ان ننهض نهضة واحدة بقلب واحد ونفس واحدة لاقامة تمثال ابدي ينبىءُ ابنآءَنا من بعدنا بمفاخر هذا الفقيد الكريم . والشهم العظيم . ويديم لهُ في قلوب القوم ذكراً مقدساً يتجدَّد ما تجدَّد الليل والنهار

واخيراً أسأل الله ان يسكنهُ فسيح جنتهِ . ويشملهُ برضاهُ ورحمتهِ . ويسكب في قلوب جميع افراد اسرتهِ . ندى صبره ونعمة تعزيتهِ . آمين

« وكتب حضرة الوجيه الفاضل اسعد افندي نوفل عبود صهر الفقيد »

قيمة الانسان ما يحسنهُ

كثيرون يحيون على سطح هذه الكرة الارضيَّة ويعيشون

في هذه الدنيا سنين طوالاً · ولكن حالما ينطفىء سراج حياتهم · حالما يصلون الى القبر· الى مرقدهم الابدي · فهنالك ينطفىء ذكرهم من الوجود · ويمحى اسمهم عن صفحات القلوب · ولا يتأسفهم في وقت وفاتهم الا ذووهم وانسباؤهم الأخصآء · فلماذا ذلك ؟

وكثيرون غيرهم لما تفارق نفوسهم هذه الدار لا يمحى منها ذكرهم بل يبقى لهم فيها ذكر حسن يتناقله الخلف عن السلف · وسمعة طيّبة هي شعار مجد وفخر يلازم أُسرهم من بعدهم · ولا يذكرون الا بالرحمات والتأسفات من الغرباء والقربآء · فلماذا ذلك ؟

ذلك لان الله اوجد ناموساً في الوجود يدعى ناموس الاحسان · وقضى ان تكون قيمة الانسان بمقدار ما يعمل من الاحسان · فمن احسن كثيراً الى بني الانسان · كانت قيمتهُ كبيرة عند بني الانسان · ومن احسن قليلاً كانت قيمتهُ قليلة · ومَن لم يحسن الى ابناء جنسهِ فوجودهُ وعدمهُ سيّان لا قيمة لهُ في الوجود ولا مقدار · بل هو عالة على اخوانهِ في البشرية · وعبءٌ ثقيل على كاهل الانسانيّة · ولا غرو في ذلك فان :

قيمة الانسان ما يحسنهُ　　اكثر الانسان منهُ ام أَقلّ

والاحسان الى بني الانسان يكون بطرق مختلفة · فمنهم من يحسن

الى الناس بمبرَّاتهِ · ومنهم من يحسن بمساعيهِ الحسنة · ومنهم من يُحسِن باتقان حرفتهِ وصرف همهِ فيها الى الفائدة العمومية · معرضاً عن مصلحته الذاتية · ومنهم من يحسن بتضحية اوقاتهِ في سبيل المآثر العامة · الى غير ذلك من طرق الاحسان التي يندر ان نراها متجلية تجلياً ظاهراً كما في حياة فقيدنا العزيز المثلث الرحمات سليمان افندي الخوري · الذي كانت قيمته في الحياة كبيرة جداً · وظلت بعد الممات كبيرة جداً · لان احسانهُ لبني جنسهِ كان كبيراً جداً · فطالما اجتهد وجاهد وسكب عرق القربة في سبيل فائدة طائفته وخدمة وطنه · وكثيراً ما طبَّب الفقرآء مجاناً فضلاً عن اخلاصهِ في حرفتهِ كل حياته · هذا عدا المآثر العظيمة التي خلفها تلهج بذكرهِ · والآثار الفخيمة التي ابقاها ناطقةً بجزيل شكرهِ · والاعمال الجيدة التي لا تزال ذكراها تتجدَّد في القلوب فتثير في الافئدة عوامل الاسف والحزن عليه وتستدرّ على ضريحهِ الرحمات الغزار

فلا بدع والحالة هذه اذا بكيناهُ نحن الحمصيين بالادمع الحرَّى · واصعدنا من اعماق القلوب الزفرات تترى · فاننا قد فقدنا بفقدهِ رجلاً عظيماً · وعلاَّمة حكيماً · وخسرنا بهِ طبيباً مجرَّباً · وسياسياً مدرَّباً · واول ساعٍ في سبيل البر والاحسان ·

وقدوة الأمّة في انكار الذات واستقامة الاطوار وخدمة الاوطان
ولكن هو الموت سنّة الله في خلقهِ . وهي كأس المنية لا بد
لكل حيّ من شربها . وهو الحزن لا يرد ما فات . ولا يحيي من
مات . فلنصبر على هذه المصيبة فان في الصبر مرضاة لجلالهِ تعالى .
ولنتوسل اليه عزّ وجلّ ان يسكن الفقيد العزيز في فسيح جنتهِ .
ويمطر ثراهُ بوابل عفوهِ ورحمتهِ . ويعوضنا بسلامة نجليهِ
الدكتورين الفاضلين وسائر أُسرتهِ . ويهبهم ويهبنا نعمة تأسائه
وتعزيتهِ . آمين اللهم آمين

« وكتبت حضرة الآنسة الاديبة المعلمة سلوى سلامة »

رثاء الحكمة

« الصديق اذا قضى يخلّف تحسرًا عليهِ »

صباح محزن . ويوم بؤس و بلاء . ولا حول ولا قوة الا بالله
الشمس تخفي أشعتها الساطعة تحت حلل الكآبة والاسى .
النسيم العليل يحمل الى الطيور السواجع تنهدات وأنّة قلوب
منكسرة كيما تساعدها في الرثاء والعويل والنواح . الجوّ مضطرب
والافق ملبّد بالغيوم والسحب وهيئتهُ تدل على حزن واكتئاب .
وليس لهُ الآن يفيض مياه الامطار ويذرف الدمع الهطّال

أسفاً وحزناً عمّا حدث في يومنا الحاضر · لا بل عمّا حدث في الليل الماضي تحت جنح الظلام والخلائق في سكون نائمة ليلها بعد اتعابها اليومية غير عالمة ما سيصيب الحمصيين في يوم الثلثاء من الفواجع · ولذلك هبّت القلوب من رقادها مضطربة يختلج فيها دم الجزع والقلق · الاعناق تتطالُ للاطلاع عما حدث · ولا يسمع سوى ندب الورقاء وحركة النسيم اللطيف

....

تعالَ معي يا صاح لنرى ما حلَّ بربوع حمص الغنآء · قف قليلاً لنصغِ الى اصوات الرثاء فنفقه ما الحادث · أوّاهُ ماذا ارى ؟ لا ارى الاّ دموعاً ساحة وجفوناً دامية · لا ارى الا قلوباً منفطرة ووجوهاً منقبضة · لا اسمع الا ألحان الندب وأنغام البكاء · ارى الناس زرافات تتسابق الى دار واسعة الاركان فسيحة البنآء مشيدة الدعائم غاصّة برجال النبل والوقار · هنالك ارى في صدور قاعاتها تلوح علامات العز والمكانة والرفعة والوجاهة · ارى رجال الانسانيّة ونصرآء الفضل يندبون بلا عزآء وينوحون بلاسلوان كأنهم يبكون عماداً لهم ونصيراً · اترك تلك الفئة فارى رجال السياسة والحكمة واولي الدراية والتبصّر يتنهّدون عميقاً ويذرفون دماً لا دموعاً كأنهم يبكون ركناً من اركانهم ومساعداً

في حلّ مشا كلهم · اجول بناظري الى تلك البقعة من فسحة الدار فارى رجال الطب والعلم وخدمة الآداب والمعارف وأولي الفصاحة ورجال الخطابة مطرقين رؤوسهم الى الارض يغسلون التراب بعبراتهم السخينة كأني بهم لا يرون معزّياً عما فقدوهُ · التفت الى تلك الجهة فارى رجال الدين والانذار يلتمسون من الله ان يُنعم عليهم بالتعزية والسلوان عما فقدوهُ في نهارهم الحاضر كأن خسارتهم بهِ لا تقدَّر · يأخذني العجب والانذهال فاترك تلك المناظر المؤثرة واتفرّس في الجمع الواقف حول الباب فارى جماعة من الفقرآء والايتام يندبون أباً حنوناً ومولى شفوقاً ومدبّراً صبوراً وسنداً غيوراً · أوّاهُ لقد أخذ الحزن فيَّ كل مأخذ ولا يسعني الا ان ابكي مع هذه الجماهير فان الخطب جلل على ما يظهر لي

....

هوذا اجراس الحزن تدوي في الفضآء تستدعي القوم على اختلاف نحلهم ومشاربهم ليأتوا ويحزنوا لما كان · الجمعيَّات الدينيَّة آتية تحمل شاراتها السودآء · تلامذة المدارس ينشدون ارق الالحان ندباً ورثآء ... اسمعوا صوت النائي يهتف واحزناه ... لقد مات سليمان افندي الخوري انسان الحكمة والفضيلة · رجل المهابة والمكارم!

تأخذني الدهشة · يجمد الدم في عروقي · أشعر كصاعقة همت على رأسي · ماذا صار ؟ او مات سليمان افندي الخوري رجل المبرّات والغيرة · او قضي على عماد الفضل والحمية · او مات من خدم دولتنا العليَّة بامانة وإخلاص · أو مات سند الطائفة الارثوذكسيَّة في حمص ؟ · · · فيجيبني رسول الموت قائلاً : نعم مات · والى ذلك مصير كل حيّ فسبحان الحيّ الباقي الذي لا يموت

سر معي ايها القارىء العزيز وراء تلك الجثة الوقورة واتشح برداء الاحترام والمهابة · لان مسيرنا وراء سليمان الحكمة · وراء شيخ الهيبة والرصانة وشاب النشاط والاريحيَّة · سر معي الى موطن تلك الجثَّة الابديّ وهنالك اسمح لي لاقف على ضريحها الكريم وأطلق للساني العنان ليبثَّها عند الوداع الاخير عواطف فؤاد الانسان الوطنيّ الشكور مسلماً على تلك النفس النبيلة وهاتفاً نحوها :

إليكِ يا نفس فقيد الوطن العزيز يهدي الحمصيون اليوم شذا تحياتهم الوقارية · وعلى ارتحالك يذرفون الدموع السخينة السخيَّة · يا من كنتِ في العالم نزيهةً عن دناءته ومحدقةً الى العلاء · لا تهذين الا بما يرضي العظمة الصمدانية · ولا تعملين الا ما يخلّد

لكِ في العالم الذكر المجيد المؤبد · أنتِ الآن قد طرحتِ عنكِ رداءَ الجسد الفاني وتوشحت بأردية البهآء والنور فاصبحت كوكباً لامعاً في ملكوت ابيك السماوي · وازدريت بالفانيات ولم ترثِ لبكآء الألوف اليوم في مشهد خروجك من الجسد · بل رحلتِ الى حيث تنعمين مع الاملاك · فنحن نغبطك ونطلب لك الراحة والارتياح ونحفظ لك ذكراً مؤبداً ونلتمس منكِ ان تشفعي بنا في موقفك الرهيب اذ انت ماثلة لدى العرش الالهي وقد تهيأت لك اكاليل المجد والظفر والمكافأة عن اتعابكِ الخيرية في هذه الدنيا امام الجنس والملة والوطن وابنآء الفطرة · نلتمس منكِ ايتها الروح الكريمة الشريفة ان تلتمسي لنا الصبر على فراقكِ وان تعوّض علينا الخسارة بك بسلامة نجليك الفاضلين وذويكِ وبحفظهما خير خلف لمبرّاتك وغيرتك وحسناتك · وعليك منا الرحمة والسلام كلما خطرت حركات النسيم في الدنيا ومرّت على الاجداث تحمل لها اريج الاحترام والسلام والرحمات

....

واما انتِ ايتها الجثة الصامتة المملوءة هيبةً وخشوعاً نتقدم لنتبرّك بلثم يديكِ الكريمتين اللتين خدمتا البرّ والانسانيةّ · ونجثو احتراماً لديكِ عند ما نراكِ ساكنةً سكوناً أبدياً مما

يذكرنا بان حياتنا الأرضيَّة زائلة يعقبها ذلك السكون

نرثيكِ ونرى ذواتنا مقصرين في إيفاء الواجب نحوكِ .
وهيهات ان ننسى اتعابكِ الوطنية العموميَّة ما دام فينا دم يسري
بمعرفة الجميل . ونسألكِ ان تسامحينا باتعابكِ المبرورة . وها اننا
الآن نودعُكِ ضمن تلك البقعة الضيقة التي ستحفظكِ الى حين
ينفخ الملاك في البوق فتبرزين منها بثوبٍ لا يبلى لترثي السعادة .
نُودِعُكِ هنا مستمطرين لك غيوث المراحم فارقدي بسلام ونامي
باطمئنان تحت ظلال الاشجار الحيَّة التي تخيّم فوق مثواكِ . تاركةً
ضوضاء هذا العالم . لا شيء يذكركِ بالحياة الحاضرة سوى زقزقة
العصافير وهبوب النسيم على اوراق الشجر فوق ضريحكِ .
فسبحي وانت داخل القبر الحيَّ الباقي الذي يحيي العظام الرميمة .
وبحكمةٍ قصوى رتبت عزّتهُ الباقية ان لا موت بدون حياة ولا
حياة خالدة الا بالموت



الباب الخامس

قصائِد الرثاء

(مُرتَّبة بحسب ورودها)

« قال عالم حمص الشهير . وشاعرها النحرير . المدقق في الامور الشرعيّة . والمحقق في الابحاث اللغوية . الحسيب النسيب السريّ . فضيلتلو افندم السيد خالد افندي الاتاسيّ . امين فتوى قضاء حمص سابقاً . لا زال في سماء الفضل بدراً شارقاً » :

المرء في هذه الدنيا وان وصفا ... ما طاب من عيشها في ذوقهِ وصفا

فانما هو مغرور بخدعتها ... تنيله الصفوَ وجهاً والكدورَ قفا

فهو المنغّص عيشاً حال لذتهِ ... ان الشقاء لأهنى عيشها أَلِفا

ان تُضحكنك اويقاتٍ فكن وَجِلاً ... من البكاء اويقاتٍ يُطلنَ جفا

فالغمّ لا ريب معقودٌ بناصية الا ... م سرور فيها ولكن اين مَن عرفا

دارٌ على الغم للانسان قد طُبعت ... ألست تذكر خطئاً كان مقترفا

يا آملاً قلب ذا المطبوع خبتَ اما ... قلب الحقائق ممنوعٌ لدى العُرفا

دار البلاء بها تبغي الهناء فهل ... جمع النقيضين معقولٌ هل ائتلفا

ترجو البقاء بدارٍ لا بقاء لها ... فهل ترى الظرف يغني دون ماظرفا

وما الحياة بها الا شقيٌّ وعنى   فاعجب لراغبها او من لها ازدلفا

فمن يعمّر يذق فقد الأحبة أو   يمت ففي فقده صابُ المصاب كفى

فالكل منا لسان الحال ينشده   كفى من الدمع يوم البين ماوكفا

كل امرئ بين ازمان ثلاثتها   تمرّ كالطيف للانسان حين غفى

ماضٍ تأسّفه حالٌ يودّ له الـ   ـخلاص آتٍ يرجّي منه نوع وفا

فليس في الكون ذو عقلٍ سوى رجل   عاف اللذائذ فيها زاهدًا انفا

ووحّد الله في ذاتٍ وفي صفةٍ   مع الفعال وبالايمان قد شغفا

وصانع الناس بالمعروف مجتهدًا   في برّهم وعلى الطاعات قد عكفا

نعم اذا رمت في الدنيا الدنية ان   تحيا وجسدك في لحد الوهاد عفى

فاحرص على عملٍ يوليك بين بني   دنياك ذكرًا بطيب النشر متصفًا

فها سليماننا الخوري وان فتكت   بهِ المنايا ومن كاساتها رشفا

فان معروفه المُسدى لقاصده   في المدلهمات احياه وان قصفا

كم من عليل لوجه الله طبّبه   بحذقهِ فكساه الله ثوب شفا

وكم فقيرٍ اتاه وهو في عللٍ   نال المداواة والاحسان وانصرفا

لخدمة الوطن المحبوب قام على   اقدام صدقٍ بهذا اهله اعترفا

قضى الحياة باعمالٍ له عُرفت   وما رأيناه عن نهج الوفا انحرفا

فيابنيه تعزّوا ان ميتكم   حيّ بفعلٍ جميلٍ منه قد سلفا

ان الجميل لأولى ان نعزّيه   فهو المُصاب بهِ اذ شارف التلفا

فلتبكه اعين المعروف عن حزنٍ   وليقض كل وفاء بعده اللهفا

والاستقامة نادت حين أرّخها   غمٌّ أمات سليمان فوا أسفا

١٠٤٠ (٤٤٢) ١٩١ (٢٢٩)

سنة ١٩٠٢

«وقال حضرة العلاَّمة المدقق والشاعر المفلق ابرهيم افندي الحوراني الحمصي الشهير مؤرخاً»

يا ساكن الرمس الذي دفنوا بهِ ... كُنهَ النهى وحقيقة الانسانِ
قد كنتَ براً فاضلاً ذا حكمةٍ ... كأبيك «عيسى» العالم الرباني
لك يا سليمانَ المكارم عندنا ... ذكرٌ يزيد شذاً على الريحانِ
ناح الكرام عليك نوحاً عُلِّمت ... منهُ النواح حمائمُ الاغصانِ
فبكى بنو الخوري عليك بادمعٍ ... نثرت من الياقوت والمرجان
وبكى الفلاسفة العظام لانهم ... فقدوا سليمان الحكيم الثاني
وسقوا ثراك فقلت في تأريخهِ ... تسقي ضريحك اعين الاعيانِ

١٦٣ ١٣١ ١٠٣٨ ٥٧٠

سنة ١٩٠٢

« وسئل نظم بيتين بلسان الفقيد يكتبان تحت رسمه فقال حفظه الله »

استودع الله احباباً تركت لهم ... رسماً يذكرهم حبي الى الأبدِ
لو كان يمكن رسم الروح كنت بلا ... ريب تركت مثال الروح والجسدِ

«وقال حضرة العالم اللوذعي الشهير يوسف افندي شاهين الاستاذ الاول في المدرسة الارثوذكسية بحمص»

انثر دموعك لا تشفق على المقلِ ... وودّع الصبر في ذا الحادث الجللِ
وانف السهاد بذا الخطب الجسيم ونح ... نوحاً يذيب الحشا لا تخشَ من عذلِ
واملأ بصوت النعيّ الارض قاطبة ... «وطبّق البرّ من سهلٍ على جبلِ»

وحرّم النوم والطعم وجنديك اسىً | ولازم النوح والبس اسود الحللِ
واجعل يراعك وقفاً للرثاء فقد | عز العزاء فقل يا ادمعي انهملي
قضى الحكيم سليمان الذي شهدت | له الانام بحسن القول والعملِ
عمّ المصاب كما عزّ النظير لهُ | فايّ قلب عليه غير مشتعلِ
فهو الفريد اذا عدّ الرجال وما | كل امرىءٍ يدّعي الافضال بالرجلِ
شهم مآثره الغرّا مخلدة | له جميل الثنا في سائر المللِ
قضى الحياة بنفع الغير مجتهداً | اذ كان ينهج فيها اقوم السبلِ
لخدمة الوطن المحبوب غايته | وما له في سواها قط من شُغُلِ
ليث على كل ذي بغيٍ اخي صلفٍ | لكن لدى البائس المسكين كالحملِ
لم يُدعَ في عمرهِ يوماً لمشكلةٍ | الا وقام يرينا همة البطلِ
دفاع نازلة فكاك معضلةٍ | بنصرة الحق لا يعروه من مللِ
افنى الحياة بتقوى الله منتهجاً | نهج الصلاح وعنه قطّ لم يحُلِ
بليغ اقواله في كل غامضة | فصل الخطاب اذا ما قام للجدلِ
كم ردّ من ذي ضلال في بلاغته | الى الحقيقة بعد الزيغ والميَلِ
وكم اغاث اخا بؤسٍ وذا لهفٍ | هل بعده لذوي البأساء من أملِ
وكم اخي فاقة اودى السقام بهِ | اغناه جوداً وابراه من العللِ
قضى ولكن بشبليهِ لنا خلفٌ | فليفسح الله للشبلين بالاجلِ
يا راحلاً يبتغي دار العلا سكناً | عظيم حزنك عنا غير مرتحلِ
صبراً بنيه على هذا المصاب فذا | حكم الاله القدير الواحد الازلي
قد نال بالخلد مجداً عند خالقه | مجداً بغير جميل الفعل لم ينَلِ

«وقال حضرة الاستاذ الفاضل اللوذعي داود افندي قسطنطين الخوري احد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص»

شقّ الجيوب ونادِ اليوم ملتهفا ... قفا قفا نبك رب المكرمات قفا
قفا نضجّ باصوات العويل على ... من كان بالبرّ والمعروف متصفا
قفا نسحّ عليه سحب ادمعنا ... ممزوجة بدما اكبادنا اسفا
فقد قضى اليوم من كانت تتيه به ... هذي المواطن ما بين الملا شرفا
أليوم قد فتكت ايدي المنون بمن ... قد كان صدر ذوي الافضال والشرفا
أليوم طود الجلال اندكّ منهدماً ... و بدر افق العلى والمجد قد خسفا
أليوم قد مات ذو الفضل الاثيل ومن ... بغزر افضاله كلٌّ قد اعترفا
أليوم مات سليمان الحكيم ومن ... تجلّ حكمته عن وصف من وصفا
قضى وأية عينٍ غير دامعةٍ ... عليه ام ايّ قلب لم يذب لهفا
قضى وقد صرف العمر الثمين وعن ... محبة الخير والاوطان ما انصرفا
فلو غدا الوطن الازمان يندبه ... ما كان الجزء من اتعابه ووفى
قد كان ندباً هماماً حازماً ثقةً ... شهماً كريماً ابيّ النفس ربّ وفا
مدرّباً ألمعياً كم بحكمته ... من مشكل حل اومن غامض كشفا
له أياد باعمال الفضيلة لو ... تملى الثناء عليها تملأ الصحفا
حبته دولتنا الالقاب والرتب الـ ... ـعلياء اذ كان بالاخلاص قد عُرفا
هو الهمام السياسيّ الشهير هو الـ ... ـشهم النزيه المحبّ الحق والنصفا
هو الطبيب النطاسيّ الحكيم هو الـ ... ـبرّ المؤاسي ذوي الإعواز والضعفا
هو الخبير بتشخيص السقام فكم ... أبرا بخبرته ذا علّةٍ وشفى
قضى وحسن دواه لم يفده وكم ... قد كان ابرا بذيّاك الدوا دنفا
اذا السقام تمادى والحمام دنا ... فلا دواء ولا طبٌّ ينيل شفا
ان العليل اذا حانت منيته ... خاب الطبيب وخابت حكمة العرفا

والمرء مهما يدارِ الجسم محترساً ... يظل في كل وقت للردى هدفا
وكم يسبب كثر الاحتراس ضنىً ... وكم تزيد معاطاة الدوا الضعفا
فالموت في الخلق كاس دائر ابداً ... والكل يصبح من ذا الكاس مرتشفا
وليس يسلم من غاراته احد ... وان يكن بجيوش الارض مكتنفا
حسب الفتى من دناه ما يخلفه ... من المآثر والذكر الذكي وكفى
مثل الفقيد الذي ذكرى فضائله ... تظل عاطرةً ما طائرٌ هتفا
قد سار في منهج التقوى فنال بها ... عند المهيمن ابهى غبطةٍ وصفا
مضى وابقى لنا نجلين قد حفظا ... له بفضلهما المجد الذي سلفا
هما قد اقتفيا آثار غيرتهِ ... وعن مناهجه الحسناء ما انحرفا
ومنه قد ورثا اسمى الصفات فقل ... ما اكرم السلف المبرور والخلفا
اعطى الاله عزاءً كل أُسرتهِ ... وابعد الحزن عنهم دائماً ونفى

« وقال حضرة العالم الاديب والشاعر اللبيب صاحب الفضيلة محمد طاهر افندي الاتاسي نائب ولاية اطنه »

أفِقْ ايها المغرور فالموت يقظانُ ... وفي كل يوم من حياتك نقصانُ
ألفنا اذى الدنيا فنحن غباوةً ... نودّ بقاءً وهو كدٌّ واحزانُ
نُرقّع بالامال عمراً ممزّقاً ... ونَنْدِمُ والاقدار نبل وخرصانُ
هي الدار منّت بالغرورِ وخادعت ... ليانًا نحاذر لسعها فهي ثعبانُ
وليست على عهد تدوم وانما ... طبائعها عند التقلب الوانُ
كفتك اعتبارًا لو بصيرتك انجلت ... بفعل له في الارض فتك وإثخانُ
اذا انفذت سهماً فلا حصن مانع ... ولا لكميٍّ في السلامة امكانُ
منوّعة العلّات اما ودادها ... فمَذقٌ واما الوصل منها فخسرانُ
نكائنها صفواً ومجبول طينها ... على طبع الاكدار والطبع خوّانُ

تساوى لعمرك بؤسها ونعيمها — مضاضاً فان فكرت فالوصل هجرانُ

فكن باكياً يخشى مغبة ضحكها — اذ الليث يبدي ناجذاً وهو غضبانُ

فوا ظمأ المستمطرين جهامها — وقد غرّهم من خلب البرق لمعانُ

وطوبى لمن قد جاز بحر امتحانها — سفينته التوحيد والامن ايمانُ

تزوّد للأخرى من الدين والتقى — وهل بعد نور الدين للفوز برهانُ

وآسى ببذل النفع ابناء جنسه — يرى الناس في الحسنى كما انهم دانوا

وما خامد المعروف الا كميّت — وان عاش دهراً والملابس اكفانُ

فكن رجلاً ان مات قامت بنشره — مآثر في صحف التواريخ تزدانُ

لئن حلّ بالخوري سليمان حتفه — واسلمه للحد اهل واخوانُ

فقد عمّ صيتاً مع حذاقة فنّه — بسعي جميل لم يكن عنه سلوانُ

فتى تحسب المرضى خصوصاً فقيرهم — عيالاً له والكل بالانس جذلانُ

فتى كان في عبء الأوداء ناهضاً — ولم يكبُ مهما امتدّ للحزم ميدانُ

بهذا قضى حق المروءة رابحاً — ثناء ونعل المرء للحمد اثمانُ

فلما فقدنا شخصه قلت أرّخوا — مضى خادم الاوطان حسناً سليمانُ

١٩٠ ١١٩ ٩٨ ٦٤٥ ٨٥٠

سنة ١٩٠٢

«وقال حضرة الاديب الفاضل الشيخ مصطفى افندي الترك»

طبع الزمان كما علمت يجورُ — والحرّ من اطباعه مقهورُ

يرجو الفتى فيه صفاء معيشة — هيهات مازج صفوه التكديرُ

تباً لدهر لا بقاء لعهده — ووفاه ان حققت فهو غرورُ

ان الحياة أخيّ ظلٌّ زائلٌ — بل كالمنام اذا اتاك يزورُ

هذي البرايا للقضاء مصادرٌ — والكل في حكم الفناء اسيرُ

لا حيلةٌ في دفعه ووسيلةٌ — حكمٌ جرى بحصوله التقديرُ
فجعت بنو الخوري بفقد عميدهم — أسف الغنيّ لفقده وفقيرُ
لبس الانام له ثياب حدادهم — وترى النهار كأنه ديجورُ
والدمع منذرف به والصبر مفقودٌ — وفي الاحشاء منه سعيرُ
هذا سليمان الحجى الخوريّ من — هو في الطبابة حذقه مشهورُ
والى مساعي الخير دوماً يقتني — حسن الثنا لا للغناء يسيرُ
من للمجالس والمحافل بعده — إن أودعوه الرأي فهو اميرُ
تبكي المعاهد حسرةً وتأسفاً — وتقول ان فراقه لعسيرُ
قد كان بدراً في ذويه مشرقاً — عجبي لبدر في التراب يغورُ
مَنْ للارامل واليتامى بعدهُ — يوليهم ايدي الندى ويزورُ
فليبكِ من لم يبكِ منه اعيننا — ان اللسان عن الرثاء قصيرُ
ما مات من ابقى محاسن فعله — بين الانام وفعله مشكورُ
إنَّا نعزي آله بمصابهم — والله مولي الصبر وهو نصيرُ

«وقال حضرة الاديب الفاضل خالد افندي الفصيح»

يا آل حمص اندبوا من كان يؤنسكم — في طبّهِ ويداوي منكم السقما
واتلوا من الحزن آيات الاسى اسفاً — لفقده وانزفوا دمع العيون دما
ونادوا ان سليماناً قضى فلذا — من بعده الطب في حمص قد انعدما
والحمد لله قد ابقى لنا خلفاً — من بعده «كاملاً» بين الورى علما
لا زال بعد أبيهِ الفرد مبتهجاً — دوماً ولا زال مسروراً ومبتسما

« وقال حضرة الاديب الفاضل محمد افندي الاتاسي »

هذا سليمان قضى ونعاه من — فرط الجوى الناعي وشقّ جيوبه

حقٌّ لذي الاسقام يندب حسرةً ذاك الفقيد حكيمه وطبيبه
ويحق للعينين تبكيه ولل أجفان ان تجفو الرقاد وطيبه

« وقال حضرة الاديب اللبيب محمد توفيق افندي الاتاسي نجل صاحب الفضيلة عبد اللطيف افندي مفتي حمص حالاً »

لا يغترر بلذيذ العيش انسانُ فان غايته موت واكفانُ
انهاك انهاك عن دنيا كلفت بها « فما يدوم على حال لها شان »
وانما هي ان اطالت وان قصرت « كما حكى عن خيال الطيف وسنانُ »
شؤونها مثل ما قد شمتها دول « من سره زمن ساءته ازمانُ »
يا غافلاً والمنايا فرق هامته « ان كنت في سنةٍ فالموت يقظانُ »
اين الملوك وما شادوه من دول « واين منهم اكاليلٌ وتيجانُ »
واين عاد وشداد وما ملكوا « واين ما ساسه في الفرس ساسانُ »
« حوادث الدهر اجناس منوّعة وللّيالي مسرّاتٌ واحزانُ »
وكل فاجعة تُسلى وان عظمت وما لما حلّ بالاوطان سلوانُ
دهى المنازل خطبٌ فادح جللٌ مذ قيل قد فارق الدنيا سليمانُ
الألمعيّ النطاسيّ الحكيم ومن كأنه في فنون الطب لقمانُ
عليه يا اسفاً من بارعٍ فطنٍ بكل فنّ له حذقٌ وتبيانُ
تبكي عليه عيون الصادقين كما تبكي سجاياه اطلالٌ واوطانُ
فلو تراه على الاعواد محتملاً « لخالك الامر واسترعتك اشجانُ »
لو تدري ياموت من ارديت كنت اذاً حليف وجد ومنك الفكر حيرانُ
سلبت جيد العلا عقداً محاسنه تزهو كما تزدهي بالنور افنانُ
فالشهب تفديه لو يُفدى بانفسها ولو غدا المشتري منها وكيوانُ

«وقال احد الشعرآء الادباء بلسان حضرة الوجيه الفاضل عزتلو افندم داود افندي السرياني صهر الفقيد (بالاستانة)»

زادني فقد سليمان شجا ... هل يطيب العيش مع فقد الحجى
لو درى القمريُّ ابدى نوحه ... او غراب البين فيه سحجا
ان يكن سار وفي نعش غدا ... قاطعاً بحر المنايا لججا
فلقد ابقى بنا فضلاً له ... في طروس الدهر ذكراً ابلجا
فاسأل المعروف عنه واسأل الـ ... ـطبّ واسأل كل من فيه لجا
واسأل الخبرة والعدل فكم ... فيه مظلومٌ من الظلم نجا
ان يكن في الترب امسى هابطاً ... فسيرقى في الجنان الدرجا
فلتطب ارجآء قبر زاره ... انها حاكته في حسن الوجا
ليس بدعاً ان بكيناه دماً ... لهبُ الحزن يذيب المهَجا
ان تسل عن حالتي من بعده ... فاسأل الليلَ اذا الليلُ سجا
رجم السهدُ الكرى بالدمع من ... محجر العينين حتى عرّجا
فسقى الله ثراه وابلاً ... يُنبت الروض ويهدي الأرجا
وحباه الله روحاً ولنا ... عنه صبراً ثم أولى فرجا

«وقال حضرة الاديب البارع نجيب افندي مصوّر (ب٠ع) من بيروت وقد اقترح عليهِ نظمها حضرة شاكر افندي ختن من حمص»

رثاء الحكيم

وجودُ الفتى في الوجود عدَمْ ... وسيانِ ذو ثروةٍ او عدَمْ
وحبل الحياة قصير المدى ... وان طال يوماً لدى من زعَم

وعمرٌ يروم به راحةً ... فلا يلتقي منه غير السأم
بجدٍ ليحوي الدنى مرةً ... وكم قد حوت مثله من قدم
فما جاء للكون الا ليشقى ... ويبقى حليف عناء وغم
نظام يعم الورى كله ... وحكم جرى للاله الحكم
فلا ينفع المجد مهما تعالى ... ولا يدرأُ الموتَ جيشُ النعم
وما الموت الا رقادٌ طويلٌ ... يدوم الى يوم حشر الامم
وفي الموت سرٌ اذا ما اتقى ... ذوي الصدق فيذا واهل الهمم
فيا حبذا الموت موت هنيءٌ ... لمن عاش براً عديم اللمم
كمن قد فقدنا فجئنا لنرثي ... صفاتٍ له حمدت وشيم
فقدنا الذي كان خير منار ... لنا نستضيءُ به في الظلم
فقدنا الذي كان فينا يبرُّ ... ويحنو وكان مثال الكرم
فقدنا الذي كان يشفي السقامَ ... فراح شهيد الضنى والسقم
سُليمان ذاك الطبيب النطا م ... سيُّ وذاك الهمام الحكم
سليمان ان قيل اين سليـ م ... ـمانُ الحكيم وأين الحِكَم
فقدنا به ساهراً يقظاً ... فنام ومن قبل ذا لم ينم
قضى مثل من قد تقدم لكن ... قضى مثقلاً بجليل الخِدَم
وعما قليلٍ سنقضي جميعاً ... ونمسي بعيد الممات رمم
سوى النفس فهي التي تخلدُ ... كما قيل في دار باري النسم

....

سليمان سر نحو دار العلاء ... لتلقاك املاكها بالنغم
فلا مطمعٌ في ديار الشقاء ... وهل يرتجى العدل ممن ظلم
صحبتُ الزمان واهل الزمانِ ... وما نلت من ذاك غير النقم
وهذا الذي قد خشينا جميعاً ... فيا ليت ما قد خشيناه لم

....

يكلفني في رثائك صحبي ... وتتميم ذلك فرض لزم
فكم قد بكينا وكم قد رثينا ... وكم قد لبسنا الحداد وكم
وكم قد نظمنا القوافي وصغنا ... عقوداً من الدمع لما انسجم
فهل قام ممن قضى أحدٌ ... وهل نفع النظم او من نظم
مضيت وابقيت ذكراً حميداً ... يردّده كلُّ قلبٍ وفم
وسرت تشيّعك الباكيات ... ويرثيك حزناً صرير القلم

«وقال حضرة الاديب البارع صادق افندي اسعد»

سهمُ المنية مرميٌّ الى الامم ... من فاته اليوم نبلٌ بالغداة رُمي
والمرء يطمع بالدنيا وزينتها ... وفي معاناتها سهران لم ينمِ
نروم في هذه الدنيا طويلَ بقاً ... وهل بقاءٌ بدار البؤس والنقمِ
دارٌ اذا احسنت يوماً تسيءُ غداً ... او اضحكت قطرةً ابكتك كالديمِ
ان فرّحت احزنت اوصادقت غدرت ... او عاهدت اخلفت بالعهد والذممِ
ترجو السعادة منها وهي دار شقاً ... هل يجتنى عسلٌ من ارقمٍ نَخِمِ
وكلّنا ذاهبٌ لا بدّ عن سفرٍ ... منها وغير الاله الحيّ لم يدمِ
بالامس كان سليمان الحكيم بها ... يبري السقام فامسى فاقد النسمِ
الفيلسوف الخطير الندب ذو الشرف الـ ... أسمى الرفيع المقام الكامل الشيمِ
مضى وأبقى لنا من بعده أسفاً ... لا ينقضي وفؤاداً زائد الضرمِ
لقد فقدناه فالاكباد ذائبةٌ ... والجسم حزناً عليه بات في سقمِ
يا ويح نفسٍ عليه لا تذوب اسىً ... ومقلةٍ دمعها ما فاض كالعنمِ
لقد فقدنا صحابي خير جوهرة ... تسمو ومعها فقدنا سائر النعمِ
هذا الذي كان فرداً في مدينتنا ... به نتيه على الاعراب والعجمِ
قدكان ذخراً لحل المشكلات أجلّ ... وبالمهمات يدعى صاحب الهممِ

وكان براً سرياً حازماً فطناً ... بعروة الحق دوماً خير معتصمِ

عزيز قومٍ كريم النفس ربّ تقىً ... بالفضل اشهر من نار على علمِ

لم تنعقد لجنةٌ طيبةٌ ابداً ... الا وكان الرئيس النافذ الكلمِ

ما جاءه قاصدٌ الا وفاز بما ... قد كان يرجوه من خير ومغتنمِ

تبكي اليتامى عليه والارامل اذ ... كان النصير لها بالجودِ والكرمِ

كذا المجالس تنعي وهي نادبةٌ ... فريدة العصر بالاحكام والحكمِ

قد كان للمفتري الطاغي يؤدبهُ ... وللبريء ينجيه من التهمِ

لم يأتِ في عمره ضراً الى احد ... ولا اتى شيئاً قط من باغٍ ومجترمِ

لقد بكت اعين العليا عليه اسىً ... والارثوذكس افاضوا الدمع مثل دمِ

وناح حزناً بنو الخوري عليهِ وقد ... امسوا لفرقته بالحزنِ والالمِ

فياذويه اتركوا الاحزان واصطبروا ... فالصبر شيمة اهل الفضل والعِظَمِ

فلا يُعَد فقيداً من له خلفٌ ... ما مات من ذكره باقٍ بكل فمِ

قد سار في هذه الدنيا على سنن الـ ... تقوى فنال بحقٍ خير مختتمِ

« وقال حضرة الاستاذ الفاضل الاديب حبيب افندي الخوري
ايليا الانطاكي احد اساتذة المدرسة الارثوذكسية
بحمص بلسان الفقيد رحمه الله تعالى »

عِظةٌ وعِبرةٌ وذكرى

« باطل الاباطيل يقول الجامعة . باطل الاباطيل كل شيء
باطل . اي فائدة للبشر من جميع تعبهم الذي يعانونه تحت الشمس .
الشمس تشرق والشمس تغرب ثم تسرع الى موضعها الذي طلعت
منهُ (الجامعة ١ : ٢ و٣ و٤) »

يا قوم

لا اقصد ان اقف فيكم خطيباً او واعظاً . لان لنا من حوادث الدهر وكوارثه كل يوم ما يبكم كل خطيب . ويفحم كل واعظ . ويحيِّر لبّ كل حكيم . انما اقصد ان أُذكِّركم بما هي حقيقة هذا العالم الفاني . ومجد الدنيا الزائل . وزخارفهُ التي تغشى عظاماً نخرة . ولحماناً بالية منتنة . وهذه الحقيقة كثيراً ما نرى آثارها ونسمع بها وتحدث معنا وترافقنا من المهد الى اللحد . لنا اعين ولنا آذان ولنا عقول لكننا لا نريد ان ننظر ولا ان نسمع ولا ان نفهم — كما قال الكتاب — فنتشاغل بالدنيا عن الدين . وبالفاني عن الباقي . وبالتعس عن السعادة . وبالوهم عن الحقيقة . وبالطارف والتليد عن يوم الوعد والوعيد . وبالمال عن المآل . وبلذيذ الطعام وسائغ الشراب . وفاخر الرياش والثياب . وخادع الآل ولامع السراب . عن حقيقة المآب ويوم الحشر والحساب . كأَنا ما خلقنا الا لهذه الدنيا فلا ثواب ولا عقاب

انا مغرورون ياقوم ونعلم انا مغرورون . وندري من تقلب ادوار الحياة انا لا نولد الا لنموت . ولا نُخلق الا لنَخلق . فبينا ترى الطفل في حضن امه يرضع ثديها وهي تضمهُ الى صدرها . ناظرةً اليهِ نظرة الفرح . وواضعةً على خدّيهِ الورديّين الوف

ألوفٍ من القبل . وعلى شفتيها ابتسامة حلوة تسفر عن تعلق آمال كبيرة بطفلها الرضيع . تجري بنا مواخر الايام طاوية مراحل الحياة ايَّ طيّ . وقطُرات الآجال تسابقها الى محطَّات القبور . حيث يلتقي الناس على اختلاف الطبقات والاجناس . فنشاهد ذلك الطفل الصغير شيخاً كبيراً . كليل النظر . محدودب الظهر . ابيض الشعر . تغضَّنت اسارير وجهه من الكدّ والقهر . وتبدَّل منهُ الرُّواء والاحمرار . بلون البهار والاصفرار . وجرفُ عمرهِ القصير قد انهار . ووُضع في شقّ القبر . الى يوم النشر — فأيّ فائدة للبشر من جميع تعبهم الذي يعانونهُ تحت الشمس ؟

اجلس على عرش عظمتك ايها الانسان . وتربَّع في سدَّة كبريائك . املك الارض كلها . سُد على كل مخلوقات الله . تنعَّم ما شئت . وفاخر ما اردت . وتِهْ ما استطعت . وتلذَّذ بالطعام والشراب . وارتدِ اثمن واجمل الثياب — ابنِ الدور . شيِّد القصور . اغرس الكروم — انشئ الجنَّات والفراديس . اغرس فيها كل انواع النبات من اعظم الاشجار الى اصغر الحشائش — اصنع البرَك والفساقي واجلب اليها المياه لتسقي خمائلك النضيرة . ورياضك الأَريضة . وكرومك الخصيبة . اقتنِ العبيد والإِماء والنَّعَم . اجمع كل مال الارض — ذهباً فضةً حجارةً كريمةً كما

هو ثمين . كما هو عزيز — اتخذ لك مغنين ومغنيات . وزوجة وجواري — ازدد عظمةً ونموًا ورفاهةً وغنى وحكمةً ومجدًا على كل من روى لك عنه التاريخ — ولم يروِ لك عمن هو اعظم من « سليمان » — ولا تمنع قلبك عن مشتهياته . ولا تدع بغية عينيك تذهب سدًى وافرح قدر ما تستطيع وقل لي بعد حصولك على كل هذه الآلآء والرغائب والملاذ ماذا ترتجي وماذا تأمل ؟ .
ألا تعلم ان لكل مبتداء منتهى . وان كل ما انحصر تحت اعراض الزمن والمكان هو حادث . وكل حادث زائل لا محالة . وصائر الى الفناء . ومنحلٌ الى ما تألف منهُ — فأنت ايها الانسان فانٍ زائلٌ منحلٌّ الى عنصريك الطين والماء . فلا تفتخر ولا تضل لانهُ « كما ان الشمس تشرق والشمس تغرب ثم تسرع الى الموضع الذي طلعت منهُ » . هكذا انت ايها الانسان المخلوق الضعيف المتجبرِ تعود الى الارض امّ الجميع

....

أعرني سمعك ايها الاخ لأُورد لك ما قال سيد الحكماء واغنى الملوك الذي ما قام ولن يقوم مثلهُ ملك حكيم . وغنيّ وعظيم . فانهُ قال : « ثم التفتُّ الى جميع اعمالي التي عملت يداي والى ما عانيت من التعب في عملها فاذا الجميع باطل وكآبة الروح

ولا فائدة في شيء مما تحت الشمس » . لا اقصد ان اجاوبك عما تعترض به عليَّ قائلاً : لماذا خلق الله الأشياء كلها ولماذا خُلِقتُ ؟ بل اقصد شيئاً آخر اهم وافيد وابقى . أُريد ان اخاطبك ايها الحيّ انا المائت الموضوع تحت التراب . والذي اصبحتُ جيفةً لا تُطاق . ولا تستطيع ان تلحظها الاحداق . أُريد ان احدّثك عن ذاتي لا عن اناس طوتهم الغبراء منذ الوف من الاعوام . لعلَّ هذا الحديث مع معرفتك الشخصية بي يؤثر بك التأثير الذي يؤدي بك الى أقوم السبل . لعلّ حديثي معك كأَب لك او كأَخٍ يوقظ ضميرك فينتبه . ونفسك فتنشط كمن أُطلق من عقال . فتنقيها من ادناس الخطيئة . وتفكها من عراقيل العالم الغرور . لتكون على تمام الاهبة لملاقاة فاديك الحبيب . فتصرخ مع داود المرنم الالهي : « قلبي مستعدٌ يا الله قلبي مستعدّ » وبذلك قد تكون حللت اعتراضك عليَّ وهو : لمـاذا خُلِقتُ ؟ خلقتَ لتسبح الله وتمجدهُ باعمالك واقوالك وتعيش طاهراً بجملتك . عاملاً كما يرضيهِ تعالى . لتستحق سماع ذلك الصوت الجميل الحلو : « هلمَّ يا مبارك ابي رث الملك المعدَّ لك منذ إنشاء العالم . ادخل الى فرح سيدك »

.....

أتذكر ايها الاخ «سليمان الخوري» ؟ . أنا هو الذي اخاطبك بصوت ضعيف خارج من ظلمة القبر . أتذكر همتي الشماء ؟ أتذكر اعمالي العظيمة في الوطن؟ اما انا الخطيب المصقع الآتي بمعجزات البلاغة والحكمة ؟ اما تذكر تصدُّري في كل منتدىً وصدور الآراء الثاقبة مني التي كنت اسمع صداها حالاً بالقول نعم نعم؟ الصواب هو ماقلتُ والحكمة هي ما تكلمتُ. اما رأيت الجلوس جلوساً امامي بغاية الحشمة واللياقة والتجمُّل خاضعين لكل ما آمر بهِ وأنهى عنهُ ؟ . اما كنتُ القطب الوحيد التي تدور عليهِ آمال طائفتي وغيرها ؟ . اما كنت في الشدائد والأزمات أثبت جناناً من الرواسي ؟ . اما كنت انقضّ انقضاض الصواعق على من رام حطاً من كرامة الملة الارثوذكسيَّة والوطن المحبوب والمصلحة العامَّة . ؟ اما انا هو الذي خدم بامانة واخلاص وصدق نيَّاتٍ جلالة المتبوع الاعظم حتى آخر نسمة من حياتهِ؟ . أيَّ عمل خيريّ لم اكن منشئهُ والبادئ بهِ والداعي اليه ؟ . واي معضلة لم يكن لي فيها الرأي الصائب والقدح المعلَّى ؟ . واي بناء وطنيّ دينيّ او أدبيّ لم اكن في مقدَّمة الباذلين اقصى ماعندهم ادبياً ومادياً لتشييده وتمثيله على اجمل واكمل ما نقدر وتمكننا الاحوال والظروف التي كانت تحتاطنا آنئذٍ ؟ اما كنت مع

كهولتي ووفرة اشغالي أطوف البيوت والأسواق والحوانيت باذلاً ماء وجهي كالمكدي لبناء الكنائس والمدارس والمعاهد والاوقاف ؟ · اما كنت أسري الى الاحياء البعيدة المتطرفة في المدينة أتوكأ على عصاي غير مكترث بتعب وشغل النهار لاجمع مبرَّات الاسخياء لاتمام المشاريع الخيرية التي هي اعظم شاهد على صدق ما اقول ؟ · اما انا الطبيب الحاذق الذي لا يُبارى · والنطاسيّ الذي تقصدهُ المرضى من جهات بعيدة للاستشفاء ؟ اما كنت أباً واخاً ومؤاسياً لكل مريض فقير وفقير جائع ؟ · اما انا مستشار الملة الخاص ومرجع الامور إليّ ؟ · اما كنت الأُبن المطيع لسيادة راعي الابرشية الجليل ورفيقهُ بل وساعده الأيمن في كل اعمالهِ العائدة بالنفع العميم على الطائفة الارثوذكسية؟ اما انا وكيل سيادته لدى الحكومة السنية · ونائبهُ في المفوَّض المليّ · والواعظ في الكنائس · والخطيب في المعاهد العلميَّة والادبية بغيابهِ ؟ · اما انا « ليوغوثيتي » الطائفة ووكيل قانونيّ لغبطة البطريرك الانطاكي ؟ أيَّة مأثرة لم آتها · وايّ عمل يدعو الى الفائدة والعائدة والشرف والمجد والسؤدد لم اركض اليهِ ركض السُّلَيْك · وأيّ مستنجدٍ ومستغيث ناداني ولم اقل لهُ لبَّيك لبَّيك ؟ — اني قد افتخرت وافتخاري عدل وحقّ · وخلفت لي

ولأُسرتي ولملتي الذكر المجيد · والصيت البعيد · وشرُفتُ بحزمي وعلمي وقلمي شرفاً اثيلاً · ثم التفتُّ الى جميع اعمالي التي عملت يداي والى ما عانيت من التعب في عملها فاذا الجميع باطل وكآبة الروح ولا فائدة في شيء تحت الشمس · لم يَدُمْ لي شيء ولم يدفع الموت عني ما اتيت من جلائل الاعمال · لا العقاقير ولا العلاجات ردَّت عني سهام الموت · ولا الآل والاصحاب دفعوا عني مقدوراً · على اني قد ربحتُ شيئاً واحداً فقط وهو الاعمال الصالحة التي سوف أُلاقي بها وجه ربي فآخذ جعالتي عنها

وختام القول كلهِ « اتقِ اللهِ واحفظ وصاياه · فان هذا هو الانسان كلهُ لان الله سيحضر كل عمل ليدين على كلِّ خفيٍّ خيراً كان او شرًّا » فاعتبروا يا اولادي وأُسرتي واصحابي واخواني واعرفوا حقيقة الدار التي تسكنونها · وأَعرضوا عن زخارفها وأَباطيلها واعلموا بانني :

قد عشتُ في الدنيا رفيع الشانِ ... وغدوت مفتخرًا على أَقراني
وحويتُ غرَّ محامد الاخلاق والا ... م عادات والآداب والايمانِ
ورقيتُ معراج المفاخر صادقاً ... بعزيمتي ورجاحة الوجدانِ
ورُزقتُ من فضل الإلهِ بلاغةً ... بفصاحة عزَّت على سحبانِ
وفقهتُ مختلف المعارف والفنو ... ن بغير استاذٍ ولا أَعوانِ
ونبغتُ في فرط الذكا وهويت خير ... م شمائل الكبراء والأَعيانِ
وأَخذتُ عن نفسي الطبابة فائزًا ... بشهادة العلماء والسلطانِ

ونشأتَ في مهد العلى متاقفاً   اخبار اهل الحزم والبرهانِ

ولِقادة الافكار بتُّ محاكياً   قولاً وفعلاً مع ثبات جنانِ

وخدمتُ دولتيَ العليَّة مُخلصاً   فجُزيتُ أعظم رتبةٍ ونشانِ

انا ذلك الرجل الخبيرُ حكمةً   ألبابَ اهل الفضل والعرفانِ

انا ذلك البطل المجرَّب والغيو   م   رُ وردُّ كيد ذوي المفاسد شاني

انا زينة الدهات غير مدافَعٍ   والقولُ قولي في اشدّ اوانِ

فانا الذي بثبات جأشي في الخطو   م   بِ وهمّتي شجّعت كل جبانِ

وانا النطاسيُّ الذي شهدت لهُ   اعلام فنّ الطبّ في ذا الآنِ

وانا الذي شدتُ المدارس والكنا   م   ئس والمعاهد خادماً اوطاني

انا خادم الوطن الامين حقيقةً   مَن لا يوافق ان رفعتُ بناني

كم ذدتُ عن وطني فبتّ مُحسَّداً   وسددتُ فاهَ مكابرٍ شنآنِ

ما كنتُ ارضى ان اكون مُمدَّحاً   ومُعزَّزاً بالمكر والبهتانِ

ان لم يكن قد ضاع نشر فضائلي   قبلاً وفزتُ براحةِ الجنانِ

فثنايَ موفورٌ وصيتي طيبٌ   وجميل ذكري دائم الدورانِ

مثلي اعملوا وبي اقتدوا وتشبّهوا   حتى تحوزوا لذّة الشكرانِ

لكنما الامر الذي اخشى لقد   أنفى ركائب همّتي ودهاني

هو ان اعود الى التراب لانهُ   منهُ براني مبدع الاكوانِ

فمفاخري لم تُنجني من ذا القضا   م   ءِ وفجعة الارماس بالاكفانِ

ومعارفي في الطبّ قد ذهبت سدىً   وبذاك حكم العادل الرحمانِ

فعدمت كل تفكّرٍ وفقدت كلَّ   م   تحرُّكٍ للعقل والجُثمانِ

لمّا سطا اسد المنية مفسداً   عمل الطبيب بجرأةٍ وأمانِ

اصبحت محور دارة هي أُسرتي   كالبدر وسط كواكب الدبرانِ

ندبوا وناحوا مذ قضيتُ وانهم   مهما بكوا لا يبلغون اماني

ستر الحِمام محاسني مذ ضمّني   للارض بين الترب والديدانِ

ان النفوس الى السماء معادها والى التراب نهاية الجُسمان
هذي الحياة وكلنا رهن الفنا م ء من الفقير الى ذوي التيجانِ
هي السعادة في السما لا في الدُّنى وبها البقا لا في ديار هوانِ
لا ينفع الانسان الا ما أتى من صالح الاعمال والإحسانِ
تنبهوا لمعادكم وأتوا الجميل م وصالح الاعمال يا إخواني
لا ترتجوا حسن الختام بغير من سيم الهوان وعُدَّ اشقى جانِ
ذاك الذي ترك السما متجسداً ليفكّنا من ربقة الشيطانِ
ويُعيدنا لجنانهِ ويُقيلنا من عثرة آلت الى الخسرانِ
هذا الذي منه الحياة ومنه كلُّ م سعادةٍ ورغائبٍ وحنانِ
هذا رجاء المؤمنين فأرّخوا بهِ قد بلغتُ مآربي بجنانِ
٧(١٠٤)١٤٣٢(٢٥٣) ١٠٦

سنة ١٩٠٢

«وقال حضرة الاديب البارع المعلم نقولا افندي يوسف اسكندر»

لا تأمنِ الموت يا ذا الرأي والفَهَمِ واحذره في عنفوان العمر والهرمِ
مَن لم يذقهُ ومن ذا لم يهبه ومن لم يجرِ من محجريهِ الدمع كالعنمِ
كم أُمهاتٍ وآباءٍ لقد ثكلوا وكم رضيعٍ مُني بالذل واليتَمِ
وكم أخٍ نادبٍ اخوانهُ اسفاً وكم أليفٍ بكى إلفاً لهُ بدمِ
وكم كريمٍ وكم من سيدٍ فُجعت بهِ الانام وغير الله لم يدُمِ
كم من طبيبٍ نطاسيٍّ ومن فطنٍ ومن لبيبٍ ثوى في الترب لم يقمِ
ما حيلة الناس فيهِ قد سطا و بغى ما حيلة الناس الاَّ الصبر فاعتصمِ
تبًّا له فهو لم يستثنِ من احدٍ حتى الحكيم سليمان السني الهممِ

لقد قضى انما ذكراه خالدة ... وفضله الدهرَ يبقى غير منثلمِ

قالوا ارثه ان تسطير الرثاء له ... يحق في كل منثورٍ ومنتظمِ

فقلت اني بالتقصير معترفٌ ... اذ عن فروض رثاه عاجز كمي

فهو الذي كان من خير الرجال بتقوا — هُ وكان حميد الفعل والشيمِ

حزني عليه عظيم كيف لا وَولا ... انجاله لي مكينٌ غير منصرمِ

حزني عليه جسيم كيف لا وودا — ده لنا كان مشهوراً من القِدَمِ

من عهد والده ما بيننا انعقدت ... عرى ودادٍ اكيدٍ غير منفصمِ

وهو الخطير الذي كم حاز مرتبةً ... من جود سلطاننا ذي المجد والكرمِ

وها وساماتهُ في صدره سفرت ... عن حسن اخلاصه في اصدق الخدمِ

هو الحكيم الذي افعالهُ غررٌ ... اقواله دررٌ صيغت من الحكمِ

قطب الفضائل فكاك المشاكل محمود — الشمائل بين العرب والعجمِ

باهي المناقب من فرط التواضع لم ... يكن ليهدي سلاماً غير مبتسمِ

شهم تزيّن فيه كل مجتمعٍ ... اذ في المهمات كان النافذ الكَلِمِ

وكان خير مثالٍ للتصبرِ والرجاء بالله في النكبات والنقمِ

فأهل ذا الوطن الملتاع قد خسروا ... به هماماً نبيلاً طاهر الذممِ

فليبكهِ السقما والبائسون اسىً ... اذ كان ينجدهم في الضيق والسقمِ

اما الوجاهة فلتحزن عليه فقد ... كان الوجيه الحسيب الحرّ في الامم

تبكي عليه علومٌ كان احرزها ... صدرٌ لهُ كعبابٍ واسعٍ عرمِ

يا صاحب العزة القعساء والرتب ال — علياء والهمة الشماء والعظمِ

فيك المصيبة جلّت والعزاء نأى ... والصبر قد عزّ عند الآسف السدِمِ

ولست وحدي كذا اذ رزؤكم شرعٌ ... لدى العموم وقلب الكل في ضرمِ

صفاتك الغرُّ في انجالك انطبعت ... انعم بهم خلفاً للسالف العَلَمِ

همُ الكرام وان الصبر شيمتهم ... فان يعوذوا به ينجوا من الندمِ

هذا قضاء الذي يحيي العظام اذا ... اراد وهو يُعيد الكلَّ للعدمِ

والله نسأل من اقصى الفؤاد بان يزيد بالخير والنعمى بعمرهم
ليغتدوا خير اخلافٍ لسالفهم والعزّ والجاه ما زالا ببيتهمِ
وانت يا راحلاً عنا لدار بقا فيها نقابلك الأملاك بالنغمِ
أرّختُ فليحظ َ قبرٌ قد نأيتَ بهِ بحلم ربك ذي الإبداع والنعمِ

١٠٢٨ (٣) (٣ ٣) ١٠٤ (٤٦٠) ٧   ٨٠ (٢٢٢) ٧١٠ (١٠٩) ١٩٧

سنة ١٩٠٢ مسيحية   سنة ١٣١٨ رومية

« وقال حضرة الوجيه الفاضل الاديب مراد افندي اسكندر باش كاتب النافعة في مركز متصرفية حماة سابقاً »

ما بال وجوه الفضلاء تعلوها شارات الاحزان . وألسن الخطباء قد ابكمتها الاشجان . ما لي ارى عوامل الاسف تشق الفؤاد . فيسيل نجيعهُ من الاجفان كصوب العهاد . فهل حلت مصيبة عظيمة . وهل دهت الوطن داهية جسيمة ؟ . أجل قد هاجت عواصف الردى فقصفت من روضة الحمية افضل اغصانها منبتاً واصلاً . وخطفت من مدينتنا عين اعيانها كمالاً واستقامة وفضلاً . مَن سارت باحاديث حكمته الركبان . وتعطرت بذكره الاندية في كل صقع ومكان . مَن كان للفضل فرقداً ومثالاً . وللفضيلة ركناً وعماداً . وللشهامة خدناً وملاذاً . وللعلم سيداً واماماً . وللآداب ناصراً وناشراً . كيف لا وهو الحكيم سليمان . سحبان اللسَن وقس البيان . الذي صرف جلّ حياته في

في سبيل تقدم الطائفة واصلاحها . وسعى السعي المأثور في ترقيتها وفلاحها . فكانت لهُ الايادي الطولى . والرتبة الاولى . في تأسيس الجمعيات الخيريَّة والادبيّة . وتشييد المدارس والكنائس الارثوذكسية . واغاثة البائس واللهيف . واعانة اللائذ والضعيف . وخدم دولتنا العلية الخدم الصادقة الجليلة . بالنزاهة والاخلاص سنين طويلة . فكافأَتهُ بالرتب المتمايزة . والوسامات الباهرة . فرحمهُ الله من فردٍ :

« هيهات ان ياتي الزمان بمثله   ان الزمان بمثله لبخيلُ »

وأَنَّى لنا بلسان ذليق كلسانهِ رحمه الله . يقوم بواجبات تأْبينه ورثاه . ولكننا تلبيةً لداعي الضمير . وقياماً بالفروض المقدسة نحو فقيدنا الخطير . نقول مع اعترافنا بالعجز والتقصير :

لله هذا الدهر من خوّانٍ   أصمى الفؤاد بصارم الاشجانِ

يا تيك طوراً صافياً فتخالهُ   صفواً يدوم على مدى الازمانِ

لكنه من قلب ذاك الصفو يو   لدُ حسرةً لم تأْتِ بالحسبانِ

أُلعوبةٌ كل ابن انثى في يد الـ   ـدهر الخؤون الغادر الطعَّانِ

لا تأمن الدنيا الغرور فانها   مملوءةٌ بالغمّ والاحزانِ

لا تركننَّ لها فان خداعها   يغريك بل ينسيك انك فاني

نشبت اظافرها بذي التقوى سليما   ن الحكيم ابن الحكيم الثاني

ذاك الذي قد كان ما بين الملا   يسمو بحكمته على لقمانِ

سلبت يداها درّةً قد كُوِّنت   من جوهر الافضال والاحسانِ

رُزِئت مدارسنا بمن نالت به من قبل تعزيزاً ورفعة شانِ
بكت المحافل والمجالس مثلما أسف الزمان عليه وهو الجاني
اما العلوم فانهــا قد اصبحت تبكي عليه بدمعها الهتّانِ
وكذا الشهامة والفضيلة والندى نثرت عليه الدمع كالمرجانِ
وبكى عليه الطب اذ قد كان في حمصٍ له ركناً من الاركانِ
وعليلها وفقيرها ومصابها اجروا من الاجفان دمعاً قاني
شتّان بين أبٍ ميتمٍ ولدهُ وعماد فضل فاجع الاوطانِ
لو كان ينفعنا البكا من بعده كنا سكبنا الدمع كالغدرانِ
فتدرعوا بالصبر يا انجاله فالموت حكم مدبر الاكوانِ
بكم العزآء فانتم خلف لأفـــضل والدٍ يا افضل الولدانِ
فمقرّنا دار الشقا ومقرّه دار البقا في جنة الرحمانِ

« وقال حضرة الفاضل المعلم حنا افندي الكفروني »

للمعالي غدا انين المصابِ اذ جرى امرٌ لم يكن بالحسابِ
ذاك خطبٌ تندكّ منه الرواسي يا لقومي من ثقل هذا المصابِ
صادعٌ صدّع القلوب واضحى ضيقاً بالملا فسيح الرحابِ
فدح الخطب انهُ لكبيرٌ صغرت عنده كبار الروابي
يا لقومي قد قرّح الدمع جفني كل يوم ياتي يزيد انتحابي
يا لقومي إنّا فقدنا كبيراً كان ركناً مشيداً للصحابِ
فبقدر الرجال تغدو الرزايا فتفيض الجفون فيض العبابِ
قد فقدنا محنكاً نترجى في المهمات منه حكم الصوابِ
يا سليمان كنت فرداً عجيباً بين اهل النهى وفصل الخطابِ
يا ابن داوود حكمةً وذكآءً وباسمى الصفات خير انتسابِ

كنت تسمو مداركاً فوق اهل الـ — حذق طرًّا سموّ أعلى السحابِ
قد حباك المليك حكماً بسيفٍ قد فرى بالنظام ايدي اغتصابِ
فالرضى من مليكنا عنك حقاً قد توالى مع العلى باصطحابِ
ما راينا نظير حزمك لما كنت تلقى للنائبات الصعابِ
فلقد كنت تلتقي الخطب مهما كان جلاً بالصبر والإحتسابِ
يا كريماً ما رابه الريب حيناً يا تقياً ما لاذ فيه التصابي
يا سليماً من كل عيب تُندّى لو يصح الفدى بمن في الشباب
يا بنيه الكرام صبراً جميلاً نعمة ليس مثلها لاكتسابِ
نعمة في السماء عند إلهٍ نافذٌ حكمه عظيم الثوابِ
فلكم قد اثاب في الكون قوماً أبدا الصبرُ ذكرهم في الكتابِ
فدعوه ما شاء يفعل حراً لا تحيدوا عن امره بجوابِ
واخضعوا ان في الخضوع سلاماً وعزاءً لكل قلبٍ مصابِ
فعليه من الإلهِ سلامٌ ماسقت قبرَهُ دموعُ السحابِ

« وقال حضرة الفاضل المعلم حنا افندي خباز
وكيل قسيس البروتستان بحمص »

على مَ غدا درُّ الدموع السواكبِ كسيل نجيعٍ من قلوبٍ ذوائبِ
وباتت جنانُ الانس كالقفر بعدما تألّق فيها البشرُ مثل الكواكبِ
وأظلم أُفقُ الصنو بعد ضيائه وحاقت بنا الاكدارُ من كل جانبِ
أشمسٌ توارت ام نجومٌ تساقطت ام الموتُ قد ارخى سدول الغياهبِ
نعم مات في حمص سليمانُ ذو البها فاصبح سكبُ الدمع ضربةَ لازبِ
همامٌ لقد فاق الانام حصافةً وقد نال من مولاه خير المواهبِ
وقد كان في العرفان والطب مفرداً لذا حُسبت اعمالُهُ كالعجائبِ

وقد خدم الاوطانَ خدمة مخلصٍ — وذبَّ عن الايمان غير مشاغبِ
ولم يبغِ في الاحسان مدحة مادحٍ — ولم يخشَ في الاحكام لومة عائبِ
وكان سديدَ الرأي والقولِ حازماً — رز يناعظيمَ الصبر عند المصائبِ
وكان ابتغاءَ العلم والفضل والندى — الى ربعهِ العالي مسيرُ المواكبِ
حوى من ثمار العلم كلَّ شهيةٍ — وحاز من الاوصاف أبهى المناقبِ
« عفافٌ واقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ » — ولطفٌ وايناسٌ ورقةُ جانبِ
لذا لبست ثوبَ الحداد طروسُنا — وشقَّ عليه قلبهُ كلُّ كاتبِ
وباتت دموعُ العين فوق ضريحهِ — تسقّي ثراه وهي مثل السحائبِ
فيا ايها الرمس الذي فيه قد ثوى — عليك سلام الله من كل صاحبِ
ويا آله صبراً فان فقيدكم — تبوّأ في الفردوس اسمى المراتبِ
ويا ايها النائي ذهبتَ عن ربوعنا — سعدتَ بانْ أحرزت اشهى الرغائبِ
ونلتَ رضى الرحمانِ ماذرَّ شارقٌ — ولاح السنا في شرقنا والمغاربِ

« وقال حضرة الاستاذ الاديب شاكر افندي نعمة الله سلوم
بلسان قدس الاب الورع الخوري وهبة الله يعقوب احد
كهنة الكنيسة الارثوذكسية بحمص »

ثورة الاشجان . في رثاء فقيد الاوطان

ألشرقُ في ذا الخطب إنْ بكائهِ — يبكي الفقيدَ الفردَ في حكمائهِ
يبكي عضيد العلم في اوطاننا — ومليكَ سدّتهِ وربَّ لوائهِ
يبكي سليمان الزمان معدّداً — نعماً له تربو على إحصائهِ
يبكي حكيماً فيلسوفاً قد قضى!— تدبير والاقدام حين قضائهِ
تبكيه طائفةٌ له خِدَمٌ بها — تبقى بقاءَ الدهرِ وقف ثنائهِ

تبكي المناصبُ ناصباً بنزاهةٍ ... اولته تمييزاً على نظرائه
فأتته من نعم المليك مراتبٌ ... زادته علياءً على عليائه
تبكي الكنائسُ والمدارسُ مسعفاً ... تنهلُّ بالاحسان سحب عطائه
والعصرُ جلبابَ الاسى متوشحٌ ... يبكي مُجَلِّيَهُ قشيبَ كسائه
فرد اذا ما المشكلات تعقدت ... فلّت جحافلها ظبى ارائه
ولسانه للحق عضبٌ منتضى ... ما كذّب الحدثانُ صدق مضائه
آسٍ اذا ما أمّهُ متطببٌ ... سبق الشفاءُ اليه قبل دوائه
متواضع وهو الرفيع مكانةً ... كالبدر فوق الماء رسم ضيائه
قد كان ذا غوثٍ لكل مؤمل ... ينجي اخا البأساءِ من ضرائه
قد كان نابغة الزمان بلا مرا ... فرثاؤه فرض على شعرائه
قد جمّع الاحسابَ غرّاً كُمِّلت ... بطريف مجد جاء عن آبائه
لو كان حكم الدهر يملك امرهُ ... لم يرضهِ الا خلود بقائهِ
لكن بذا حكمُ المهيمن قد قضى ... فالصبر اولى عند وقع قضائهِ
اعجب لقبر قيد باعٍ كيف ذيّاك — الخضمّ يضمّ في غبرائهِ
والكون كان يضيق عن شمم له ... شماء تعلو كاعتلاء علائهِ
لكن دعاهُ صوتُ ربك من علٍ ... فاطاع منقاداً لصوت ندائهِ
قصد العليّ مزوداً مرضاته ... فجزاه عن تقواه خير جزائه
واحلّهُ جنات عدنٍ خصّهُ ... فيها بفيض الجود من نعمائه
صبراً ذويهِ فالصبرُ للفتى ... يوليهِ من باريهِ حسن رضائهِ
وتأمّلوا ما مائتٌ من «كامل» ... وكذا «سليم» الغلب من ابنائهِ
خلّفان عن سلفٍ كريم أُورثا ... عن فضله المشكور نهجَ سوائه
عزّاهما الباريء وكلَّ ذويهما ... وحباهمُ الخيراتِ من آلائهِ
وأدام غيث العفو يسقي تربةً ... فيها فقيدهم رهين فنائه
ووقاهمُ من كلِّ حزنٍ مفجعٍ ... ورعاهمُ دوماً بجند سمائه

ما دام صوت الحق بعد فقيدنا طلقاً يُوَفِيهِ حقوقَ رثائه

« وقال حضرة اللوذعي البارع سعيد افندي شقير مدير جريدة « كوكب اميركا » الغراء بلسان حضرة الفاضل حنا افندي شحفه (في نيويورك)

صدى الحسرات

أ تدري ان جسمك من جمادِ يسيرُ مع الحياة الى النسادِ
وانكَ زائرُ الدنيا كضيفٍ تغادرها الغداةَ بلا معادِ
ولستَ بعائشٍ الا لتفنى فناء السابقين الى المهادِ
فإن نحيا ونَمَّ تموت يوماً فما هذي الحياة على المرادِ
وما فيها سوى تعبٍ وحزنٍ نقضّيهِ ونحيا للجهادِ
نُنَازعُ بعضنا بعضاً لفلسٍ ولا يغني الجهاد عن الرقادِ
نخير الناس من جاؤوا فعالاً تجمّلِ ذكرهم في كل نادِ
ونحن اليوم في خطبٍ جسيمٍ تسيل به المدامع كالعهادِ
سليمانٌ قضى شقّوا قلوباً عليه واكتسوا حلل الحدادِ
بكت حمصٌ عليه وامتادت لمنعاه وباتت في سوادِ
وامسى الجود يبكي راحتيه ويرثي نادباً بيض الايادي
بني الخوري مصابكم مصاب تشاركم بـه كل البلادِ
فيحزنكم ويحزننا جميعاً « ولكن لاحياة لمن تنادي »
لنا افعاله الغرّا عزآءٌ تُخلّدُ ذكره بين العبادِ
فكم للبر انشأ من صروحٍ واحيي للعلوم من النوادي
وكم للدين شيّد من بيوتٍ وعززها على اسمى اعتقادِ

وكم داوى عليلاً من سقامٍ فابراه من العِلل الشدادِ
ترقى في المحاكم والمعالي واظهر انه سامي المبادي
وديعٌ كان للتقوى مثالاً رفيعٌ كان من اهل العمادِ
فعاش مكرماً من كل شهمٍ محباً للصحاب بلا اعادي
ومات مخلفاً حسرات قوم وكل منهم دامي الفؤادِ
على مثواه يهمي غيث عفوٍ وغفرانٍ الى يوم التنادي

« وقال حضرة اللوذعي الفاضل غصن افندي غصن الشويري احد منشئَيْ جريدة «الاقبال» الغرّاء في لورنس ماس من الولايات المتحدة»

صدى الانين · من القلب الحزين

نئنُّ اسىً ونبكي ما نشاء ونفعاً ليس يُجدينا البكاء
نُفتِّشُ في صروح المجد عمَّن يناصرنا متى عظم البلاء
فلا نجد الأُلى كانوا ملاذاً ولا املٌ يلوح ولا رجاء
فتلك الدار موحشةٌ كثيراً نأت عنها المسرّة والهناء
مضت ايامُ رونقها ووافى لفقدكَ يا سليمانُ الشقاء
تنوح على همامٍ كان فيها عزيز النفس شيمتهُ الوفاء
يُسَرُّ بان يجودُ بلا حساب وتُطربهُ السماحةُ والسخاء
تمادى في سبيل المجد حتى غدا عَلَماً يعززهُ العلاء
تولّى خطّة الاحكام وقتاً زهت فيه المجالس والقضاء
نصيراً كان للمظلوم عدلاً قوياً ليس يعروه التواء
مُشيراً للكبار سديد رأيٍ وفي حقّ اليتيم لهُ اعتناء

ضليعاً في العلوم كبير شأنٍ | له القِدحُ المُعلى والثناءُ
قرا كتب الرئيس ففاز منها | بعلم الطب يسعفه الذكاءُ
جرى في حلبة الاصلاح شوطاً | بعيداً ليس يقعده العناءُ
فشاد مدارساً وانار قوماً | بانوار لها ابداً بهاءُ
فتلك هي العلوم وليس بدعٌ | فان العلم مصباحٌ مضاءُ
وكان الى المعابد ذا جنوحٍ | وفي دينِ المسيح له مضاءُ
فحاز الدينَ والدنيا جميعاً | ولم يكُ في مناقبهِ رئاءُ
قضاءٌ مُبرمٌ قد حلّ يوماً | ففوّض ركننا ذاك القضاءُ
إذا ما قمتُ أرثي كل عمري | فحقك لا يفي ذاك الرثاءُ
سلامُ الله حيث اقمتَ يأتي | عليك وراحةٌ يُعطى الجزاءُ
فلا تنفك مغتبطاً سعيداً | مع الابرار مسكنك السماءُ

« وقال حضرة السيد الفاضل اللبيب الشيخ سليمان الكيالي الرفاعي معلم الخط بمدرسة العدوية بحمص (من قصيدة طويلة) »

ما قيمةُ الإنسان الا بالتقى | ولو ارتدى بالطيلسان الأخضرِ
ما هذه الدنيا بدار اقامةٍ | لكنها تجري كسوق المشتري
ما حيلةُ الطُلّابِ نيلَ سعادةٍ | فيها بلا تنديرها المتسطرِ
واذا تبدّت بالصفا يوماً لنا | ثنّت بعيشٍ تنغصٍ وتقهقرِ
فيها المنيّة عبرةٌ لا سيّما | موت الافاضل عبرةٌ بتكدرِ
هذا سليمان السعيد الذكر قد | طرقته حادثة المنون فأُقبرِ
قد كان شهماً لوذعياً فائقاً | في الطب مشهوراً بحسن تصوّرِ
صرف الحياة لدى الحكومة منصفاً | افعاله ترضي لربٍّ اكبرِ
باهي الخصال يُحبُّه اهلُ الفضل لا | يلوي على شرٍّ وبغية مفترِ

تَخِذَ المودة مع سلامة صدره — بين الفريقين اتخاذ موقرِ
خطبت له العلياء في حمص بأن — بحسن سيرته الورى لا تمتري
فاق الملا بلطافةٍ ورأفةٍ — وعفافةٍ وزهادةٍ وتبصُّرِ
وعزيمةٍ شماء ينسي ذكرها ال — جلمود تمضي كالحسام الابترِ
فكأنه والحال يشهد صدقهُ — بين الانام ابٌ جليل المنظرِ
لا ريب ان خصاله محمودةٌ — في الناس تُروى كالصحاح الجوهري
قد شابهت افعاله القوم الأولى — مِن صَونِ عرضٍ واجتناب المُنكرِ
قد كان صدرًا للمحافل بعدهُ — أسفت عليه وصدعها لم يُجبرِ
وبسعيه السامي المدارس ازهرت — ورياضها فاحت كفيح العنبرِ
فُقِدت مزاياه التي لو سامها — احدٌ لعاد بخيبةٍ وتحسُّرِ
جودوا ابني الخوري عيسى بالبكا — لمصابكم هذا بدمعٍ احمرِ
ثم اعلموا ان غاب عنكم شخصهُ — فالذكرُ باقٍ كالهلال المُبدرِ
اني أُسطِّر ذكرهُ بتأسُّفٍ — وتأوُّهٍ شرحًا بباطن دفتري
لكن قضاء الله جلَّ جلالهُ — في خلقهِ ماضٍ وليس بمنكرِ
كلُّ الاحبة اصبحت في فقدهِ — تبكي عليه كالغمام المُمطرِ
قد راح مشكورَ المساعي حيثما — ذُكِرت فكانت كالرحيق السُّكَّري
سفرت ملائحهُ بدنياه كما — سفر الكواكبُ في الدياجي العكَّرِ
فلذا اليراع بدا بنار يخين في — ختم القصيدة فانظرن وحرِّرِ
برثائه العلياء ناحت ارِّخوا — قدرًا اقرّت بالثناء الأعطرِ

٧١٩ (١٤٢) ٤٥٩ — ٣٠٥ (٧٠١) ٥٨٥ (٣١١)

سنة ١٣٢٠هـ — سنة ١٩٠٢م

« وقال حضرة الاديب الفاضل محمد ابي الخير افندي الجندي »

دعِ الايامَ تغدرُ والليالي ... فظلُّ نعيمهنَّ الى زوالِ
فصارى عيشهنَّ الى فناءٍ ... وغايةُ اهلهنَّ الى انتقالِ
تنكَّرت الطبابةُ بعد عرفٍ ... وبعد علىً غدت في سوء حالِ
ولم نُبْدَل من الآسي بعطفٍ ... سوى توكيدِ سقمٍ واعتلالِ
فاضحى الداءُ لا يشفى بحذقٍ ... واصبحت الجروحُ بلا اندمالِ
وكيف وقد قضى شيخُ الأطبا ... ومصباحُ الحذاقةِ والكمالِ
سليمانُ الحكيمُ الفردُ فضلاً ... ومن قد خُصَّ في اسمى الخصالِ
بكاهُ الطبُّ والمعروفُ اضحى ... ينوحُ عليهِ مع غُررِ الفعالِ
بكتهُ اعينُ الاعيان طرًّا ... بدمعٍ كالعقيق وكاللآلي
بكتهُ الإستقامةُ والتفاني ... بحبِّ مليكهِ السامي الجلالِ
لقد عظمت مصيبتهُ وجلَّت ... فوا أسفا على الحسنِ الخلالِ
سليمانٌ لقد اسهرتَ منَّا الـ ... ـعيونَ وقلبُنا لك غيرُ سالِ
فيا وطنًا عدمتَ اليوم ندبًا ... محبًّا كان يخدمُ للمعالي
فلا تجزعْ لهذا الامر واعلمْ ... جميلُ الصبر أجملُ بالرجالِ
فكم جنَتِ المنونُ على كرامٍ ... وجندلت الكماةَ بلا اقتتالِ
ومن أبقى له ذكرًا جميلاً ... يردَّد فهو حيٌّ غير بالِ
فلا ذاقت ذووهُ مرَّ ضرٍّ ... وصبَّر قلبهم مولى الموالي

« وقال حضرة الاديب البارع عبد الله افندي سليم اليازجي كاتب تحريرات قضاءِ الحصن »

خلَت من سليمان الحكيم المنازلُ ... « فكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ »
هو العلَمُ المشهودُ والعالمُ الذي ... باعمالهِ كانت تقوم الفضائلُ

هو الصالح المبرور والمُصلح الذي ... على يده كانت تُحلّ المشاكلُ

كبيرٌ يُشدّ الازرُ فيه اخٌ اذا ... طلبت فداءه روحهُ فهو باذلُ

اذا قال في امرٍ مقالاً ففعله ... لعمرك قبل النطق في الامر حاصلُ

تضيق القوافي عن مديح صفاته ... وتعجز عن حمل الهبات القوافلُ

يعزّ بتقوى ربه مثل قلبه ... فتقي انه في حضرة الحق ماثلُ

تعلّم فنّ الطب دون معلمٍ ... وذاق المنايا وهو بالعلم عاملُ

مقالٌ قديمٌ لا تعالج بفالجٍ ... فذا مرضٌ رغماً عن الطب قاتلُ

وهذي الوفٌ قد شفاها شواهدٌ ... له ولعمري شاهدُ الدمع عادلُ

فما قام في الدنيا طبيبٌ نظيرهُ ... ولا فيلسوفٌ او حكيمٌ يماثلُ

بنسبته قسٌّ الفصاحة ابكمٌ ... وسقراط أُميٌّ وبقراط جاهلُ

فهذا الذي كان الاخيرَ زمانهُ ... «وجاء بما لم تستطعه الاوائلُ»

أَما كان يشفي الداء من دون ان يرى ... وقد حار في الداء الطبيبُ المواصلُ

ومن عجبٍ تشخيصهُ سقمَ غائبٍ ... ولكنهُ عن حالنا اليوم غافلُ

وأعجب من ذا نور فضل مُشعشعٍ ... ومرسل ذاك النور في الرمس آفلُ

بكينا وابكينا الورى بل تعلّمت ... بمأتمه منّا النواحَ البلابلُ

بكته النصارى غائبٌ مثل حاضرٍ ... اجل وتردّت بالسواد المحافلُ

وعمّ البكا اسلامَ حمصٍ لانهُ ... قوام سلامٍ سالمُ العيب فاضلُ

بكتهُ العلى اذ انه متمايزٌ ... بعزتها (١) بل نورها المتكاملُ

بكته اليتامى اذ على مال نفسه ... تربوا وعاشت من يديه الاراملُ

وناح عليه الفضل فهو مجاهدٌ ... به ولأهليه وعنهم مُناضلُ

وجامعة الاداب مثلي حزينةٌ ... لفرقته والصالحاتُ ثواكلُ

---

(١) اشارة الى الرتبة الثانية المتمايزة التي احسن عليه بها جلالة السلطان الاعظم أيده الله

على انهُ ما ذاق موتاً وانما الى حيث عيسى كاهن الله راحل
بروحي افدي محملاً ضم هيكلاً لطيفاً بندب شيعته القبائلُ
جماهيرُ لا يحصيهم عقلُ حاسب كأنهم آثارهُ والفضائلُ
وكلٌّ تمنَّى الحمل فيه لانهُ غيورٌ وهمٌ الكل يا قوم حاملُ
ودارت رجالُ الفضل من حوله فهو ذكاءٌ وافلاك السماء الافاضلُ
ينادون ليت القلب قبرٌ له فذا بلقاه انواعَ السعادة نائلُ
وصلوا عليه والشموعُ قلوبهم وقالوا المراثي والدموعُ هواطلُ
ونادى لسان الحال لا لوم ان تكن بكيتَ دماً فالصخرُ كالدمع سائل
وخطَّت يد التاريخ والحزن بعده حياتُكَ قبضُ الريح والكلُّ باطلُ
١٠٢ (٨١) ٤٣٩ (٩٠٢)٢٤٩(٨٧) ٤٢
سنة ١٩٠٢

«وقال قدس الاب الفاضل والعالم العامل الخوري الكسيوس زمكحل احد اساتذة الكلية الشرقية بزحلة مؤرِّخاً»

حمصُ تنعي القومَ عن قلبٍ كليمْ اذ دهى أَربُعَها خطبٌ جسيمْ
خرَّ طودٌ من اعاليها وقد ضجَّ افق الشرق للرزء العميمْ
سدلت من جزَعٍ شعراً لها لونهُ يروي عن الليل البهيمْ
وانبرت تلطم خدّاً قد جرى في مطاوي صفحهِ الدرُّ النظيمْ
أخذت ترقص لكن رقصةَ الـ ـطير مذبوحاً من الحزن الاليمْ
ثم قالت أرِّخوهُ قمرٌ غاب عن عيني سليمٰن الحكيمْ
٢٤٠ ١٠٢ (١٢٠) ١٤٠ (١٩٠) ١٠٩
سنة ١٩٠٢

«وقال حضرة المحامي الشهير والعالم النحرير عزتلو نجيب بك هواويني مدرّس اللغة العثمانية والحقوق والخطوط في الكلية الشرقية بزحلة»:

تبكي سليمانَ اخلاقٌ له اشتهرت ... بين الانام وقد طابت بها السيَرُ

شيخٌ له في ربوع الفضل غرسُ يدٍ ... بيضاءَ تشكرها الادهارُ والعصرُ

قضى ثمانين عاماً ساعياً ابداً ... في الخير والبرّ مما ليس ينحصرُ

وكان مضطلعاً في الطبِّ يبذلهُ ... الى الفقير لأجر اللهِ يذخرُ

وكان مقدامَ ارباب النظام له ... في خدمة الدولة الآثار والغررُ

وكان مشتهراً في صدق خدمته ... عفّاً كريماً بثوب الفضل يأتزرُ

لذا قلوبُ الورى في حبهِ استعرت ... كما بحبهم قد راح يستعرُ

سقى الالهُ بهتّان الرضى جدثاً ... حواه اذ ضمّنهُ الاصداف والدررُ

وصان أُسرتهُ في العزّ ما طلعت ... شمسُ العلى او بدا في افقنا قمرُ

«وقال حضرة العالم العامل والشاعر الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس البيان والفصاحة في الكلية الشرقية في زحلة»

الموتُ حكمٌ لم يكن مردودا ... والطبُّ فنٌّ لن يزال مفيدا

من عهد بقراطٍ الى أيامنا ... نال ارتقاءً زائداً مشهودا

في كل يومٍ منه نلقى آيةً ... عقدت لنجح الباحثين بنودا

فقديمهُ بالكيّ والفصد اغتدى ... زمناً طويلاً رفده مرفودا

والمصلُ والتلقيحُ اسُّ حديثهِ ... ولربما نالوا به المقصودا

فنُّ الجراحة في اشعة رنتجن ... كشف الخفايا اضلعاً وكبودا

شقّوا الحشا واستأصلوا ما استأصلوا ... وبإبرة خاطوا معىً وجلودا

كم من عظام قطّعوا نشراً وكم ... ربطوا شرايينا لنا ووريدا

هذي عجائبه ابانت قدرة الـ ... إنسان في دفع المصاب شديدا

لكنّ هذا النجح لم يك دافعاً ... عنّا المنيّة سيداً ومسودا

لو كان فنّ الطبّ يدفع داءنا ... لوفى سليمان الحكيم عهودا

هذا الحكيم طبيبنا قد ذاع في ... فضل اتاه طارفاً وتليدا

هذا طبيب نفوسنا وجسومنا ... هذا ابن عيسى ذاع فينا جودا

نثر المعاني من بديع بيانه ... دررًا باذن السامعين نضيدا

ذو نعمة جلّت ويعجبني بها ... ان المنعم لم يكن محسودا

قبل المصائب في البنين تجلدا ... والمرء من لقي المصاب جليدا

خدم الديانة والحكومة خدمة ... قد جل فيها رأيه تسديدا

ان الحكومة كافأت اعماله ... لا زال مولاها المليك حميدا

وكذاك باريه اعدّ له الهنا ... ليدوم في دار البقاء سعيدا

فرجاؤنا بسعادة الاخرى غدا ... للمؤمنين محققاً ووطيدا

فالموت في الايمان يحسب راحة ... يضفي علينا سترها ممدودا

والعيش في الدنيا اقتناء مآثر ... تذكارها الباقي يدوم جديدا

«وقال مؤرخاً»

هذا سليمان بن عيسى قد قضى ... اذ لم يجد في دائه من منقذ

تذكاره المشهور ينشر فضله ... وهو الذي ذاق الهنا بتلذذ

فأجاد في تاريخه لي راويا ... «ذهب المداوي والمداوى والذي»

٤٠ (٢١٨) ٧٠٧ (٩٢) ٩٨ (٧٤٧)

سنة ١٩٠٢

« وقال حضرة الاديب البارع الياس افندي ميخائيل اليازجي
احد طلبة الفصاحة والبيان في الكلية الشرقية في زحلة »

أيُّ طودٍ قد زعزعته الخطوبُ أيُّ شمس طيَّ التراب تغيبُ
حجبت ايدي النائبات لها ضو — ءًا فباتت به القلوبُ تذوبُ
اخمد الموتُ نارَها فغدت في لحظةٍ رمةً وذاك عجيبُ
أظلم الجوُّ واكفهرَّت نجومٌ وكذا الارض قد عراها وجيبُ
أسليمانُ مات ام شُهُبٌ قد سقطت ام صواعقٌ ام نحيبُ
ما رأت حمص مثل ذا اليوم كلا في سليمان فهو يوم رهيبُ
يوم حزنٍ اجرى المدامع نهرًا يوم نعيٍ شُقَّت عليه قلوبُ
فقدت لما إن قضيتَ هماماً بعده بات عيشها لا يطيبُ
لبست ثوب الحزنِ والصفوُ قد با — ت طريدًا عنها وليس يؤوبُ
بئست الدار دارنا ليس ترعى عهد شهمٍ هو الاريب الحبيبُ
تطلع الشمس في الصباح ولكن لا نرجِّي ان يلتقينا غروبُ
ليس للناس بعد خطبك برءٌ من سقامٍ اذ عرتها خطوبُ
من يداوي اسقامها يا طبيباً بعدك اليوم في الملا من ينوبُ
مَن يُجيب النداءَ بعدك ام من لليتامى وقت السقام طبيبُ
ملأ الجوَّ صوتهم وجرت أد — معهم ان بؤسهم لقريبُ
قم وعالجْ ادواءهم يا نجيباً ما لك اليوم لليدا لا تجيبُ
رحماتُ الله الكريم على قبرٍ — ثوى فيه شخصك المحبوبُ
قد جعلنا لك الفؤاد مقرًّا ولأنت المعظَّم المحجوبُ
كنتَ غيثاً اذا دعاك فقيرٌ فعليك الغيثُ المغيث سكوبُ
سِرْ الى من دعاكَ انك اهلٌ لحماهُ فانت فينا غريبُ

« وقال حضرة الاديب البارع يوسف افندي نعمان البريدي تلميذ الفصاحة والبيان في الكلية الشرقية بزحلة »

ذهب المداوي والمداوى والذي جلب الدواء و باعه ومن اشترى

اليوم نزل من سماء الفضل بدر كامل . اليوم اناخ الدهر بكلكله على أسرة الخوري عيسى الكريمة . اليوم يحق للايتام ان تندب وتنوح على الرجل الكريم مَن كان يُداوي النفس بعلمه والجسد بطبه . اليوم يجدر بكِ ايتها الأُسرة الحزينة ان تتوشحي الحداد . واليوم يحق للطب ان يرثي فقيده بدم الفؤاد . أوّاه يا لك من دهر خؤون هل ضاقت بك الحال حتى اتيت هذا الشهم الكريم والنطاسي البارع - ام لعلمك انه لا يضن بشيء مهما كلفه حتى ولو بنفسه . ام تراك مولعاً بهدم عز الكرام ؟ ؟ ؟

نفذ القضاء بقدرة المتعالي فارثوا الكريم بدمع همّالِ
بالامس كان الحي فيه حاليا والحيُّ في ذا اليوم منه خالِ
ما هذه الدنيا الدنيئة انها طبعت على لؤم وفصل وصالِ
ترني الانام بقوسها وبسهمها وهي التي لا ترتمي بنبالِ
فجعت بني الخوري باكرم سيدٍ قد كان مولى الفضل والاجلالِ
مَن كان يحسب ان بدرًا كاملاً يهوي ويهبط من سماء معالي
لكن هي الايامُ تغدر بالفتى فتريه كيف مصيره لزوالِ
يا من مضى عنا واودع صدرنا حزنًا يدوم على مدى الاجيالِ
تبكيك كل الناس يا علم الهدى تبكيك آلاف من الابطالِ
يبكي العليلُ طبيبَهُ وكذا الفقير معينهُ وكذا جميع رجالِ
فقدت بفقدك حص اثمن جوهر تُزرى لديه جواهرُ اللآلِ
ذهب الذي خدم المواطن بيننا بصداقةٍ وامانةٍ وكمالِ
مات الذي نفع الانام بعلمهِ وسطت عليه بواعث الآجالِ

هذا الذي كان الفخارُ لباسهُ ... قد بات في كفنٍ عليه بالِ
لما راى بطلان دنيانا مضى ... حتى يلبّيَ دعوة المتعالي
ان كان من دار المتاعب قد مضى ... ففعالهُ مرصونةٌ بلا بلــ ـلِ
صبرًا بني الخوري عليهِ فانهُ ... قد مات وهو الحيُّ بالافعالِ
ليس الذي فقد الحياة بميّتٍ ... ما الميتُ إلاَّ فاقدُ الاعمالِ

«وقال حضرة الاديب البارع ألبر افندي امين كفوري
احد طلبة الفصاحة في الكلية الشرقية بزحلة»

قد كلَّ من شكوى الزمان لساني ... وغدا الفؤاد مؤالف الاحزانِ
دهرٌ يريش سهامهُ فيصيب من ... في مثلهِ بخل الزمان بثانِ
دهرٌ خؤونٌ غادرٌ من شانهِ ... غدرُ الكرام ونقض عهد امانِ
في كل يوم من فوادح امرهِ ... خطبٌ جسيم مذهلُ الاذهانِ
والخطب يعظم كلما عظم الفتى ... بمكانةٍ عليا ورفعة شانِ
واليوم قد عظم البلآء لفقدنا ... شهمًا كريمًا معدنَ الاحسانِ
من في الفصاحة والسماحة والحجى ... والطبّ اجمع حاز سبق رهانِ
من كان للفقرآء عونًا عاضدًا ... وعلى اليتيم ابًا بفرط حنانِ
فلقد رماه بسهمهِ عن قوسهِ ... دهرٌ اصاب فؤادهُ بسنانِ
فقضى سليمانٌ وخلّف حسرةً ... للطبّ يندبهُ مدى الازمانِ
لا عذرَ للعين التي لم تسكب ا ... لدمع السخين دمًا من الاجفانِ
فبموتهِ الصبر الجميل قد انقضى ... والحزن عمَّ بعيدنا والداني
صبرًا بني الخوري فان مصابكم ... خطبٌ اذاب القلب بالاشجانِ

« وقال حضرة الاديب البارع شاهين افندى ابرهيم المعلوف احد تلامذة الكلية المذكورة »

لا تعجبنَّ من الدهر الخؤون اذا ... ألمَّ فيك فمن عاداته الالمُ
يعطيك ان شاء نزرًا من حلاوته ... ومرّه داخل الاحشاء يضطرمُ
هو الزمان ابو الحدثان من قدم ... ما زال يضرب في صخر فيحتطمُ
لله يوم ببحر الحزن اغرقنا ... امواجهُ الهمُّ والاجسام تلتطمُ
قد غال شهمًا طبيبًا عالمًا ورعًا ... كانت لطلعته الايام تبتسمُ
في موته دُكَّت الآمال واندرست ... اركانها واعترانا الهمُّ والسقمُ
كم من فوائد للمسكين شيَّدها ... تقرُّ فيها كبار الناس والخدمُ
فالخير يندبهُ والعلم يذكرهُ ... والطب يبكيه والاحسان والكرمُ
لا بدع ان مُزِقت في فقده كبدٌ ... في موته دُكَّت الافضال والنعمُ
فالخطب مرٌّ وفقد الشهم صدَّعنا ... وانما دمعنا في عيننا عنمُ
لا غرو ان عمَّنا في الحزن اجمعنا ... فالخطب في مثله لا شك يلتثمُ
ولو ظللنا مدى الاعوام ندبه ... لم نوفِ حقًا له بل يعجز القلمُ
صبرًا ذويه فان الله شاءَ كذا ... وهل لما قدر الرحمنُ منصرمُ
فالله يلهمكم صبرًا ويعضدكم ... في ذا المصاب الذي اهتزَّت له الاممُ

وقال حضرة الاديب النشيط توفيق افندي الحلاَّل احد تلامذة المدرسة الارثوذكسية بحمص »

لله ما هذا المصابُ فقد قضى ... علم الكمال وعمدة الحكماءِ
فغدت مدينتنا بحزن دائم ... بعد الطبيب الثاقب الآراءِ
اعني سليمانَ الحكيمَ الفردَ من ... أربت فضائلهُ على الاحصاءِ

قد كان برًّا فاضلاً ذا حكمة ذا غيرةٍ وابًا لذي البأساء
فاصابنا الدهر الخؤون بفقده تبًّا له دهر بدون وفاء
فقدت محافلنا به ذا فكرة وقادة وعزيمة شماء
وكذا المدارس في معززها القد نجعت ورافع شانها لعلاء
والملة الغراء قد رزئت بخادمها — الامين وذي اليد البيضاء
والدولة العلياء قد خسرت نزيها — صادقًا بالقول والإجراء
والطب قد اضحى يتيماً بعده اذ كان فيه فائقاً بذكاء
«عمت فواضله فعم مصابه» وتاسفته سائر الانحاء
لكنه اذ لم يكن بيكائنا ننع لمن ساروا عن الغبراء
والمرء مهما عاش في هذي الدنى لا بد ما يمضي لدار بقاء
فتجلدوا يا آل خوري واصبروا فالصبر في الضراء خير دواء
ففقيد كم افنى الحياة بخدمة ا— باري و بالاحسان للفقراء
ولذاك بالفردوس اضحى ثاويًا ومتمعًا بمسرة وهناء
وكذاك من يحيا تقيًا فاضلاً يجزى من الرحمان خير جزاء

«وقال حضرة الاديب النشيط عبد الكريم افندي حداد احد تلامذة المدرسة الارثوذكسية بحمص»

اليوم قد ناحت بنو حمص على ركن الفضائل والمحامد والعلا
ناحت وحق لها النواح لانها فقدت به ركنًا جليلاً افضلا
اعني به المولى سليمان الذي بسمو حكمته تسامى واعتلى
فهو الهمام الحازم البر الذي اشتهرت مآثر فضله بين الملا
وهو الطبيب الحاذق الفطن الذي قد حاز بالطب المقام الاولا
وهو السياسي الذي بذكائه كم حل امرًا كان صعبًا معضلا

هــو بحر علم زاخرٌ لكنه قد كان للوُرّاد يحلو منهلا
قد كان نبراس الفضائل والتقى بدر المهابة والجلال الاكملا
ركن العدالة والنزاهة والندى رب الكرامة والمهابة والولا
وهو الذي من جود دولتنا غدا بطارف المجد الرفيع مسربلا
افضاله الغرّآء قد ابقت له ذكرًا يدوم مع الزمان مبجلا
قد كان في نهج الصلاح مسيره ولذاك سار الى العلا متهللا
وهناك نال من المهيمن نعمة وغدا باكليل البهآء مكللا
فتصبروا يا اسرة الخوري ولا تبكوا فان الصبر اجدر في البلا
والله اسأل ان يمنّ عليكمُ بأجلّ تعزية وصبر اجملا

« وقال حضرة الاديب النشيط رفيق افندي رزق
احد تلامذة المدرسة المذكورة

يا آل حمص ويا رفاقي ابكوا على شخص العلى بالمدمــع المسكوبِ
واذروا الدموع دماً على ركن الفضا — ئل والتقى والعلم والتهذيبِ
اعني سليمان الحكيم وصاحب ا — لقدر العظيم وعمدة التطبيبِ
قد كان مصباح الكمال ومصدر ا — لاصلاح والتدبير والتدريبِ
قد كان ذخرًا عنــد كلّ ملمّةٍ وأجلّ عون في اشدّ خطوبِ
هل من فؤاد لم يذب لفراقهِ ام من عيون لم تجد بنحيبِ
بالله يا قبرًا ثوى بـدر العلى بثراه تِهْ وافخرْ بخير مهيبِ
هذا الذي صرف الحياة بخدمة الـــه القدير ونفعه لقريبِ
فليهنَ اذ كلّ امرىء يحيا كذا يلقى بدار الخلد خير نصيبِ
فدعوا بني الخوري البكا وتصبروا فالصبر في الاحزان خير طبيبِ

ففقيدكم قد حلَّ في دار العلى | وغدا يفوز بغاية المرغوبِ

« وقال احد الشعراء الادباء بلسان حضرة الفاضل راغب افندي قزما احد انسباء الفقيد في طنطا »

الا يا عين بالعبرات جودي | على مَنْ عزَّ في هذا الوجودِ
ويا قلبي تقطّع كلَّ وقت | على بحر الندى العذب الورودِ
ويا دنيا السلام عليك اني | رغبت عن القيام او القعود
وكيف يطيب عيش بعد شهمٍ | كريم الوالدين مع الجدودِ
وكيف يضمُّ قبرٌ بدرَ تم | ويحجب ضوءهُ قاع اللحود
سليمان العلى الخوري الذي قد | رقى العليا على رغم الحسودِ
لقد فقدت به الاحكام عضوا | مهمًا فاق بالرأي السديدِ
وقد كانت له العُليا مقاما | عليه السعد خفاق البنودِ
وامطرت السماء بكا عليه | وصوت شهيقها صوت الرعودِ
على بطلٍ كريم من يديه | جرت ابحار احسان وجودِ
وما وعد الانام بفعل خير | لهم الاَّ وفاهم بالوعودِ
اذا ما اشكلت فينا أُمورٌ | وزاد الخطب عن حدّ الحدودِ
يفرّجها سليمانٌ بفكرٍ | قويم كان يزهو في وفودِ
فوا أسفي عليه كل آن | ويا لهفي على الرجل الودودِ
ودودٌ في محياهُ ابتسام | وحاشا ان يعامل بالصدودِ
كريم الراحتين ومن حماهُ | ضياء الفضل يظهر للوفودِ
فكم حيا الضيوف بطول ليل | اذا ما الحيّ عنهم في رقودِ
واني (راغبٌ قزما) شجاني | واوقعني التأسف في قيودِ
وكيف اقول ان عزيت صبرًا | ولستُ على المصيبة بالجليدِ

وغاية ما اقول سعى المفدّى — سليمان الى دار السعودِ
فيا كل الانام ابكوا ونوحوا — على مَن عزَّ في هذا الوجودِ

«وقال حضرة الاديب المعلم سليمان افندي الحلو في صافيتا»

الموت في نقد الكرام خبيرُ — وله بسلب الاكرمين سرورُ
جوّال عينٍ في ربوعِ أماثلٍ — وبرشق سهم الفادحات قديرُ
كم باد من قوم وحطّم عزهم — لم يجدِ نفعاً ذخرهم ومشيرُ
اين الاولى شادوا القلاع وحصّنوا — اين الوزير الفاتح المنصورُ
اين الملوك واين قوة بأسهم — اين الخطيب المصقع المشهورُ
اين الرئيس واين سيف جهاده — اين الكريم وذو السخا الموفورُ
اين الطبيب واين فعل علاجهِ — عن رد سهمك يا منون صغيرُ
كلٌّ غدا طيّ التراب ممدداً — والموت نقّادٌ لهم ودُمورُ
شلت يداه ما امرّ فعالهُ — منها الشقا والحزن والتكديرُ
قد ام حمصاً حيث فخر كرامها — ذاك الطبيبُ الحاذق المبرورُ
ربّ التقى والنبل والحبّ النقي — باهي الصفات على الصفا مفطورُ
فالقلب يحييه ويندب شخصه — والفضل ينحب والذكاء يثورُ
اما اليراع فدمعهُ كسخائهِ — يجري كسيل في العطاء غزيرُ
وكذاك أوطانٌ وشمل اكارمٍ — فدموعهم تكوى بهن نحورُ
خطب ثقيل قد ألمّ بربعهم — رزءٌ جسيم والفقيد خطيرُ
فيه تمزّقت القلوب وامهرت — والارض من هول المصاب تمورُ
تبكي الفصاحة ربها وإمامها — وشهودها الاقلام والتحريرُ
تبكي الكرامة راسها وشهودُها — جمع من القوم الكرام غفيرُ
تبكي النزاهة فخرها ومثالها — وشهودها الحكّامُ والتخبيرُ

تبكي الشهامة ركنها وحليفها … وشهودها الكتاب والتحبير
يبكي ابن عيسى كل شخص عيسوي … وبقلب كل مواطن مذكور
تبكي سليمان الحكيم مآثر … تذكارها طول المدى منشور
ان البلاد لفقده تبكي دماً … واحزنها ان الفقيد امير
فابكيه يا خير الصفات ورددي … تذكاره الميمون فهو عبير
لميت قبر واحد وفقيدنا … في قلب كل مواطن مقبور
ما زال حياً بالفعال مكرماً … الفاظه الانصاف والتدبير
لا زلت يا ذكر الفقيد مكرماً … ما دام بدر في السماء ينير
وافخر بضيفك يا ضريح فطالما … فيه نواد فاخرت وقصور
اني بوصفك يا فقيد لعاجز … اضناني التأثير والتقصير
صبر الهي آله وبلاده … منك العزا هب اذ اليك نسير
وبنعل روحك عز قلب صديقنا … شبل الفقيد (الكامل) النحرير
ان الفقيد بدار خلد ماكث … من بر فاديه له التبرير

—

« وقال جامع هذا الكتاب » :

قفا نبك نبراس الفضائل والطهر … قفا نبك اركون الفواضل والبر
وقفا نرث شخص العلم والحلم والحجى … وشيخ الأطبا البارعين بذا القطر
وقفا نرث بحر المكرمات وبدرها … وعين التقى والنبل والشيم الغر
قفا نذرف الدمع السخين دماً على الـ … ـوجيه النزيه المنصف الحكم الحر
قفا نبك معوان العفاة وموئل الـ … ـمؤمل في اللاواء والعسر واليسر
هو الفيلسوف الذائع الصيت في الملا … ومن قدره السامي يطول على الزهر
هو الوطني الأريحي المكمل الـ … ـصفات (سليمان الحكيم) ابو الفخر
نصير الضعاف في النوازل كافل الـ … ـأرامل والايتام ذخر ذوي الفقر

همامٌ عظيمُ الجاهِ سحّت لفقدهِ ... عيونُ رجالِ الفضلِ بالادمعِ الحُمرِ
وناح عليهِ الجِد والمجدُ والجدا ... بدمعٍ غزيرٍ كالبحور غدا يجري
وحمص بكت مفضالها وعظيمها ... كذلك سوريّا الأسيفةُ مع مصرِ
وناح سراةُ العصرِ في كلِّ موطنٍ ... على سيدٍ قد كان نابغة العصرِ
على سيدٍ سامي الذرى متواضعٍ ... خلا مع علوّ القدر عن وصمةِ الكبرِ
ودولتنا العلياءُ قد خسرت به ... اميناً نزيهاً صادقَ القول والفكرِ
ولا غروَ في هذا فقد كان حازماً ... غيوراً بعيدَ الصيتِ في البحرِ والبرِّ
سريّاً سياسيّاً شهيراً محنّكاً ... تقيّاً نقيّاً قد تنزّهَ عن نظرِ
وقد كان مشهوراً بحُسنِ فضائلٍ ... حكى عرفُها الذاكي شذا روضةِ الزهرِ
وكان نطاسياً خبيراً مجرّباً ... كم انتاش مرضى مدنفين من الضرّ (١)
لطيفاً اذا لم ينجعِ الطبُّ والدّوا ... فرقيتهُ تشفي السقامَ من الضرّ (٢)
وكم شاد للعلمِ الصحيحِ معاهداً ... بناها من الحقِّ اليقينِ على صخرِ
وكم زانَ للدينِ القويمِ كنائساً ... بحُسنِ مساعيهِ وإحسانه الوفرِ
وكم هذّبَ الأخلاقَ زاجرُ وعظه ... وكم قرّطَ الأسماعَ منطقهُ الدُرّي
وكم حلّ أشكالاً وجلّى غوامضاً ... بثاقبِ آراءٍ كصمصامةٍ يفري
وكم خدمَ الأوطانَ اصدقَ خدمةٍ ... فكان مثالَ الصدقِ في السرِّ والجهرِ
فكافأهُ السلطانُ ايدهُ العلي ... على الخدماتِ الغرِّ بالرُتبِ الزُهرِ
وغيرتهُ الحرّى على خيرِ غيرهِ ... ادامت لهُ بين الورى عطرَ الذكرِ
فلا عذرَ للعينِ التي ما تقرّحت ... بكاءً على العلامةِ الباذخِ القدرِ
ولا عذرَ للقلبِ الذي لم يذبْ اسىً ... على رَجُلِ الإحسانِ والرِفدِ والجبرِ
على رَجُلِ المعروفِ واللُطفِ والتُقى ... على رَجُلِ الإقدامِ والحزمِ والخُبرِ

---

(١) الشدة (٢) المرض والهزال

فيا ربِّ أسكنه سماواتك العلى وألبسه إكليل السعادة والنصرِ
وهب نعمة الروح المعزي لآله ال م كرام وآزرهم إلهي بالصبرِ
ويا آله صبراً فطوبى لمن غدا جليداً على البلوى صبوراً على الدهرِ [1]
نعم إنَّ خطباً قد عراكم مبرِّحٌ يقلُّ به شقُّ الفؤاد مع الصدرِ
ولكنَّ خدن الصبر في الرزء ظافرٌ ومكتسبٌ من ربه أعظم الأجرِ
وحسبكمُ من قد فقدتم نموذجاً بحسن الرجا والصبر في فادح الأمرِ
وإنَّ لنا ملء الرجاء بأنه غدا في جنان الخلد يرفل بالبِشرِ
نعم قد مضى الشهم ابن عيسى إلى السما ليلقى بها عيسى ويظفرَ بالزُّهرِ [2]
قضى ومضى لكنَّ غرَّ صفاته وآثاره دوماً ستعبق كالنشرِ
ويبقى له ذكرٌ حميدٌ مخلَّدٌ وذكر التقيّ الصدّيق يبقى مدى الدهرِ

تمّت المراثي



---

(١) النازلة (٢) الوطر

الباب السادس

تمثال الفقيد

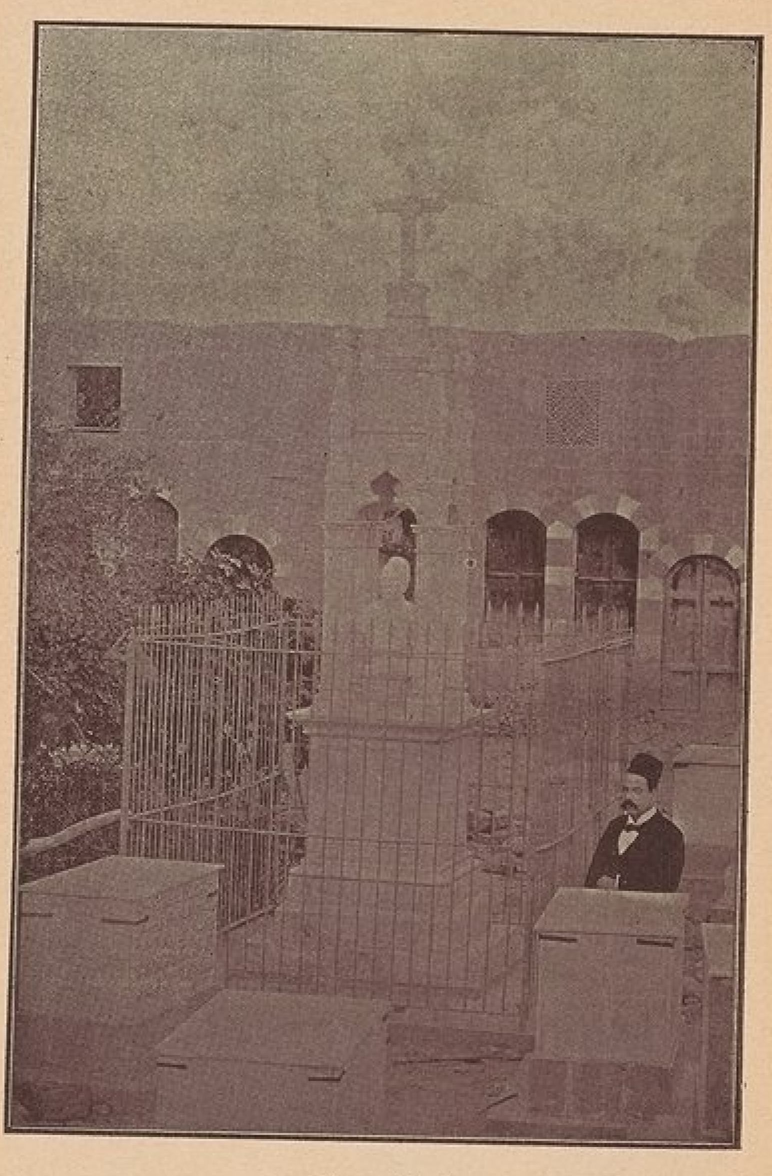
الفصل الاول

توطئة تاريخية

بعد وفاة فقيد الوطن المثلث الرحمة بمدة قصيرة رأى بعض وجهاء الطائفة الارثوذكسية وكبرائها ان معرفة الجميل تقضي بان يقام أثرٌ خالدٌ لمن خدم الوطن والطائفة خدمة صادقة نادرة مثله رحمه الله يذكّر الخلف بمفاخر السلف ويحيي له الذكر العطِر والأحدوثة الطيبة. وعليهِ فقد ذهب هؤلاء الافاضل الى سيادة السيد اثناسيوس عطا الله مطران حمص وما يليها الفائق الاحترام وعرضوا لديه هذا الرأي. فاستحسنهُ سيادتهُ ووافق عليهِ واثنى على غيرة ووطنية اولئك الوجهاء. وفي الاحد الاول بعد هذا الاجتماع وعظ في كنيسة الاربعين شهيداً الكاتدرائية عظةً نفيسةً ذكر فيها الهمة والغيرة ومعرفة الجميل التي اظهرها اولئك الافاضل في سبيل تخليد

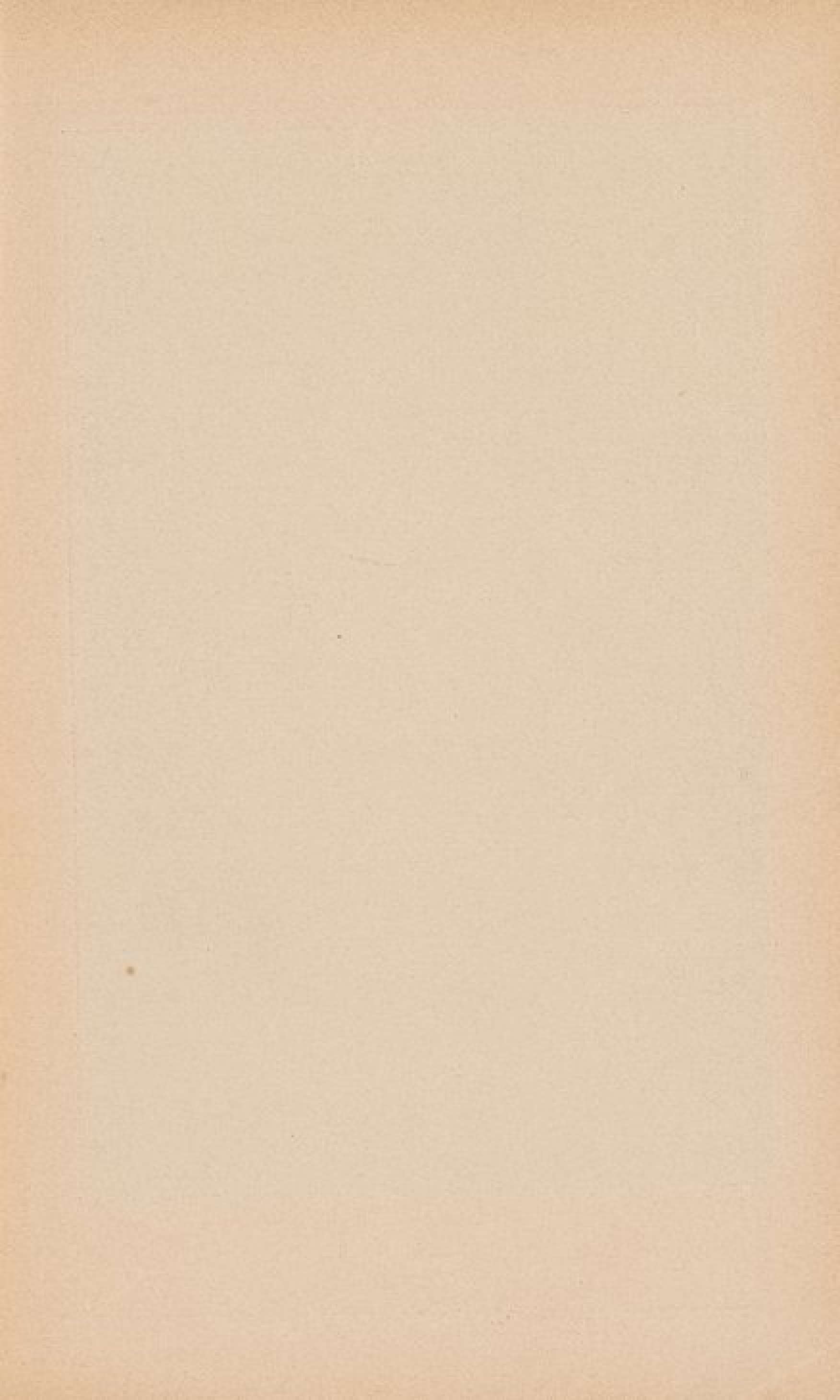






تمثال المرحوم المبرور

الدكتور سليمان الخوري عيسى الحمصي



اسم خادم الملة الامين · وحرَّض الشعب كافةً على الاقتداء بهم والاشتراك معهم بهذه المأثرة الوطنيَّة التي تحفظ للوطن الاسم الجليل · ثم عيّن لجنة من اعيان الطائفة للقيام بهذا العمل الحميد والأَثر الكريم

اما انجال الفقيد فلما رأَوا ما اظهرهُ المواطنون من الغيرة على إحياء ذكر والدهم — مما اعربوا به عن عواطف الاقرار بالفضل وعرفان الجميل — رأَوا هم ايضاً اعترافاً بجميل اولئك الفضلاء وإداءً للحقوق الابوية المقدسة والبر الوالدي أن يقوموا هم بنفقات اثر المرحوم والدهم مكتفين من مواطنيهم الكرام بتلك العواطف الشريفة · وبعد ان اشعروا اللجنة بما ارتأَوهُ قرَّروا ان يكون ذلك الأَثر تمثالاً نصفياً لوالدهم ينصبونهُ فوق ضريحهِ في مدفن كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس · فارسلوا صورتهُ الشمسيَّة الى اشهر معامل ايطاليا وهنالك حفر لهُ تمثال فائق الاتقان · وبعد تمام صنعه ووصولهِ الى حمص ونصبهِ فوق الضريح تقرَّر تعيين يوم مخصوص لرفع الستار عن ذلك الأَثر الوطني يشهدهُ افاضل الوطن ووجهاؤُهُ · فعيّن صباح الاحد الواقع في ٢٥ تموز ش و١٧ آب غ سنة ١٩٠٤ موعداً لذلك الاحتفال ووزعت رقاع الدعوة من قبل أُسرة الفقيد على اعيان الوطن ورجال الفضل والنباهة

والوجاهة ليحضروا تلك الحفلة الوطنيَّة فلبُّوا الدعوة وجرى احتفال شائق اليك وصفهُ (١)

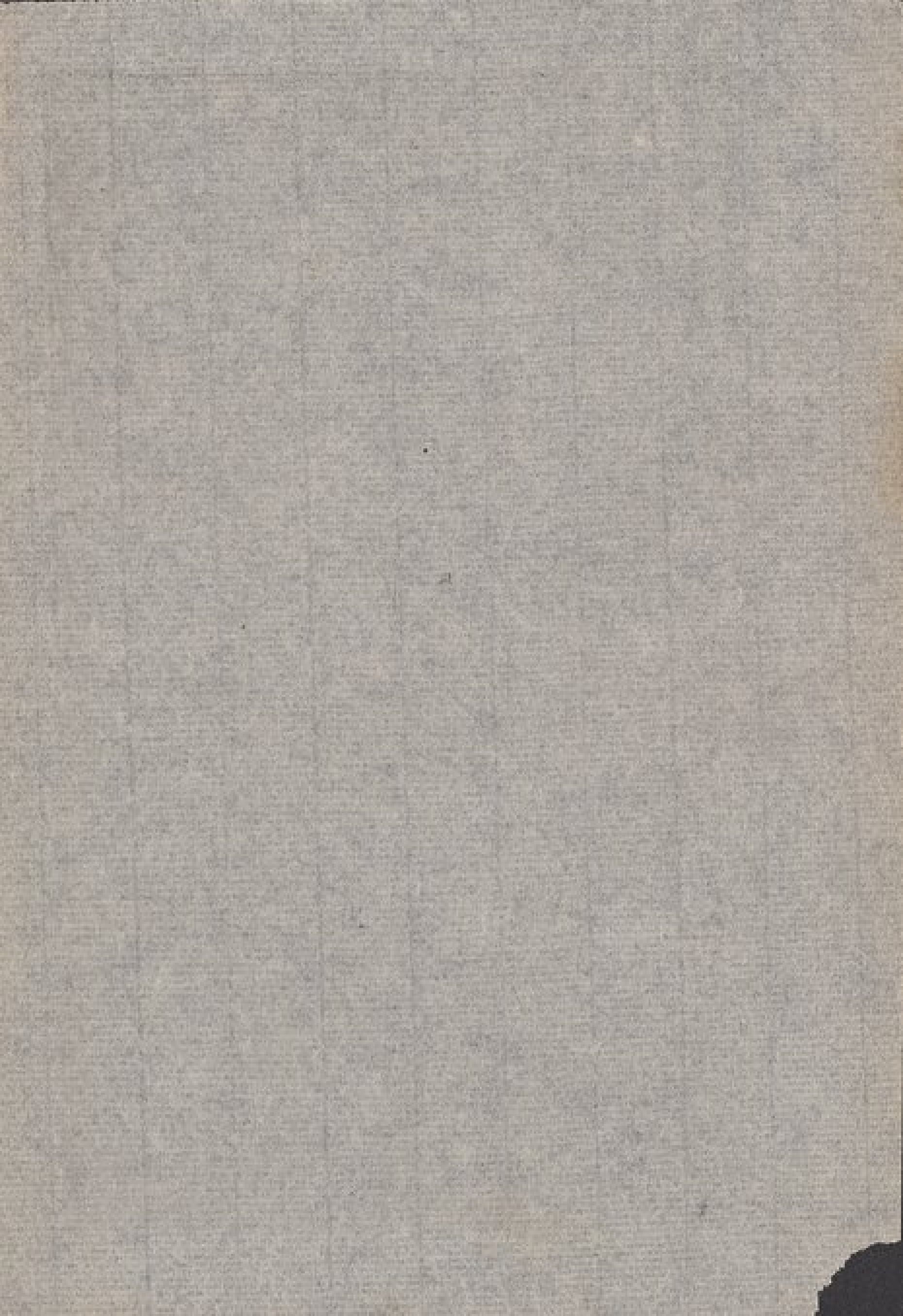
الفصل الثاني

الاحتفال بكشف التمثال

ما اشرقت غزالة يوم الاحد المعيَّن للاحتفال بكشف التمثال الا تقاطر المدعوُّون افواجاً الى كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس ليحضروا القداس الالهي ويشهدوا الاحتفال الاول في حمص — من هذا النوع — الذي يمثل عرفان الجميل ويبرهن على حياة جديدة في الأمة وشعور شريف بفضل المحسنين وتقديرهم حق قدرهم . وعند انتهاء القداس الالهي الذي تممهُ سيادة مطران

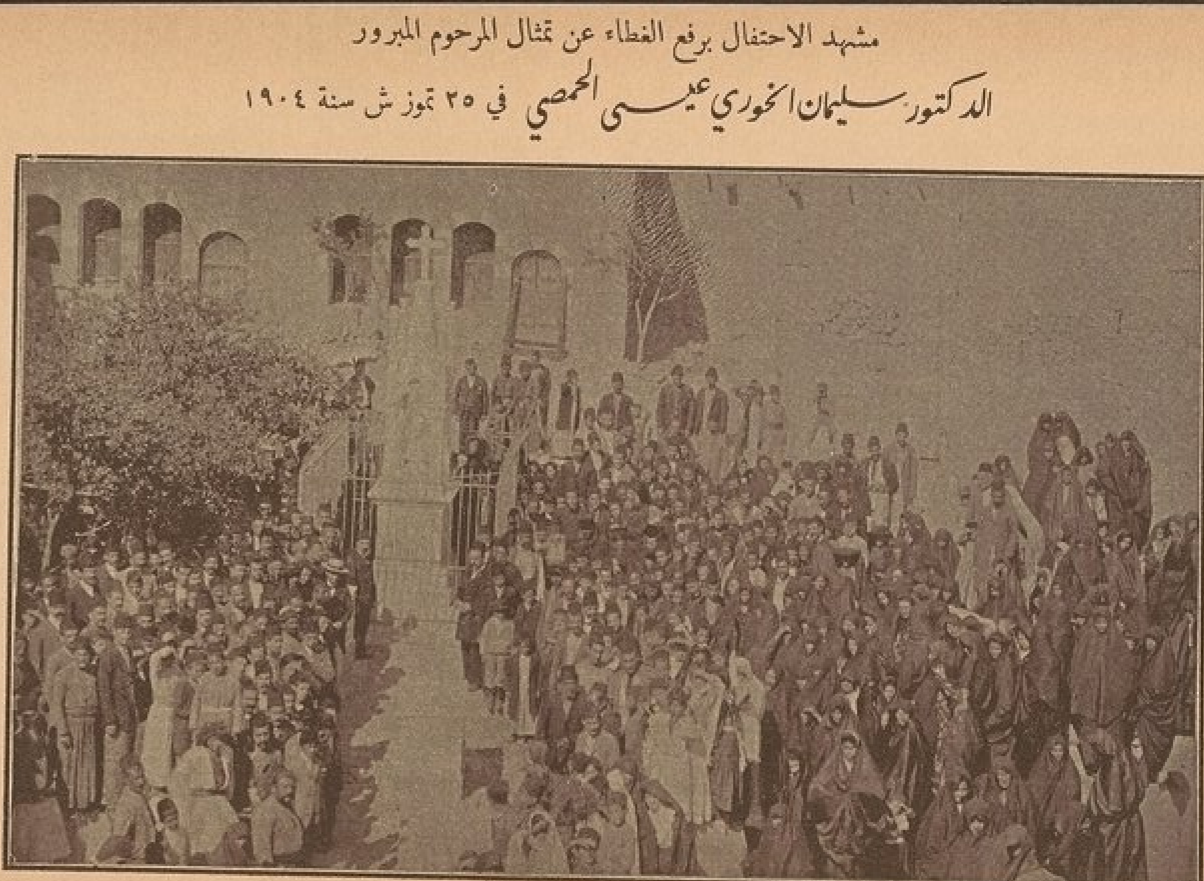
(١) قد ورد وصف هذا الاحتفال في عدة جرائد نذكرها بحسب تواريخها: لسان الحال عدد ٤٦٢٩ المؤرخ في ١٢ آب غ سنة ١٩٠٤ — الاهرام (الاسبوعي) عدد ١٩٠٣ المؤرخ في ١٩ آب غ — المحبة عدد ٢٧٤ المؤرخ في ٧ آب ش — المنار عدد ١٢ (من سنته الخامسة) المؤرخ في ٧ آب ش — النشرة الاسبوعية عدد ٢٠١٤ المؤرخ في ١ ايلول غ . وقد كان بودنا ان نثبت هذه الاقوال كلها لو لم يحل دون ذلك ضيق المقام فاكتفينا بالاشارة اليها هنا مع الثناء على اصحاب تلك الصحف الغرّاء ومكاتبيها الادباء





مشهد الاحتفال برفع الغطاء عن تمثال المرحوم المبرور

الدكتور سليمان الخوري عيسى الحمصي في ٢٥ تموز ش سنة ١٩٠٤





حمص الغيور ولفيف الاكليروس الارثوذكسي الموقرّ خرج سيادته يتبعهُ الاكليروس وسائر الشعب الى المدفن المجاور الكنيسة حيثما تمثال الفقيد منصوب على ضريحهِ · ولما وقف سيادتهُ بجانب الضريح افتتح الاحتفال بخطاب وجيز مرتجل تكلّم فيهِ على مآثر الفقيد صاحب التمثال وذكر مساعيهُ المبرورة ومناقبهُ المشكورة وبيَّن ان الغرض من اقامة هذا الأثر لهُ هو تخليد ذكرهِ وذكر فضله وجميلهِ والترحم عليه من كل ناظر اليهِ · واختتم كلماتهِ الدرّية بالثناء على غيرة انجال الفقيد ومحبتهم الحقيقية لوالدهم ومكافأتهم اياهُ على اتعابهِ في سبيلهم باقامتهم اثراً خالداً لهُ يحيي اسمهُ المجيد ما تعاقب الليل والنهار · ويبرهن على معرفة افاضل الابناء جميلَ افضل الآباء — ثم اوعز سيادتهُ الى حضرة الوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرهج ان ينوب عنهُ بكشف التمثال · فاطاع حضرتهُ الامرَ شاكراً وعمد الى التمثال فرفع عنهُ الغطاء مردّداً قول المرنم الالهي (مز ١١٢ : ٦) « الصدّيق يكون لذكر ابدي » الخ · فاذا بهِ تمثال من الرخام الابيض الناصع بديع الصنع يمثل الفقيد الكريم بما اشتهر به من الهيبة والوقار · وما حفظ لهُ في النفوس من الاحترام والاعتبار · وقد كُتب تحتهُ على صفحة الضريح هذه العبارة الفرنسيَّة :

« Ici repose »
« Feu Docteur »
« Souleiman El-Khoury Issa »
« né à Homs l'an 1830 »
« décédé le 22 octobre 1902 » (١)

ثم هذه العبارة العربية يليها التاريخ الآتي من نظم جامع هذا الكتاب :

« أثر كريم للرجل العظيم المرحوم المبرور الدكتور سليمان »
« افندي الخوري عيسى الحكيم . وُلد في حمص سنة ١٨٣٠ »
« وتوفي فيها في ٢٢ ت ١ سنة ١٩٠٢ »

« هذا سليمان الحكيم قضى وقد   أبقى لهُ في القلب رسماً دائما »
« لما مضى للخلد قلت مؤرّخاً   بشراه في الفردوس اضحى باسما »
« سنة ١٩٠٢ »

ثم وقف موقف الخطابة حضرة الاستاذ الفاضل حبيب افندي الخوري الانطاكي وقرأ بالنيابة عن حضرة رفعتلو حبيب افندي مرهج المومأ اليه خطبةً بديعةً كان قد أعدّها حضرتهُ لهذه الغاية . وعقبهُ حضرة الدكتور البارع كامل افندي لوقا فتلا خطبةً رائقةً

---

(١) وهذا تعريبها :

« هنا يرقد المرحوم الدكتور سليمان الخوري عيسى المولود في حمص سنة ١٨٣٠ والمتوفى في ٢٢ ت ١ سنة ١٩٠٢ »

وتلاهُ حضرة الاستاذ الفاضل يوسف افندي شاهين فارتجل خطبة نفيسة كان لها احسن وقع في نفوس السامعين . وعقبهُ جامع هذا الكتاب فتلا خطبةً في موضوع الاحتفال . وآخر الكل وقف موقف الخطابة حضرة الدكتور النطاسي كامل افندي الخوري نجل فقيد الوطن صاحب التمثال فشكر الحاضرين بلسانهِ ولسان أُسرة الخوري عيسى كافةً بعبارات رقيقةٍ وبعد ان رُسم ذلك المشهد الفائق بالنُّور (Photographie) انتثر عقد المحتفلين وكلهم السنةٌ مترطبةٌ بالثناء على اريحية أُسرة الفقيد . وهاتفةٌ بالدعاء الى الله تعالى ان يرحمهُ عداد مبرّاتهِ . ويهب لآلهِ من بعدهِ طول البقاء ويجعلهم خير خلف لخير سلف

الفصل الثالث

خطب الاحتفال

(١)

« خطبة حضرة الوجيه الفاضل رفعتلو حبيب افندي مرشح »

« تلاها بالنيابة عنه حضرة الاستاذ الفاضل حبيب افندي الخوري الانطاكي »

« الصدّيق يكون لذكرٍ ابديّ »

ان فخراً للانسان ينحصر في حياتهِ الارضية لوهم باطل وظل

زائل . ولكن حياةً قُضيت باعمال البر والاحسان في خدمة الله والانسان خلَّدت ذكر صاحبها واوجبت الثناء عليه . لهي الحياة الشريفة التي يصحّ فيها قول الكتاب : « الصدّيق يكون لذكر ابدي »

انا نرفع اعيننا الآن بملء الوقار الى تمثال الرجل الذي يحيا في قلوبنا ومدنيّتنا ما حَيِيَت قلوبنا وما حَيِيَت المدنيَّة . فهو حيٌّ بمبرّاته . ناطق بحسناته . وهذا التمثال الناصع البياض المرتفع في وسط المدافن الراسخ القواعد يُصوّر لنا ولو صورةً ضعيفةً طهارة حياته ونقاء سيرته وسموّ مبادئه وعزّة نفسه ورسوخ قدمه في المجد وارتفاعهُ عن اترابه . ويستحيل على الوطن ما دام يراعي حقوق الانسانية ان ينسى ما لهُ في خدمته من الايادي البيضاء والهمة العلياء

ولقد أُقيم هذا التمثال بهمة ابنائه الكرام . ورضى سيادة راعينا المفضال الهمام . وموافقة رجال الملة الفخام . وهو اول تمثال صنع في هذه المدينة وارجو ان لا يكون آخر تمثال . لان الغرض منهُ مجاراة اهالي العالم المتمدن الذين يقيمون التماثيل والانصاب للعظماء والمشاهير بينهم تخليداً لذكرهم واعترافاً بفضلهم . فيبنون محبتهم لهم ويحملون الغير على اقتفاء آثارهم كما قال الشاعر

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

فعملنا هذا اليوم هو من الاعمال المدنية . وغرضنا فيه الاقرار بفضل خادم الملة والانسانية فقيدنا العزيز فقيد الملة والوطن المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري . الذي وان مات يتكلم بعدُ . وهذا التمثال الصامت يردد مآثرهُ كلما اشرقت عليه الشمس والقمر وينشر محامدهُ كلما هبت عليه نسمات السحر . وكأني بهِ يذكرنا ان الرفعة تنشأُ عن العظمة ولا تُنشئها . وان عظمة المرء تقوم في ما هو وفي ما عمل لا في ما يملك وفي ما يدخر . وان الرفعة الحقيقية هي الابدية الحاصلة بنعمة الله ورضوانهِ . وان المجد الحقيقي هو الذي يعترف الناس بأحقيَّته لصاحبه . فلا عدم الوطن من يقتفي آثارهُ وينسج على منواله فيشترك في ثوابه عند الله والناس

نسأل الله ان يرحمه رحمةً واسعة وينفعنا وينفع الوطن بجليل خدماته ويقدّرنا على السير في آثاره . انه تعالى مقرّ المجد والعظمة اولاً وآخراً وهو حسبي واليه أُنيب

(٣)

« خطبة حضرة الدكتور النطاسي كامل افندي لوقا »

ايها السيد الجليل والسادة الكرام

اليوم نحتفل لنشاهد امرًا ما أَلفناهُ . وشيئًا ما تعودناهُ .

فقد «تعلمنا في هذه ابلاد ان نبكي على القبور — كما قال الشيخ العازر[١] — ولكننا لم نتعوّد ان نتكلم امام تمثال» . فالآن نحتفل لنرى رفع الستار عن اول تمثال في حمص يمثل المهابـة والوقار . تمثال يمثل فقيداً كريماً ووطنياً عظيماً أقامهُ لهُ انجالهُ الكرام بما لهُ عليهم من حقوق الأبوّة وصنع الجميـل . نعم لنرى تمثالاً من الرخام الابيض الأصمّ يمثل لنا علوّ الهمة وثبات الجأش وطهارة السيرة . ويعلمنا كيف تكرم الابناء الافاضل آباءها الكرام وكيف تقدّر الرجال حقّ قدرها عند بنيها المتنوّرين . ويعلمنا ايضاً ان اعظم ما يورثهُ السلف للخلف مآثر جميلة . وخدم جليلة

او لم يكن هذا التمثال اثراً خالداً ينطق بفضل الرجل العظيم والشهم الكريم اعني به وطنينا سليمان افندي الخوري الحكيم . نعم انه أثر خالد لمن (كما كتبتُ عنهُ سابقاً[٢])

«كان للوطن خادماً اميناً متفانياً في حب وطنه وملته ودولته التي قضى العمر بخدمتها خدمة نزيهةً صادقــةً بالعدل والاستقامة . . . كان رحمه الله رب القلم . وصاحب البند والعلَم .

(١) انظر كتاب حياة الدكتور كرنيليوس ڤانديك تأليف الدكتور النطاسي عزتلو اسكندر بك البارودي صفحة ٢٤٢

(٢) راجع صفحة ١٧٢ و١٧٣ من هذا الكتاب

متضلعاً من العلوم والمعارف الادبية والفلسفية والطبية . حائزاً افضل ما تتزين به الصفات الانسانية . وديع الجانب قويم المبدإِ شريف النفس يرغب في المجد الحقيقي المؤسس على الفضائل السامية الادبية . جمع في صدره كثيراً من الاقوال الحكمية التي كان رحمه الله يلقيها في القوم لانارة الاذهان واظهار الحقيقة . سياسياً محنكاً مع خبرةٍ وروية يحترم الكبير . ويراعي الصغير . اذا قال فعل ثابت القدم مهيباً وقوراً . يحتقر المال وسعة العيش بطريق الظلم والخسة والدناءة . ويفضل العيشة البسيطة الشريفة بطريق الحق والعدل والامانة . يحافظ على اعلاء مركزه الاجتماعي بالاجتهاد والثبات . وعمل الخير والاحسان واتمام الواجبات » اه

نخليق بمن كانت صفاتهُ كصفات هذا الفقيد الكريم ان يقيم لهُ ابناؤهُ تمثالاً يثبت ما شاء الله ويذكر مواطنيه في كل نظرةٍ اليه بل في كل لمحة طرف ان حياة المرء حسناتهُ وانه يحق لهم ان يحفظوا لهُ تذكاراً مؤبداً مطبوعاً على صفحات افئدتهم لا يُنسى ما دامت معرفة الجميل من فروض الانسانية

سادتي : هذا ما اراهُ والكمال لله . فقليلون هم الرجال العظام الذين ينالون من الفضل نصيباً كبيراً ولا يكونون هدفاً لسهام الانتقاد . وقليلون هم الذين يصبرون على كوارث الايام

ولا يتقلقلون لعواصف البلايا ونوائب الزمان · فكلنا يعلم ان صاحب هذا التمثال قد نال ما ناله بجدّه وثباته وذكائه وقوة ارادته بالرغم عن المصاعب والمتاعب التي تخللت حوادث حياته فحفظ بذلك مركزهُ السامي ومقامهُ الرفيع في هذا الوطن فحقّ لنا ان نقدّرهُ قدرهُ · ونجلّ اسمهُ · ونستمطر جميعاً غيوث الرحمة والرضوان · على فقيد الوطن العظيم «سليمان»

(٣)

«شذرات من الخطبة التي ارتجلها حضرة العالم العامل والاستاذ الفاضل يوسف افندي شاهين

وجوهٌ يعلوها الخشوع والكآبة — عيون تتلألأ بدموع الحزن والاسف — أنّاتٌ تتصاعد من اعماق القلوب — مشهد يحرّك في الافئدة عوامل الاسى — تذكار يؤجج في الاحشاء نار الالتياع

ماذا نرى سادتي في هذا المشهد ؟ · نرى رُخامى[1] تمثّل لابصارنا رجل النبل والكرامه · وانسان عين الفضل والشهامة — رخامى معرّضةً للتلف والفقدان · تمثل ذاك الذي طبع رسمهُ على صفحات القلوب فهو باقٍ على ممرّ الزمان

---

(١) قطعة من الرخام

قد مثّلوك ايها الرجل العظيم اعترافاً بفضلك · وحفظاً لطيّب ذكرك · لكنّ اياديك البيضاء قد نصبت لك على هام الزمان تمثالاً من الفخر · وافعالك الغرّاء قد رسمت لك في كل قلبٍ مثالاً من المحبة والشكر

فعليك رحمة الله ما بقيت آثارك الحميدة · وما لمعت على جبين الدهر انوار افعالك المجيدة

(٩)

« خطبة جامع هذا الكتاب [1] »

علوٌّ في الحياة وفي المماتِ لحقٌّ تلك احدى المعجزاتِ

معرفة الجميل ايها السادة هي العاطفة الشريفة التي غرسها الله في قلوب البشر ليشعروا باحسان المحسن اليهم ويترجموا عن حاساتهم الشكريّة نحو من يتحمل المشاقّ والانصاب في سبيل خدمتهم · وعليه فلا عجب اذا شهدناكم في هذا اليوم وقد جمعتكم جامعة عرفان الجميل فاتفقتم مبدأً وغايةً واتيتم الى هذا المقام ملبّين صوت الدعوة الوطنية لتحيُّوا هذا الأَثر الجليل وتقوموا بالفرض الواجب نحو صاحب هذا الأَثر — نحو وطنيكم العظيم — نحو رجل الطائفة الكريم — نحو انسان عين الوجاهة وفقيد الشرف

(١) نُشر ملخّص هذه الخطبة في جريدة المنار الغرّاء (٥ : ١٩١)

والنزاهة المرحوم سليمان افندي الخوري عيسى الحكيم . ذلك الرجل الخالد الاسم الذي انفق سني حياته في خدمة الملة . ذلك الغيور على مصلحة الوطن غيرةً حبّذا لو وُجدت في غيره . وحسبنا انه بقي متقلداً مهامّ الطائفةالسياسية في الحكومة السنية والمطرانية اربعين عاماً ونيفاً كان مداوماً فيها على حضور جلسات المفوّض المليّ يفكك المشكلات . ويحلّ المعضلات . ويمهد العقبات . ويفرّج الأزمات . فلا عجب والحالة هذه اذا اظهرنا له كل اكرامٍ في حياتهِ وبعد مماته فان عاطفة عرفان الجميل لا تفنى بموت المحسن — ولا سيما المُحسنين الى الانسانيّة جمعاء كفقيدنا — بل تدوم ثابتةً الى الابد لان واضعها وموجدها ابديّ ثابتٌ غير فانٍ ولا متحوّل

ايها السادة :

ان الامم الراقية في سلم الحضارة والتمدن قد اعتادت ان تنصب لرجالها العظماء التماثيلَ والأنصاب برهاناً على اعترافها بجميل اولئك الرجال الافاضل خدمة الانسانيّة والوطنيّة . وبما ان فقيدنا صاحب هذا الأثر هو من هؤلاء الرجال العظام فلم يمض على وفاته رحمه الله مدة قصيرة إلّا تحركت عاطفة عرفان الجميل في نفوس بعض الوطنيين المخلصين . الغيورين على

تخليد ذكر المحسنين ٠ واقترحوا إقامة تمثال لفقيد الوطن والملة يشترك فيه الوطن كافةً ٠ وكان سيادة حبرنا الغيور المفضال — من لا نسميه إجلالاً وتكرمةً — من المنشّطين الى هذا العمل الجليل والمأثرة الخالدة ٠ غير ان انجال الفقيد مع شكرهم هذه العواطف الشريفة التي اظهرها المواطنون وتقديرهم اياها قدرها واعتبارها اعظم مشاركة في آلام مصابهم الفادح واكبر تعزية عنه ُ فقد أَبَوا إلاَّ ان يقوموا هم بنفقات هذا الأثر بِرًّا بوالدهم الذي أورثهم المجد التليد والطريف مكتفين من مواطنيهم بذلك الشعور الشريف وتلك العاطفة المقدّسة عاطفة عرفان الجميل

٠:٠

والآن فانظروا ايها الحضور الكرام الى هذا التمثال المحبوب الذي يمثل ببياضه الناصع ونقائه طهارةَ سيرة فقيدنا ونقاء سريرته ٠ ويشخص بعظمهِ وارتفاعهِ وشدّة صلابته سموَّ نفس فقيدنا ورفعة قدره وعَظَمة اعمالهِ وافكارهِ وقوَّة مبادئهِ وثبات جنانه ٠ تأمَّلوا فيه وهو صامت لا يتكلّم ٠ وجامد لا يتحرّك فتروهُ كأَنهُ رسول من رسل الأَبدية واقف امامنا يلقي علينا انجع المواعظ وانفع الانذار ٠ ويذكرنا بزوال هذه الحياة ومصيرها الى البوار ٠ ويرفع انظارنا الى الحياة الباقية حيث شمس السعادة

الحقيقية تشرق من لدن ابي الانوار • وحيث التمتع بالبقاء الخالد والمسرّات الاكيدة في مسكن الابرار • فطوبى لمن اتّعظ واعتبر واقتدى بالسلف البارّ • وخلف لنفسهِ من بعده اطيب التذكار واحسن الآثار

•:•

واما انتم يا آل الفقيد فاننا نشكر لكم اريحيتكم لانكم اول من اقتدى بالمتمدّنين في اقامة الانصاب لعظمائهم • وبذلك سهلتم لنا الوقوف والكلام بجانب التماثيل • ولذا فاعلموا ان تمثال فقيدكم هذا — الذي هو اول تمثالٍ نصب في هذا الوطن لاول المتفانين في خدمتهِ — سيكون ان شآء الله حلقةً اولى من سلسلة كريمة

وثقوا يا حفظكم الله ان لفقيدكم الجليل • مئاتٌ بل الوف من التماثيل • مرفوعة على عُمُد معرفة الجميل • ومنصوبة في هياكل قلوب ابناء الوطن الذين احسن اليهم في حياتهِ اعظم الاحسانات • تظلّ خالدةً فيها على مدى الاوقات • وطالبةً لفقيدكم من الله سبحانه أجزل الغفران وأوسع الرّحمات



(٥)

« خطبة الدكتور النطاسي كامل افندي الخوري نجل صاحب التمثال »

واجب الشكر

سقياً ورعياً لك ايها الوطن العزيز يا من آسيت جراح قلبنا بيلسم التعازي اللطيفة وشاركتنا بتفجعنا لفقد المأسوف عليه ركن اسرتنا المطوَّب الذكر . وسلام عليكم يا اصدقاء المرحوم والدنا من كل المذاهب والنحل يا من سكّنتم روعنا وجزعنا إبَّان تلك الفادحة العظمى وقتً كانت تتلاعب بنا الغموم والاكدار تلاعب الرياح بالريشة

لاجرم ايها المولى الجليل والسادة الكرام ان خير ذريعة وافضل وسيلة لتعزية ذوي المصاب هي مشاركتهم في مصابهم ومشاطرتهم أتراحهم وهذا ما حملكم سابقاً يا ذوي المروءة والشهامة والغيرة على ملاطفتكم لنا ملاطفةً قد أثرت في قلوبنا الكليمة احسن تأثير لا يمحّي بكرور الايام وتقلبات الزمان . واليوم قد استفزّتكم يا رعاكم الله مروءتكم الشهيرة التي هي سجية ملازمة لكم الى ان تحتفلوا معنا برفع الستار عن تمثال فقيدنا الكريم — وهذا هو اول احتفال أُقيم في وطننا المحبوب من هذا النوع دلالةً على صدق

الولاء والوفاء من الجميع — والذي حدا نا يا سادتي الكرام الى اقامة هذا النصب هو ما آنسناهُ من ميل السواد الاعظم من الوطنيين الافاضل الى إقامة أثر خالد لفقيدنا يذكر الخلف بخدماته الجليلة فعقدنا النية مذ ذاك على تحقيق أمنيتهم هذه مع شكرهم اطيب الشكران لانه قيل : «ما جزاء المحب الا المحبةَّ»

والآن فلو كنتَ أُوتيت فصاحة قُسٍّ وبلاغة سحبان لما قدرتُ ان أعرب عن تشكراتنا الخالصة لحضراتكم . واخصّ بالذكر العطرِ سيادة العلَم الأوحد الغيور وراعينا الامجد الوقور . الذي سُرَّ غاية السرور من مقترح هذا الاحتفال جناب الوجيه الفاضل والشيخ المهيب رفعتلو حبيب افندي مرهج . ولسنا ننسى ما دمنا احياء ان نقدّم الشكر والاعتبار للاحباء الذين تلطّفوا بحضورهم اليوم لمجاملتنا . والذين تكرّموا علينا سابقاً بالمراثي الشجية من حمصيين وغير حمصيين — تلك المراثي الناطقة بافضالهم الى الابد . والشاهدة بسلامة قلوبهم ونقاوة ضمائرهم . والدالة على حفظهم الجميل وتقديرهم خدم المرحوم والدنا حق قدرها —

ومَن لنا بمن يعبّر عماً خالج قلوبنا الكئيبة من المحبة والشكر لذاك الوطني الغيور الذي شعر بالخسارة كما شعرنا نحن بها . والذي تلطف وطلب منّا ان يجمع ما يردنا من المراثي والتعازي في

كتاب على حدةٍ يكون أثراً للمرحوم والدنا ويخلد الذكر الجميل للوطن العزيز· وذاك الشاب هو الكاتب الاديب والشاعر الاريب الاستاذ رزق افندي نعمة الله عبود الذي تفرَّد بمعارفهِ الواسعة في تأريخ الوطن وتراجم رجاله· فانه اظهر همَّة قعساآء وقاسي عنآء جزيلاً في جمع ترجمة فقيدنا من اوراقهِ المتفرّقة وتنسيقها على اجمل اسلوب مع تبويب المراثي وضبط مسوداتها · حفظهُ الله من عاديات الزمان وجزاهُ عنا جزآء الخير وخير الجزآء

وبالختام ارفع اكفّ الضراعة والابتهال ·الى العزيز المتعال ان يؤبد ويؤيد عرش مولانا ووليّ نعمتنا بلا امتنان · السلطان ابن السلطان ·السلطان الغازي

عبد الحميد خان

الذي في زمانهِ السعيد أُطلقت حرّية المذاهب والاديان · واصبحت خدمة الوطن فرضاً على كل انسان · أَطل اللهم بالعزّ أَيامهُ · وعلّ ِ بنودهُ واعلامهُ · واجعل النصر حليف ركابهِ · والسعد خادم اعتابهِ ·وصن أَولياء امورنا العظام· ورجال دولتنا الفخام ·ما ذرّ شارق · ولمع بارق

واخيراً نسأَلهُ تعالى ان يديم لنا أَبنآء الوطن المحبوب · ويحفظ لنا الاصدقاء اينما كانوا ·وان لا يكدرهم ولا يكدرنا بهم

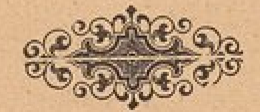
ويقدّرنا على مكافأتهم على مجاملتهم وملاطفتهم لنا اولاً وآخراً.
وليتكرموا بان يقبلوا من سائر افراد أُسرتنا خالص الشكر
والاحترام. وأطيب التحية والسلام

انتهى



فهرست الكتاب

صفحة



إصلاح غلط

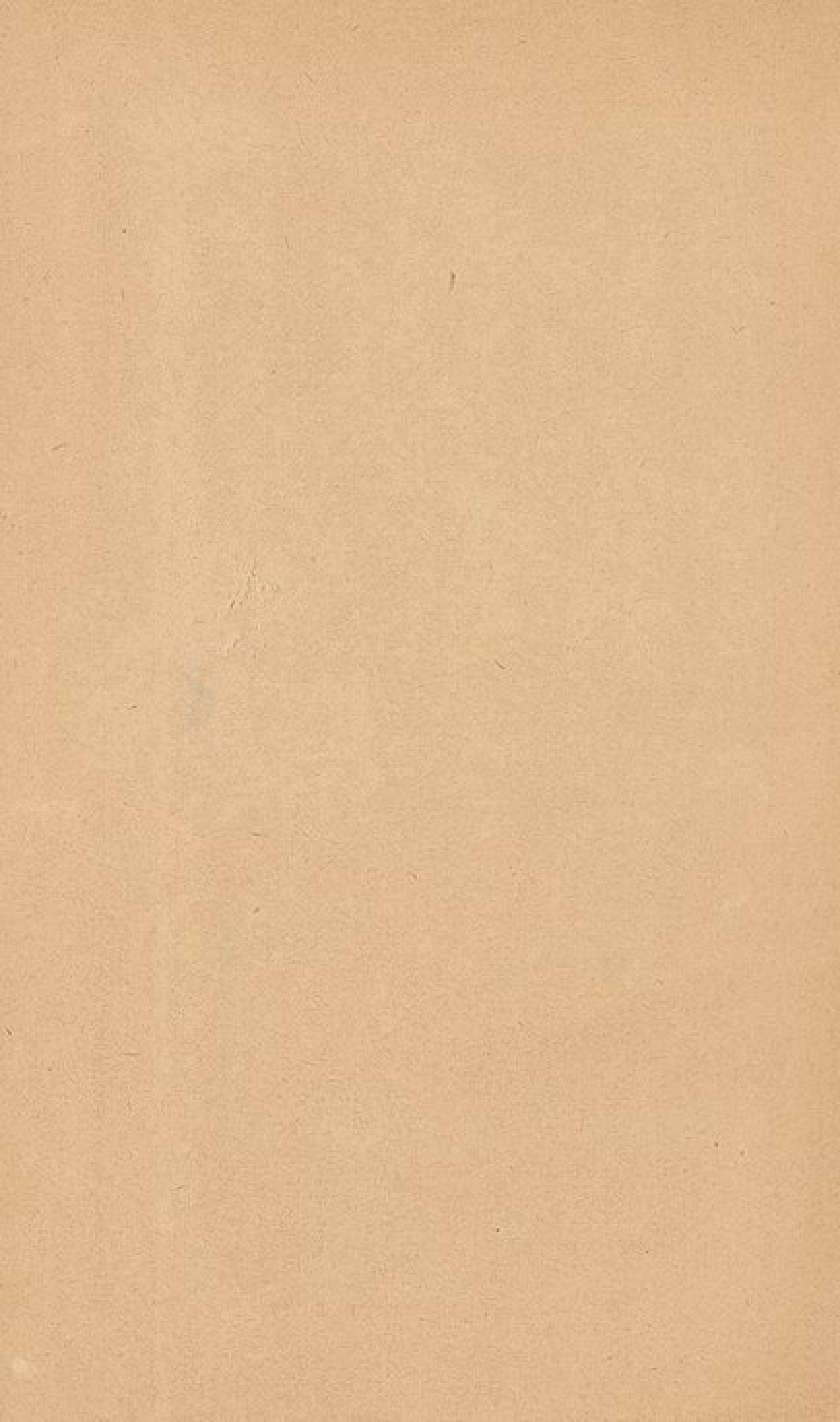
صفحة	سطر	خطأ	صوابهُ
٥	٢	المتقدَّمين	المتقدّمِين
١٢	١	بيك	بك (وهذه الغلطة مكررة)
١٧	٤	مبنياً	مبنيٌّ
«	٦	ينبيُ	ينبئُ
١٨	١٧	وانذهاله	وذهولهُ
١٩	٥	الدآء	الداء
٢٨	٧	اولاً	أَوَّلَ
٢٩	٦	مساعيهِ ...اوتيةِ	مساعيهُ ... أُوتيهُ
٣٠	١٠	الكلل	الكلال
٥٣	١٣	ليأنسوا	ليأتسوا
٥٨	١٠	المكربة	الكاربة
٦٠	١٢	وانتشر	انتشر
٥٨	١٥	تتمتع	يتمتع
٦١	١١	عليهِ من	عليه بهِ من
٧٥	١	عن كل	على كل

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٧٨	١٦	تنشأ	تنشأ
٩٠	٢	لانكم	انكم
٩١	٣	والولاء	والولآء
«	١٣	عن صديقنا	عن ان صديقنا
١٠٠	١٦	بازآئها	بإزآئها
١٠٦	١١	لِأتيت	لَأتيتُ
١١٠	١٤	اعوادً	أعواد
١١٥	١	تودعتا	تودّعنا
١٣٢	٣	ينشي	ينشئ
١٣٨	١	فيما	في ما
«	١٠	عن الفضيلة	على الفضيلة
١٤١	٤	رؤ	رؤ
١٤٧	٤	نا	بنا
١٥٤	٢	اتما	انما
«	٧	لاحيآء	لاحياء
١٧٣	٢	ولتربهِ	ولترثهِ
«	١٤	الفقد	الفقيد

صفحة	سطر	خطا	صوابه
١٧٦	١٤	نفقاده	نفاده
١٨١	٣	الجيد	المجيد
١٨٥	١٣	وحقّكُ	وحقّكَ
١٨٦	١٥	ناضه	ناضر
١٩٢	١٠	كربماً	كريماً
٢٠٣	٤	تأَوَّهُ	تأَوُّهُ
«	١٦	لندورة	لِنْدرة
٢٠٦	٧	المدَنّية	المدنيَّة
٢٢٣	٧	اطالت	طالت
٢٢٦	١٠	طويلٌ	طويلَ
٢٢٧	٧	التَهَم	التُّهمِ
«	٨	اتشى	ارتشى
٢٣٠	٧	مبتداءُ	مبتدإٍ
٢٣١	١٢	قد تكون	تكون قد
٢٣٢	٨	التي	الذي
٢٣٦	١٦	بدم	بدَم
٢٤٢	٤	ابتغآءُ	ابتغاءَ

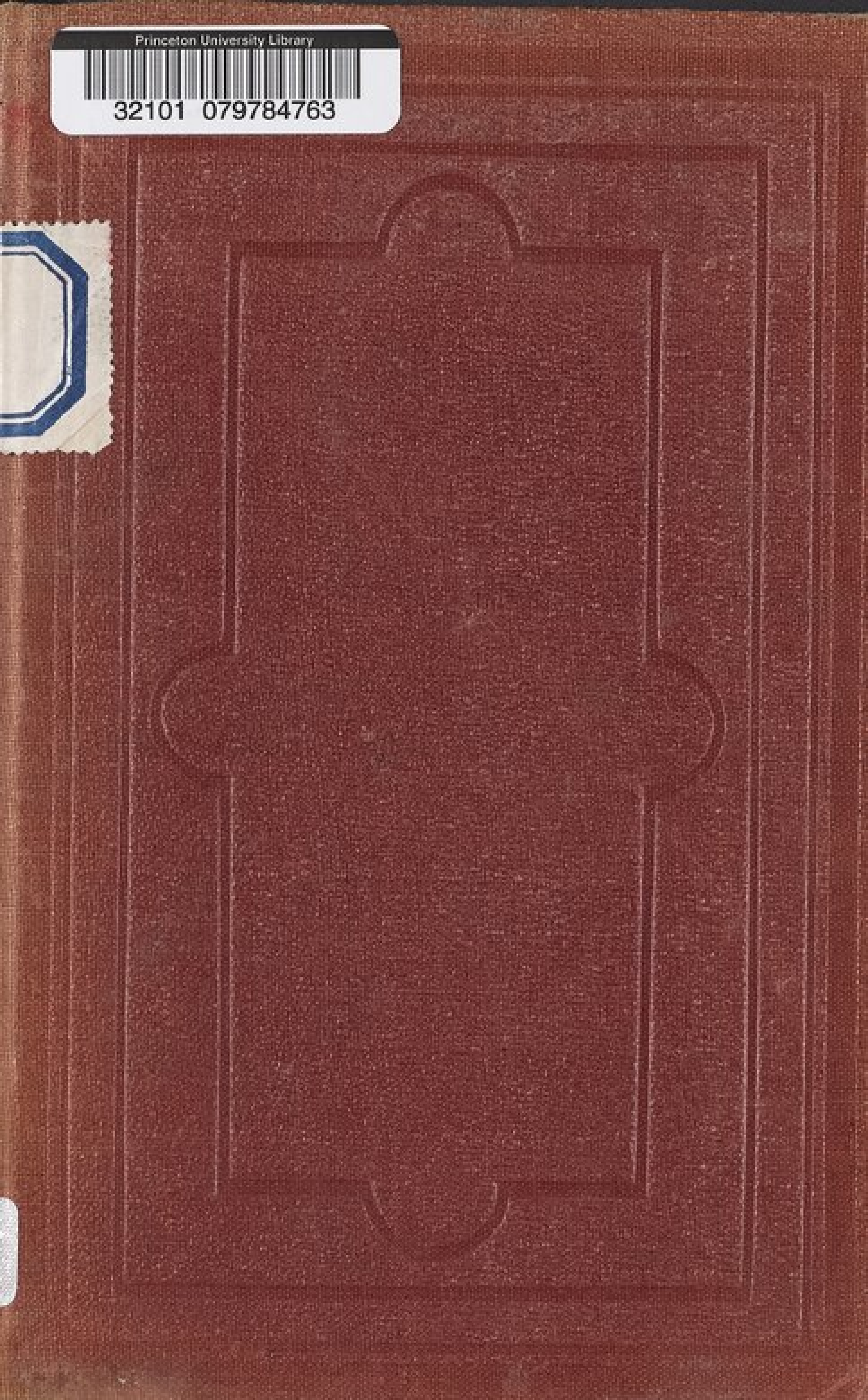
صفحة	سطر	خطا	صوابه
٢٤٣	٥	جحافلُها	جحافلَها
٢٤٨	١٣	غيرَ	غيرُ
٢٤٩	١٣	عائبا	غائب
٢٥١	١٣	مدرِّس	مدرّس
٢٥٢	١٢	محققِاً	محققَاً
٢٥٣	١٨	لانّدا	للندا
٢٥٤	٢١	اللآل	اللأّل
٢٥٦	٥	قَدَمِ	قِدَمِ
٢٦٥	٢	المأثرة	المأثرة
٢٧٢	٢	العازر	العازار

ولعلهُ بقي غير ذلك مما لا يخفى على القارئ اللبيب






VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 079784763